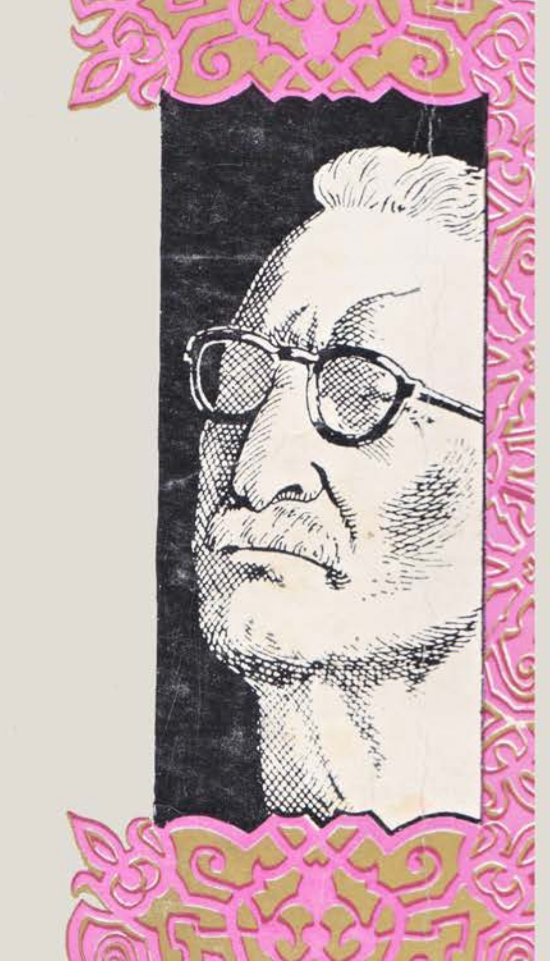
عباس محمود العقاد

الحرب العالمية الثانية







الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

كتاب للعقاد، ولم يطبع وينشر حتى اليوم؟!.. أمرٌ لا يكاد يصدّق، ولكنه حقيقة، ما أن علمت بها **دار الكتاب العربي** حتى بادرت الى شراء حق نشره في العالم العربي، لتضمه إلى «**مكتبة العقاد**» الزاخرة، التي قدمت الدار منها إلى ملايين القراء في العالمين الاسلامي والعربي أكثر من أربعين كتاباً صادفت من الرواج والاقبال والتقدير ما هي أهل له .. مما جعلها تقدم على مشروعها الضخم لحفظ هذا التراث الخالد لعملاق الأدب، باعادة طبعه كله في **موسوعة واحدة** باسمه، تأمل الدار أن تؤدي بها قسطاً من واجبها نحو الثقافة الإسلامية العربية.

كتاب عن الحرب العالمية الثانية، عن أسرارها، ومعاركها، ومفاجآتها، وتطورات أحداثها، وتكتلاتها، وأسلحتها، من بدايتها الى نهايتها .. كتاب لم يكتبه سياسي بحث في الوثائق بعد اعلانها، ولم يكتبه ضابط أو جندي أو قائد اشترك في معركة أو في التخطيط للمعارك، كما لم يكتبه قصاص روائي من الذين يحولون المعارك إلى قصص وروايات مسلية مثيرة .. بل كتاب كتبه أديب عملاق، ومفكر عربي ناضج، تابع الحرب منذ بدايتها، **بل تابع مقدماتها** قبل أن تبدأ بسنوات، ثم تابع معاركها، دارساً ومحللاً ومقارناً، **مؤمناً** بما هداه إليه تفكيره السليم الصحيح الناضج، من حتمية انتصار

قوى الحرية والديمقراطية الممثلة آنذاك في دول الحلفاء ، على قوى الدكتاتورية النازية والفاشية الممثلة يومها في دول المحور ؛ متنبئاً بذلك منذ نشوب الحرب وفي شهورها الأولى التي توالت فيها انتصارات ألمانيا واكتسحت الجيوش النازية أوروبا في حرب صاعقة أذهلت العالم وخيل للكثيرين بعدها أن النصر حليف النازية ، وأن سيطرتها الكاملة على العالم لا بد وأن تتحقق وعلى الفور ..

كانت انتصارات هتلر تتتالى سريعة ساحقة ، والعقاد ثابت على عقيدته ، وايمانه بأن تلك الانتصارات ليست بالنهائية ، ولا تشكل الفوز الحاسم على الحلفاء ، وأن المعركة لم تنته ولن تنتهي إلا بانتصار الحلفاء! .. معلناً رأيه هذا ، بكل ما أتيح له من وسائل الاعلان عنه .. في وقت كان فيه انتصار هتلر وجيوشه ، أملاً تتعلق به وترجوه جماهير الشعوب العربية ، وترى فيه خلاصها من استعمار واحتلال وسيطرة بريطانيا وفرنسا على كثير من أقطار الأمة العربية آنذاك .

ولم يأبه العقاد كثيراً للاتهامات التي انهالت عليه من كل حدب وصوب. فلم يكن العقاد يؤيد البريطانيين والفرنسيين ، لأنهم بريطانيون وفرنسيون ، ولم يكن يعادي الألمان والايطاليين لأنهم ألمان وايطاليون، بل كان العقاد يدافع عن قضية .. قضية الحرية والديمقراطية في صراعها ضد الطغيان والدكتاتورية .. مؤكداً أن على من يناضل ويكافح في سبيل الخلاص من استعمار احدى الدول الديمقراطية أو التي تدعي الديمقراطية ، أن يحذر من الوقوع بين مخالب الوحوش الدكتاتورية التي أسفرت عن وجهها الكالح الرهيب ، والتي يكلفه الخلاص منها الكثير ... هذا إذا استطاعه ..

« **الدفاع عن الحرية** ».. مبدأ العقاد، وعقيدته ، ليس في هذا الكتاب فحسب ، بل في كل مؤلفاته الفكرية والأدبية والتاريخية . إنه يرى أن الاستبداد يخلق عبيداً من الأحرار ولا يخلق أحراراً من العبيد ، ويستشهد على ذلك بهزيمة إيطاليا الفاشستية واستسلام جيوشها بآلافها المؤلفة وسلاحها

وعتادها في ساعات ، حيث يقول « ان الرجل الذي لم يخلق محارباً لن يطبعه على الحرب والشجاعة فقد الحرية وفقد الحكومة المسؤولة ، بل يزيده وهناً على وهن ، وهزالاً على هزال » ..

إنها عظة ، وعبرة ، من عشرات بل مئات من العظات والعبر ، يقدمها العقاد في هذا الكتاب ، نرى لزاماً علينا وعلى كل عربي ، أن يقرأها ويدرسها ، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا العربية التي تواجه فيها قوى للغدر والعدوان والاجرام ، تحلم وتخطط للسيطرة لا على العالم العربي والاسلامي فحسب ، بل على العالم أجمع .

إننا ونحن نواجه النازيين الجدد في معركتنا المصيرية هـــذه ، لا بد وأن نتذكر دائماً ، التاريخ الأسود للنازيين القدامى الذين يتشبه بهم ويقلدهم ويسير على خطاهم المجرمة ، أعداؤنا الصهاينة اليوم ..

لا بد وأن ندرس كل شيء عن أساتذة الطغيان، والاستبداد، والاجرام ، والأطماع المجنونة غير المحدودة ، وأحلام السيطرة وكبرياء الجنس ، وأساتذتها هم النازيون ،لكي نعلم كيف يتصرف الصهاينة اليوم الذي فاقوا أساتذتهم وبزّوهم في كل مضمار وأسلوب من أساليب الغدر ، وفي كل طبع لئيم من طباع الاجرام والاستهانة بحقوق البشر ومبادىء العدالة والانسانية..

وكأنما التاريخ يعيد نفسه .. عصابة من الطغاة المستبدين يسيطر عليهم جنون العظمة ، يوهمون شعبهم بأنه الشعب الذي اختارته العناية الإلهية لحكم بقية شعوب العالم التي لم تخلق إلا لتكون عبيداً لهم .. وشعوب تهب دفاعاً عن حريتها ووجودها وحقها في الحياة الحرة الكريمة وتأبى أن تذل وتستعبد لعصابة أو لعصابات من الأفاقين المجانين .. كانوا هتلر وعصابته ، وهم اليوم الصهاينة وعصاباتهم . وكان المدافعون عن الحرية والعدالة هم الحلفاء الذين أصبحوا اليوم حلفاء الاجرام والارهاب .. ونحن العرب اليوم المدافعون عن الحق والعدالة والكرامة الانسانية .. **ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب** الذي يكشف فيه العقاد بدقة ووضوح مخططات وأساليب النازية والفاشستية ، كما

يشرح الأساليب والوسائل والمبادىء التي اعتمدها الحلفاء وساروا عليها حتى كتب لهم النصر .

تحدث العقاد طويلاً عن القوة المعنوية ، كأحد عوامل النصر في الحروب. كما تحدث عن الحرب الدعائية ، وآثارها الخطيرة ، وهي ما نسميه اليوم بالحرب النفسية . والحرب الدعائية أو النفسية الموجهة إلى العرب والمسلمين اليوم لا تقل خبثاً وعنفاً عما كان النازيون يوجهونه الى شعوب العالم إبان الحرب العالمية الثانية ..

كان النازيون — ويفعل مثلهم الصهاينة وحلفاؤهم اليوم — يبحثون عن مواضع التفرقة بين الشعوب وعن مواضع اليأس والقنوط ، ليزيدوها ويوسعوها هادفين الى تمويت العزائم وشل روح المقاومة وتنبيه حب السلامة والاستسلام.. وكان عملاؤهم يتولون نشر الفزع والذعر بين الشعوب ، ويبالغون في التحذير من إغضاب النازيين .. يقول العقاد : « ولا يترك النازيون ضحايا دعوتهم معترفين بجبنهم وتغليبهم لمنفعتهم وسلامتهم على المنافع الوطنية والآمال الانسانية . كلا ! فإن النفس تأنف من الاعتراف بالجبن والنذالة وتحب أن تداري هذه الوصمة وراء ستار . فلهذا يقول النازيون لضحاياهم أنهم لن يتعرضوا لبلادهم بسوء وأنهم من أجل ذلك لا يحتاجون إلى مقاومة ولا استعداد. فيسهل على الجبان أن يترك الواجب لأنه يزعم أن الخطر بعيد أو غير موجود ، ولا يسهل عليه أن يترك الواجب معترفاً لنفسه وللناس بأنه جبان » —

.. أليس في أساليب الصهاينة اليوم التطابق مع ما كان النازيون يخدعون به الشعوب حتى تتهيأ لهم الفرصة للانقضاض عليهم ؟

*

وتعليقاً على ما رافق انتصارات النازيين الصاعقة في شهور الحرب الأولى من ذهول أصيب به الكثيرون ، لا سيما بعد سقوط فرنسا واستسلامها المفاجىء ، يقول العقاد: « لقد خيل إلى بعض المخدوعين أن النازيين يصنعون المعجزات . كلا . النازيون لا يصنعون المعجزات ، فالمعجزات لا يصنعها

أحد من أبناء الفناء » .. وصدق العقاد ، فلم يكن فيما صنعه النازيون معجزة واحدة ؛ لم يكن سقوط الدول واحدة إثر أخرى معجزة ، ولم تكن هزيمة فرنسا الساحقة معجزة . فدول أوروبا الغربية لم تسقط إلا لأنها لم تستعد للحرب استعداد النازيين لها، وفرنسا كانت تغلّف ضعفها برداء زائف من التظاهر بالقوة، لا يخفي وراءه إلا الانحلال والتفكك وتردّي الروح المعنوية، يرافقها تحجر عقول العسكريين وجمودهم وتمسكهم بنظريات الحرب القديمة البالية .. وما أن أفاق المهزومون وأفاق العالم من الصدمة الأولى ، و أخذوا جميعاً يبحثون ويحللون أسباب الهزيمة ، حتى تبين للجميع أن انتصار النازيين لم يكن بالمعجزة الخارقة ، بل كان عدم انتصارهم إذا حدث هو المعجزة ، ولقد تأكد ذلك عندما كشفت فضائح عدم الاستعداد والانحلال الذي ساد دول أوروبا الغربية ..

.. ألم نصادف نحن مثل هذه التجربة القاسية ، في حربنا الأخيرة مع الصهاينة ؟ .. ألم يخيّل للبعض أنها معجزة ، ثم تبين لهم أن لا معجزة ولا أعجوبة وأننا هزمنا أنفسنا بأنفسنا ؟ .. ألم ندرك أن الحرب طويلة ومريرة ، وأن لا مفر من الصمود والاستعداد الجدي ؟ ..

*

درس آخر ، يقدمه لنا العقاد في هذا الكتاب ، هو وجوب اطلاع الشعوب على الحقائق .. حقائق أحوالهم وحقائق أحوال عدوّهم ؛ حقائق قوتهم وضعفهم ومكاسبهم وخسائرهم .. يقول العقاد : « إن اخفاء الحقائق عن الشعب أول وسيلة من وسائل الاستبداد . ولم يوجد قط استبداد في التاريخ القديم أو الحديث أطلع المحكومين على جميع الحقائق وأنذرهم بجميع الأضرار».ولقد كان حكام بريطانيا يصارحون شعبهم بالموقف ودقته،وينشرون الخسائر التي تسببها الغارات الجوية النازية على مدنهم أولاً بأول، بل وينشرون صور الخراب والدمار ، وينذرون الشعب بمزيد من الاخطار والضحايا والخسائر ، ويرفقون ذلك كله ببيانات صادقة ودراسات مفصلة عما يفعلونه لتقوية أسباب الصمود والمقاومة ، وعن تطور الأمور لصالحهم تطوراً تدريجياً

ثابتاً رغم الخسائر والضحايا ، وأن النصر النهائي آت مهما طـــال المدى وعظمت التضحيات.. لذلك ظل الشعب البريطاني على تماسكه وقوة معنويته، طوال سنوات الحرب ، لم يتهم قادته بالكذب والخداع والتضليل ، ولم يفقد ثقته يوماً بهم .. حتى كتب له النصر الحاسم ..

*

ويمضي العقاد في سلسلة من المقالات ، يحلل المواقف العسكرية لكل طرف من أطراف النزاع ، كأدق وأعمق ما يكون التحليل .. يتحدث عن صمود الجزر البريطانية ، ويتحدث عن اتجاه هتلر إلى الشرق ، وعن موقف شعوب البلقان ، ويتحدث ويطيل الحديث والتحليل عن الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء على أوروبا وعن جدواه ونتائجه ... بل ويتحدث عن قوات الطرفين ، محدداً مواطن الضعف والقوة في جيوش كل من الفريقين ، حديث المراقب المتتبع الخبير بالشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية ، مفسراً لقرائه ومستمعيه حقيقة المواقف والأحداث . . معلقاً على كل حدث أو اتفاق .. كما حدث عندما وقعت معاهدة التحالف بين برلين وطوكيو ، وما أبعد البلدان عن الشرق العربي وعن مصر ، مستخلصاً من هذا الاتفاق عبرتان : الأولى ، أن المسافات بين الأقطار والقارات ينبغي ألا تقاس في العصر الحديث بمقياس الفراسخ والساعات ،فلا يجوز الاطمئنان إلى عدو اعتماداً على بعده عن حدود الوطن ؛ فقد يصبح قريباً في لحظات ، إما باستخدام الأسلحة الحديثة البعيدة المدى ، أو بتحالف مع دولة قريبة أو مجاورة..والثانية،أن المعتدي عدو لبني الانسان جميعاً وليس بالعدو للمعتدى عليه وحده . ولو تنبهت الأمم إلى هذه الحقيقة لما تمكن النازيون من العدوان عليها واحدة بعد واحدة وهي تنتظر دورها في جمود واستسلام ، ولما شجعت هذه الانتصارات دولة بعيدة كاليابان على التحالف مع المعتدي ، وعلى ممارسة العدوان بدورها على جاراتها ..

*

وتمضي الحرب ، وتتوقف انتصارات دولتي المحور ، ويدور الزمن دورته ، وتستسلم ايطاليا ، ويسقط الدكتاتور الطاغية موسوليني ، الذي بحث العقاد طويلاً عن لفظ يمكن أن يطلق عليه فلم يجد خيراً من أن يسميه «موسوليني

الدجال » .. ويقول العقاد « لقد كان موسوليني في الثالثة عشرة من عمره مدرساً في احدى القرى فكتب إلى مدير الاقاليم يقول له أنه يحفظ النظام بين التلاميذ بالأساليب الأدبية — لأن كل نظام يفرض قهراً غير حقيق باسم النظام —، ولولا أن الكذب طبيعة في هذا الدجال لآمن بتلك الحقيقة فسلم من هذه العاقبة وسلم العالم منها ، ولم يكتب عليه أن يضرم كل هذهِ الحروب ويسفك كل هذه الدماء ليقيم البرهان على كلام عرفه — وهو دون العشرين — بغير برهان » .

وتنتهي الحرب ، ويسقط هتلر وعصابته ، وينتهي إلى المصير الذي انتهى إليه رفيقه موسوليني من قبل ، فيكتب العقـاد فصلاً عما كان يمكن لهتلر أن يضيفه إلى كتابه « كفاحي » بعد أن لحق به الفشل وحاقت به الهزيمة وأطبقت الجيوش على عاصمته المدمرة .. ويكتب العقاد بلسان هتلر : « لقد كذبت وكذبت وكذبت فنجحت ونجحت ونجحت ، ولكن المرة التي أخفقت فيها كان إخفاقي كفاء هذا النجاح وأضعاف أضعافه عشرات المرات .. لقد خرجت لحرب العالم عن بكرة أبيه وليس لي من سلاح في حربه غير الحديد والنار والغدر والخيانة وكلام من الكلام لا تعززه حقائق الحياة ، فانكسر سلاحي كله ووقفت عزلاً من كل سلاح ، فذهب كفاحي ولم تبق لي منه إلا هذه الصفحات . » .. وإنها لصفحات أبدع فيها العقاد تصوير نهاية الطاغية ، لا نظن أن كاتباً ما أوتي من دقة التصوير والقدرة على التعبير ما سجله فيها العقاد..

*

ولا تنتهي فصول الكتاب بنهاية الحرب ، فلقد أطلّت مشاكل ما بعد الحرب ، فتولى العقاد بحثها وحاول علاجها ، مقدماً ما يراه من آراء وحلول ، ليس من الغريب أن نرى بعضها قد تحقق ، فالآراء الناضجة وهي ثمرة تفكير سليم ، لا بد أن تجد سبيلها إلى الاقناع والتحقيق . ففيما كان الحديث عقب نهاية الحرب العالمية الثانية بسنوات قلائـل ، يدور حول الحرب العالمية الرابعة ، وفيما كان البعض يكاد يحدد موعدها ويحبس أنفاسه انتظاراً لاندلاع شرارتها ، كان العقاد يستبعد وقوعها العاجل.. وها قـد مضت عشرات السنين ولم تقع ، ولا يبدو احتمال وقوعها قريباً لمعرفة جميع الأطراف بما يمكن أن يحيق بالعالم أجمع من دمار وخراب شبه كامل ..

ولقد تحدث العقاد منذ أكثر من عشرين عاماً ، عن مشكلة عدّها خطيرة بل وأخطر مشكلة تواجه العالم آنذاك ، ولا زالت ، حتى يومنا هذا ، مشكلة خطيرة ، نعاني منها نحن العرب بالذات ، الأمرّين ... هذه المشكلة هي زعامة الولايات المتحدة الأمريكية للعالم ... يقول العقاد : « من عجيب المفارقات أن قيادة السياسة العالمية في هذا الطور الخطير تقع من نصيب أمريكا ، وهي دولة كانت في عزلة عن العالم وسياسته إلى زمن قريب . إن الولايات المتحدة تسيطر على السياسة العالمية بحكم ثروتها وحاجة الأمم إليها . فمن هم ساستها الذين وضعت المصادفات هذه الأمانة الكبرى في أيديهم ؟ .. هم حكام ولايات لا أكثر ولا أقل . « مشايخ بلد » يتسلمون زمام الكرة الأرضية ! .. وغاية ما في الأمر أنهم مشايخ بلد أمريكيون»...ويمضي العقاد ليقول – منذ عشرين عاماً – ما يتحقق اليوم : « سياسة عالمية تسيطر عليها في النهاية دولة واحدة! .. هذا هو الواقع مع الأسف الشديد . وهذه وحدها مشكلة ، ولكن المشكلة التي هي أعظم منها أن هذه الدولة كانت في عزلة عن العالم إلى سنوات مضت ، فهي تخبط في شؤونه خبط عشواء ، أو تعمل فيها – بالعافية – كما يقولون ... »

أليس هذا الواقع الذي تحدث عنه العقاد منذ عشرين عاماً هو الواقع المؤسف الذي يعاني العالم وتعاني منه الأمة العربية اليوم ؟ ...

لقد كان العقاد دائماً على يقين تام وثابت من شيء واحد « وهو أن هذا العالم الخالد ، هذا العالم الذي لم يحكمه قط بطل من أبطال التاريخ أو سيد من سادات الحروب ، تأبى رحمة الله ، تأبى حكمة الله ، أن تحكمه عصابة من المغامرين وشذاذ الآفاق ».. قالها العقاد عندما كان النازيون يخططون ويحلمون بالسيطرة على العالم واستعباده . ونقولها اليوم ، والنازيون الجدد أعداؤنا ، أعداء الانسانية ، الصهاينة ، يخططون ويحلمون بتحقيق الهدف نفسه ...

... ولنترك الآن الكتاب ، بل البحث ، المليء بالعبر والدروس عن الحرب ، بين يدي الملايين العربية والاسلامية ... والله الموفق .

الناشر

شؤون العالم

ليس في الميدان الغربي شيء هادي .

فهذا الميدان الذي قضى في هدوئه شهورا طوالا (١)، يتعوض عن هدوئه الماضي في ايام قصار ، ولكنها اطول من تلك الشهور جميعا ، بالتوقع والانتظار .

فكل ما فيه من اجسام ونفوس ومن ادوات قتال في الارض والفضاء ، انما هو زلزال دائم من الحركة والنشاط لا يعرف الهدوء في الليل والنهار .

حول ذلك عالم يترقب ، ويحق له ان يرقب ، لان العواقب التي تصير اليها هذه الحركة بعيدة الآمـــاد . بعيدة جــدا في الزمان والمكان ، بعيدة بعدا لا يخرج من حدوده مكان في العالم المعمور ، الى آخر ادوار التاريخ .

في هذه المعركة الدائرة تنحصر شئون العالم في اسبوع .

بل تنحصر شئون العالم في عدة اجيال .

فكل اهتمام بهذه المعركة فهو دون الواجب .. ثم يأتي بعد ذلك دور القلق أو دور التفاؤل .

---

(١) مجلة الراديو المصري عدد ٢٧٢ أول يونيه ١٩٤٠

أما نحن فمن المتفائلين ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

***

تتابعت امامنا الانباء ،وكلها كما اسلفنا تدعو الى الاهتمام الشديد ، بل تدعو الى الاهتمام في أقصى مداه .

فاذا كان كثير من المدافعين يضعون أيديهم على قلوبهم من هول الموقف ، فأنا على يقين ، كل اليقين ، ان الذين يضعون أيديهم على قلوبهم من الهاجمين أكثر وأولى بالخوف والحذر لان العاقبة عليهم اذا فشلوا قضاء مبرم وبلاء لا يرحم .. العاقبة عليهم هي الفناء .

وأول من يعرف هذا حق عرفانه هو قائد القواد جورينج ، وأصحابه العسكريون .

وأول الدلائل على هذه المعرفة خطابه الذي ألقاه في برلين منذ يومين ، وقال فيه : « ان الزعيم هتلر هو الذي يضع الخطط وينفرد بوضعها » .. ثم قال : « ان زعيمنا رجل ثوري في خططه الحربية لأنه لا يتقيد فيها بأصل من أصول التعبئة ، وكل أوامره في هذا الصدد انما هي من قبيل الوحي والالهام لا يصدر فيها عن دراسة أو عن بحث واستشارة بينه وبين أركان حربه ، بل ينقاد فيها لما يوحى اليه غير حافل بالعواقب » .

فجورينج في هذا الخطاب يسرع الى اخلاء نفسه من المسئولية ، أو يسرع الى التبرؤ من عاقبة لا يأمنها ولا يرى الان انها مضمونة النجاح .

يسرع الى ذلك بالاسلوب الذي يرضاه الزعيم .

والزعيم لا يرضى بطبيعة الحال ان يقول قواده على

مستمع من العالم كله انه رجل مجازف لا يدري أصول الحرب وفنون الهجوم والدفاع ، وان قواده لا يوافقونه ولا يشتركون معه في رأيه . وانما يرضيه ان يقال هذا باسلوب غير ذلك الاسلوب ، وهو الاسراع بالشهادة قبل أوانها . فان نجح فلا ضير من الشهادة ، وان لم ينجح وساءت العقبى فهي براءة من الذنب في الاوان .

ويزيدنا اعتقادا بحذر جورينج في الموقف الحاضر ، انه هو في الواقع صاحب الخطة وان لم يكن صاحب التنفيذ .

ولا نستند في ذلك الى كلام يقال الان من احد العسكريين ، بل نستند فيه الى تاريخ سابق مضت عليه سبع سنوات ، وهو كتاب « هتلر فوق أوربا » الذي ألفه رجل عليم بالخطط النازية في سنة ١٩٣٣ .

فقد جاء في الصفحة ٢٤٢ منه وصف الخطة التي وضعها شليفن وعدلها جورينج ، وهجم هتلر على تنفيذها في هذه الايام ، معتمدا على عنصر آخر غير العناصر التي اعتمدوا عليها في الخطة القديمة .

وهذه ترجمة ما ورد في الكتاب :

« ان جورينج يختار بين النقطتين الضعيفتين في خط التحصينات والمواقع المضادة للطيران من الناحية الفرنسية البلجيكية ، وسيخترق الحياد في هولندة أو في سويسرة ... وهو مستعد لكلتا الغارتين، ولن يتردد في الهجوم على هولنده ولو اقتضى الامر اجتياحها او تدميرها كل التدمير . واكتساح هذه المملكة أيسر عليه من اكتساح غليوم الثاني للمملكة البلجيكية في الحرب الماضية اذ ان الجيش الالماني يستطيع ان يربك هولنده شمالا

وجنوبـــا في وقت واحــد ، ولا سيمـــا عند اقليم جرو ننجن Groningen حيث تلتقي سكك حديدية وأقبية مهمة وفي اقليم ليمبورج Limburg الجنوبي عند مراكز الفحم في آخن Aachen وفي أثر الاساطيل الهوائية المهلكة التي تحطم جميع العوائــق وتدمر مراكز الصناعة في شمال فرنسا خلال بضع ساعات ـ تندفع المركبات المصفحة فتخترق في اليوم الاول حدود هولنده والبلجيك ثم حدود البلجيك وفرنسا .. »

فالخطة في جملتها وتفصيلها ان هي الا خطة جورينج في الحقيقة ، ولا شيء يلجئه الى التبرؤ منها الا الخطر الذي يلوح من ورائها ، والخوف من التضحية به ـ اذا هي حبطت ـ انقاذا لسمعة الزعيم .

على ان جورينج لم يبتكر الخطة بحذافيرها وان كان قد اجرى فيها كثيرا من التعديل والتنقيح الذي لا يمس الاصول .

وانما ابتكرها « شليفن » القائد الالماني الكبير الذي مات قبل الحرب الماضية بسنــة واحدة ، وعلى لسانه اذ يجـــود بنفسه في غيبوبة الاحتضار كلمة يتمتم بها وهي « قووا جناحي الايمن ! » وهو الجناح الذي أهمله القائد الالماني فون كلوك في الغارة على البلجيك .

وكان فــون شليفن نفســه غير مبتــكر في الانشـــاء : وان كان مبتكرا في التطبيق . فانه كان مقتديا بالقائد الافريقي القديم « هانيبال » في خططه السريعة .. ولهــذا سمى خطته باسم كانيا Cannoe الموقعة التي انتصر فيها هانيبال عـــلى الرومان .

وخلاصة الخطة الاندفاع بســرعة البرق في نقطــة واحدة

تحتشد فيها كل القوات العسكرية أو معظمها دفعة واحدة ، واغراء جناح العدو بالتقــدم في مركز ضعيف ، ثم الاســراع الى التطويق .

وقد حبطت هذه الخطة في الحرب الماضية لان القيادة العليا سحبت بعض الفيالق من الميدان الغربي الى الميدان الشرقي ، ولأن القائد فون كلوك لم يخترق هولندة كما أشار فون شليفن، ولأنه صادف بعض المعوقات أمام جناحه الايمن ، وأهمل هــذا الجناح على رأي كثير من النقاد .

فالآن يعود جورينــج فيغير السلاح ويبقي الخطــة على اساسهــا ، ويجيء هتلر ــ بوحيه المزعــوم ــ فيضيف اليهــا مغامرات لا توافق آراء العسكريين ، ويعتمد فيها على تقديرات لم تنكشف حقيقتها بعد لانها لا تزال قيد البحث والاستقصاء.

* * *

نسأل هنا سؤالا لا بد أن يخطر على البال ، وهو : اذا كانت خطة الهجوم معروفة فلماذا لا يستعد لها الحلفاء اقصى ما في وسعهم من الاستعداد ؟

والسؤال ــ كما قدمنا ــ طبيعي يخطر على كل بال. وسنحاول الاجابة عنه بما نستطيع .

غير اننا لا نتعرض الآن للاشياء التي لا بد من انتظــار نتائجها بعد كتابة التقريرات الوافيـــة التي تثبت بالبينــات القاطعة ما حدث فعلا في كل مركز من مراكز الهجوم والدفاع .

ونعود الى الاسباب التي تجعل احتـــياط الحلفاء للغارة الالمانية اصعب مما يبدو من النظرة العاجلة . فنقول ان هذه الاسباب تتلخص فيما يلي :

« أولا » ان وجود خطة من الخطط الحربية في احدى الدول

لا يستلزم حتماً تنفيذ تلك الخطة ، ولا تنفيذها بجميع تفصيلاتها اذا وقع الاختيار عليها .

فخطة « شليفن » كانت معروفة قبل الحرب الماضية ، ولكنها خولفت فيما يتعلق بهولنده ، وفيما يتعلق بعدد الفيالق، ونظام التقدم . الى غير ذلك من المخالفات الكثيرة التي طرأت عليها .

فليس من السهل اذن متى علم الحلفاء بوجود خطة حربية أن يعلموا بوقوع الاختيار عليها في اللحظة الاخيرة ، ثم يعلموا بما اضيف اليها من التعديلات قبل القتال أو أثناء القتال .

« ثانيا » ان الالمان يستطيعون الاعتداء على هولندة والبلجيك ولوكسمبرج وسويسره وكل دولة محايدة ، ولكن الحلفاء لا يستطيعون الاعتداء ، والا اسقطوا كل حجتهم في محاربة النازيين وهي حجة لها شأن كبير في الرأي العالمي وشأن كبير في قواعد الصلح وشروط التعويض .

ومتى كان النازيون متروكين احرارا في اختيار وقت الاعتداء وضحية الاعتداء ففي وسعهم ان يدفعوا ثلاثة ارباع جيشهم في نقطة واحدة تنفيذا لخطة الحرب الخاطفة ، ولكن ليس في وسع الحلفاء ان يضعوا ثلاثة أرباع جيشهم في كل نقطة وفي كل مكان . واذا وضعوا هذه القوات في النقطة الخاطئة والصائبة نبهوا المعتدين الى التعديل والتغيير .

« ثالثا » ان هتلر يجازف بمئات الالوف من الارواح لانه رجل غير مسؤول اما القواد والمسؤولون فهم ابعد الناس عن المجازفات التي هي أشبه بالمقامرة في سبيل الغنى المفاجيء أو في سبيل الافلاس .

« رابعا » ان القيادة في ألمانيا موحدة في جميع الميادين ..

أما الحلفاء فقد حاولوا كثيرا ان يوحدوا قيادة الدفاع في هولنده وبلجيكا وسائر الامم المهددة فلم يقبل ساسة تلك الامم ان يضعوا الخطة التي تتبع في كل مكان ساعة الهجوم . فحصل الهجوم الالماني على هولنده وبلجيكا وقواد الحلفاء لا يجدون الوقت الضروري لتوجيه فيالق الجيوش المدافعة هنا وهناك ، ولا ينضمون الى خطة منسقة يعمل فيها كل فريق ملاحظا عمل الآخرين . ومضى وقت استفاد منه المهاجمون قبل ان تتلاقى جميع الجهود .

« خامسا » يعرف اللاعبون في كل نوع من انواع المساجلات والمباريات صعوبة اللعب مع جاهل أو مع رجل لا يتقيد بالاصول . لان شذوذه يفاجيء من يلعب معه بكثير من الغرائب والمتناقضات . وهنا موضع الصعوبة في الحرب بين قائدين : احدهما يتلقى الوحي ويتبع ما يعن له كما يقول ، والاخر يعتمد على أصول مرعية ـ قد تختلف أحيانا ولكنها لا تتغير في الصميم .

* * *

مما اسلفنا يتبين ان الاحتياط للغارات التي من قبيل غارات النازيين ليس من السهولة والبساطة بحيث يتراءى للنظر العاجل من أول نظرة .

كلا ! بل الامر أصعب من ذلك بكثير ولا سيما في الهجمات الاولى والدفعات التي تسبق حالة الاستقرار والاهتداء الى الخطة الشاملة ، وجمع العناصر التي تعين للقائد المدافع طريقة الدفاع .

وستختلف الهجمات والدفعات كثيرا في المعركة الحاضرة ، وسيتعلق بها اهتمام الدنيا بأسرها ، ويترتب عليها كثير من

الحوادث الحاضرة ومن حوادث التاريخ .

الا ان شيئا واحدا على أتم يقين ، وهو ان هذا العـــالم الخالد ، هذا العالم الذي لم يحكمه قط بطل من ابطال التاريخ أو سيد من سادات الحروب . تأبى رحمة الله . تأبى حكمـــة الله . ان تحكمه عصابة من المغامرين وشذاذ الآفاق .

فأحلام هتلر لن تتحقق . وآمال الانسانية لـــن تخيب . وقضية الحرية لن تنهزم . وكل آت قريب .

***

الجيش الخامس

منذ سنتين اعلن الوزراء المسؤولون في رومانيا ان جماعة الحرس الحديدي قد انفقت اربعين مليون « لي » أو ما يساوي ستين الف جنيه في اشهر قليلة .

وقدر بعض العارفين ما تنفقه وزارة الدعوة الالمانية في امريكا الجنوبية وحدها بستة ملايين جنيه في السنة الواحدة .

واعلن لورد مكملان وزير الاستعلامات البريطانية ، في شهر اكتوبر من السنة الماضية ، ان النازيين قد مضى عليهم ست سنوات وهم ينفقون على نشر الدعوة في العالم . مبلغا سنويا يصل الى عشرين مليون جنيه ولا يقل عن ست ملايين .

ونحن لا نستكثر هذه التقديرات بالقياس الى الدعوة الواسعة التي يقوم بها النازيون في كل مكان ، أو بالقياس الى الاعمال التي يقوم بها الدعاة في مختلف الاقطار .

ففي البرازيل — مثلا — ألف واربعمائة مدرسة يديرها النازيون ، عدا الصحف والاندية والهيئات السياسية .

وفي المكسيك استطاع اصحاب القمصان الذهبية ان يقلقوا الحكومة وان ينشئوا بعد الغاء فرق القمصان حزبا

---

(١) مجلة الراديو المصري عدد ٢٧٣ — ٨ يونيه (حزيران) ١٩٤٠ .

يسمونه حزب الطبقة المتوسطة ، يجرون فيه على الخطط النازية في التهديد والارهاب . ومن ذلك تهديد حياة الرئيس كارديناس منذ ثلاث سنوات .

هذه هي حال الدعوة النازية وراء المحيط الاطلسي على مسافة ألوف الاميال من برلين .

فمن باب أولى تكون العناية بالبلاد المجاورة لالمانيا أضعاف ذلك . كهولنده والبلجيك والدانمرك والنرويج .

ولهذا وقعت الخيانة في النرويج من بعض القادة وبعض الرؤساء . واضطرت الملكة في هولنده الى اقالة قائد كبير وجماعة من الضباط والمشرفين على الامن والنظام . وقيل ان المهندس الذي انشأ حزب النازي الهولندي كان له في انحاء البلاد أعوان لا يقلون عن خمسين الفا متغلغلين في كل مكان ، على الرغم من انذار الحكومة كل موظف ينتظم في هذا الحزب بالفصل والعقاب .

***

فالنازيون يعتمدون على الخيانة ونشر الدعوة أكبر اعتماد، ويرسلون اتباعهم واعوانهم الى امم الغرب والشرق قبل ان يرسلوا جيوشهم للقتال .

وفي حديثنا هذا نقول كلمة عن هؤلاء الدعاة ، أو عن هؤلاء الجيش الخامس كما يسمونهم الان . لنبين « أولا » من هم . وثانيا : ماذا يعملون . وثالثا : كيف يتظاهرون ؟ ورابعا : كيف يتصلون بالمصادر النازية التي يتلقون منها المدد والتوجيه.

من هم هؤلاء الدعاة أو هؤلاء العاملون في الجيش الخامس ؟

هم اناس من الالمان ان كان في البلاد ألمان أصليون ، أو

اناس من الاجانب الموالين للنازيين ، أو اناس من الخونة الذين يبيعون بلادهم بالمال أو يتأثرون ببعض العلاقات ويتشيعون لبعض المذاهب التي لا تدين بالوطنية والاخلاق الانسانية ، كالشيوعيين والفوضويين وانصار الهدم والتخريب .

ويغلب ان يختار النازيون أعوانهم ومأجوريهم من الفارغين الفاسدين الذين يحتاجون الى المال دائما لولعهم بالمقامرة والمفاسد والشهوات ، وترددهم على الاماكن والمجامع التي تتسرب فيها الاراجيف والاشاعات .

اما الذي يعمله هؤلاء الدعاة فهو التهويل والمبالغة في قوة النازيين وخصوم الديمقراطيين على العموم ، لالقاء الرعب في القلوب واضعاف روح المقاومة والثبات .

ومع المبالغة في تعظيم شأن النازيين يبالغون في التصغير من شأن خصومهم واثارة الاحقاد عليهم ، وتحريك الدفائن التي لا مصلحة في تحريكها لغير العدو المغير .

وقد يثبطون اعمال الدفاع ويقولون انها شيء لا لزوم له ولا حاجة الى احتمال اعبائه وقد يحملون على الديمقراطية ذاتها ليصلوا من ذلك الى اضعاف الديمقراطيين وتأييد مذاهب الاستبداد .

وقد يشيعون الفتنة ويوقعون الاضطراب ، ويختلقون اسباب اللجاجة والنزاع واختلاط الافكار .

فاذا أغار العدو على البلاد فهؤلاء الدعاة والجواسيس ينبثون في المدائن والقرى لتعطيل المواصلات ومراكز الصناعة والتحريض على الاضطراب ونقل الاوامر الكاذبة وتمثيل الفزع الذي يسري بفعل العدوى الى نفوس جميع السكان ، فيصعب

على الحكومة ان تحفظ الامن والنظام وان تقبض على ناصية الحال .. وقد يسري الفزع من الشعب الى الجيش فتنحل العزائم والسواعد ، ويتفشى وباء الضعف والتسليم .

***

ويتظاهر هؤلاء الجواسيس والدعاة في أوقات الحرب بغير مظاهرهم التي تدل عليهم . فيلبسون لباس النساء ، ويخالفون القوانين المتفق عليها بين الدول فيلبسون ملابس الضباط والجنود في الجيش الذي يحاربونه ، ويستبيحون كل محظور في سبيل التخريب والازعاج والتعطيل .

ومن الصعب ان يتصل هؤلاء الجواسيس والدعاة مباشرة بالحكومة النازية في برلين فكيف اذن يكون الاتصال ؟ ومن اين يأتيهم المال الذي يخونون بلادهم من أجله ؟ أو يحتاجون الى انفاقه ؟

انهم في الواقع لا يتصلون بالحكومة النازية خوفا من المراقبة وظهور المستور .

ولكنهم يتصلون بأناس غير ألمانيين ، كما ظهر في الحرب الماضية وفي هذه الحرب الحاضرة من علاقة بعض الجواسيس والدعاة بوكلاء دولة أو دولتين من دول الشمال .

والاغلب انهم لا يتصلون بالهيئات الرسمية سواء كانت المانية أو غير المانية ، للشبهات والظنون .

ولكنهم يتصلون بشركات تجارية تعمل فعلا أو تتظاهر بالعمل في الادوات الكهربائية أو الادوات الصحية ، أو نقل الاخبار الصحفية .

وقد تبين ان بعض هذه الشركات تعطي الارباح المرصودة

في دفاترها للمأجورين من الدعاة والجواسيس ، ثم تأخذ عوضا عنها من الحكومة النازية باسم الاعانات الصناعية ، أو الاعانات التجارية في الخارج ، او تتولى توصيل المال على صورة لا توجب الاشتباه والاتهام .

وتفصيل هذه الحيل والاخاديع مشروح في كتب كثيرة ، صدرت قبل ان يلتفت الحكام الى قمعها بشهور أو سنين، وليتهم تعقبوها بالقضاء عليها قبل ذلك .

***

من البديهيات التي تستغني عن البيان ان الالمان لم يهملوا مصر ولا الامم الشرقية حين فكروا في الدعوة العالمية .

فهم لا ينسون مصر والبلاد الشرقية دون غيرها من بلاد العالمين ، وهم يفكرون فيالمكسيك والبرازيل .

فمصر والبلاد الشرقية أهم وأولى بالتفكير .

وقد اطلعنا على كتب منشورة فيها اسماء مذكورة وأرقام معدودة ، وتفاصيل مستغربة لاعمال الدعوة النازية في مصر وبلاد الاسلام كافة ، ولكننا لا نتعرض لها باثبات ولا بتفنيد ، رغبة منا في ترك الامر للحكومة تتعقبه بما عندها من وسائل المراقبة والتحقيق .

وحسبنا ان نفهم بالبداهة إن مصر والامم الاسلامية داخلة في حساب النازيين والطامعين وان الحذر اشد الحذر ، واجب في هذه الظروف ممن يخدمون النازيين والطامعين بالعمل أو بالكلام .

ماذا يقول هؤلاء الخونة الآثمون ؟

انهم لا يقولون بالبداهة اننا خدام النازيين .

ولا يقولون ان النازيين اعطونا مالا لنعمل على نصرهم

وترجيح كفتهم في هذا النضال .

لكنهم لا يأخذون المال عبثا ، ولا بد ان يعملوا شيئـــا ينصرون به النازيـين والطامعين . فكيـف ينصرونهم وكيـف يستحقون أجورهم ؟

ينصرون النازيين بخذلان خصوم النازيين .

ينصرون النازيين بالحملة على خصوم النازيين : بالتشهير في هذا الموقف العصيب بخصوم النازيين : باثارة الاحقاد التي لا موضع لها الآن على خصوم النازيين .

هذا هو الباب الوحيد المفتوح لخدمة النازية وتمهيد مطامع الطامعين في هذه البلاد .

فمن سلكه فهو يخدم الطامعين عامدا أو غير عامد وهو على كل حال حقيق بالاشتباه والاعراض .

فالمصريون والعرب والترك والانجليز والفرنسيون يقفون اليوم في موقف دفاع واحد ، ويتعاونون اليوم عـــلى حراسة واحدة .

ان الذي يوقع بين هؤلاء الحراس أو ينشر الفساد بـين صفوفهم لا يخدم الحراس . بل يخدم اللص الذي يضمر السوء للدار وساكنيها وحراسها على السواء .

وقد يقول القائل من رجال الجيش الخامس : وما الفرق بين الالمان والانجليز ؟

فهنا لا يصح أن يتجه الفكر الى تكذيبه وتفنيده ، أو الى بيان الفرق بين علاقة الحليف وعلاقة المستبد المغير الذي لا يؤمـــن بالحق ولا بالحرية للعالم كله ، وللشرقيين على الخصوص .

كلا . لا يصح أن يتجه الفكر الى هذا فهو أظهر من أن يحتاج الى اظهار .

ولكنه يصح أن يتجه الى شيء واحد ، وهو لماذا يمهد هـذا الرجل للنازيين ؟ ولماذا يقدر انهم فتحوا البلاد الشرقية ؟ ولماذا يزعم أن العلاقة بينهم وبين الشرقيين اذا فتحوا بلادهم ، كالعلاقة بينهم وبين الديمقراطيين ؟

هنا بيت القصيد . وهنا موضع السؤال .

وهنا الحذر أشد الحذر ، ممن يمشون بالفساد بين عناصر الدفاع عن الامم الشرقية تارة باسم الدين والعالم كله يعلم ان النازيين أعدى أعداء الدين ، وتارة باسم الوطنية والشرقيون لا ينتظرون من أعداء الاوطـان الاوربيـة احتراما للاوطـان الشرقية . وتارة باسم التجارة والمرافق الاقتصادية ومـا خرج النازيون الى ميادين القتال ليحفظوا الارزاق ويتفرجوا على أبناء الشرق وهم يأكلون وينعمون .

ان الثقة بايماننا الوطني تدعونا الى الشك في نشر الدعوة النازية من طريق التفريط في الاوطان . فالرجل الذي يقول لنا « لا تهتموا بالدفاع ولا تصدوا المغير » يعرض نفسه للاتهـام السريع وللانكار العنيف .

انما الباب الوحيد المفتوح لهم اذن هو افساد العلاقة بـين الحلفاء ، والسعي بالفتنة بين عناصر الدفاع ، لان الايقاع بين الحراس كما قلنا هو خدمة اللص وخيانة صاحب الدار .

واذا كان هذا الباب مفتوحا للخائن او الدساس فلا شك ان النفوس مغلقة دونه ، وان العقول متيقظة لكيده ، وان الشعب والحكومة معا مستعدون للجيش الخامس وللجيوش الاربعة جميعا حيثما وجب الاستعداد . وهو أوجب ما يكون الآن .

***

هزيمة فرنسا

أتحدث الى حضراتكم (١) عن هزيمة فرنسا الكبرى. وهي كلمة قد درجت الان في الاسماع لكثرة ما ترددت بين الالسنة والاقلام، ولكنكم تذكرون كيف كانت هزتها للأسماع في الصدمة الاولى. فلو ان هزة من هذا القبيل تبعث الموتى لانبعث من في القبور، ولو قيل يومئذ ان « الهملايا » تحول من مكانه لكان في اخلاد بعض الناس أقرب الى التصديق.

كنا نسمع بيان المارشال بيتان لاول مرة ومعنا صديق من رواد العاصمة الفرنسية. فلما بلغ المارشال في بيانه الى موضع التسليم وثب الصديق على فرط حرصه وحرصنا على سماع البيان وهو يصيح: لا أصدق! لا أصدق ... ألأجل أن نذهب بعد اليوم الى باريس وجب أن نحصل على تصديق جواز السفر من برلين!! يا للهول. ان هذا لاعظم مما يطاق.

نعم أعظم مما يطاق.

ولكنه ليس بأعظم مما يكون. ولا سيما في هذا الزمان الذي اشهدنا الاعاجيب بعد الاعاجيب. فأصبحنا نضحك من بيت شاعرنا الحكيم اذا سيق في معرض التمثيل لما نراه.

ولكنها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٢٧٨ ـ ١٨ يوليو (تموز) ١٩٤٠.

فان عجائب الايام كما رآها الشعراء والحكماء وتمثلوا لها ان هي الا فرجة اطفـــال في قرية من قرى الريف المهجــورة بالقياس الى ما نراه الآن .

والمتحدث الى حضراتــكم لم يشهد باريس ولم يجتهد في الرحلة اليها . ولكنني مع ذلك اخذت بالصدمة كما أخذ بها كل رائد من رواد عروس المدائن وكل عاشق من عشاقها ، لانها مدينة يقرأ عنها القارىء ويتخيلها المتخيل فتنطبع لها في ضميره صورة انسانية حية ترتبط بوشائح النفوس والافكار، وليست هي بواحدة من تلك المـــدن المشهورة التي نتخيلها في صـــورة المعسكر المكين أو المصنع الكبير ، أو المعهد من معاهد الاثار ، أو الحلية من حلى الطبيعة التي تزخرفها بين الجبال والبحار .

هالتني محنة باريس حتى قلت :

يوم القيامـــة ؟ لا وربـــك ما
هـــذا بيـــوم تيقظ الرمـــــم

هذا هـــو اليوم الخليـــق بأن
يطغى عـــلى الاحياء بالعـــدم

باريســـ . لم أر منـــك بارقـــة
وأراك فـــي صحوي ، وفي حلمي

وأراك ضاحكـــــة وضارعـــة
فأغيـــب مـــن الم عـــن إلالم

***

ثم سكن العجب ، وبدأ السؤال عن السبب .
أو ذهبت العبرة وجاء أوان العبرة . ولعل هـــذه العبرة

هي النفع الوحيد الذي يجنى من كارثة كهذه الكارثة الجلى ما أعظمها على كل عبرة تستفاد .

***

ما سبب هذه الكارثة . بل ما أسبابها ؟

فان مصيبة فرد صغير تحتاج الى أكثر من سبب واحد ، فكيف بمصيبة أمة كبيرة ؟

وكيف بمثل هذه المصيبة التي لا تقع في الحسبان ؟

والاسباب التي عددوها واطنبوا او اقتصدوا فيها كثيرة بل جد كثيرة . كلها تستحق الذكر وان لم تكن كلها مستحقة للاقناع .

فمنها الاهمال في نسف القناطر ، ومنها تدفق المهاجرين في طريق الجيوش ومنها افشاء الاخبار والاسرار ، ومنها تغلغل الشيوعيين والخونة بين صفوف الجند أو بين المسؤولين عن الاعمال العسكرية ، ومنها كما قال المارشال بيتان ـ شغف الامة باللهو والمنفعة وحبها الاخذ اكثر من حبها الاعطاء ، ايثارا للطمع على المفاداة .

ولكن فرنسا لم تكن في الحرب الماضية اقل حبا للمرح والسرور ، ولم تكن الجاسوسية ولا دعوات الهزيمة غافلة عنها في تلك المحنة القاسية ، ولم يكن هجوم الامس على ارضها أبطأ من هجوم اليوم ، ولم يذكر احد ان دعوة شيوعية أو نزعة الى التمرد قد شاعت بين الجند قبل التسليم ، وكل ما قيل واجملناه فيما تقدم فانما هي اسباب صالحة لتفسير الهزيمة في معركة أو معركتين . ولو طال الوقت لقلنا ان الحرب الطويلة امتحنت اخلاق الامة وفضائل الصبر والجهاد فيها فأسفرت عن

النقص وعجزت عن الثبات ، ولكن الوقت لم يطل حتى يجوز ان يقال انها هزيمة أخلاق أو هزيمة عراك بين عزائم الشعوب.

فالهزيمة في جوهرها أو في اسبابها المباشرة على الاقل هي هزيمة ميدان ، أو هي هزيمة عسكرية ، وليست هزيمة أمة كاملة بكل ما تملك من عناصر الكفاح . فليس من الجائز ان تستنفد امة كالامة الفرنسية طبيعة الكفاح في دمائها بعد شهر أو شهرين ، وليس من الجائز ان تقهر بعد شهر أو شهرين لو كانت وسائلها في الميدان كوسائل الالمان المغيرين .

فمهما يقل القائلون عن الاسباب البعيدة أو القريبة فالسبب المباشر لهذه الكارثة هو سبب عسكري أو هو سبب يتعلق بفنون الميدان والقائمين عليه .

هنا يخطر اسم « الدبابة » على كل لسان ، وتتفق الاراء أو تكاد ان تتفق على الرجوع بعلة الهزيمة الكبرى إلى هذه الآلة الصماء .

ولكن هل يكفي اسم الدبابة وحده لتفسير اللغز وجلاء العلة على وجهها الصحيح ؟

كلا . فان الدبابة سلاح عرفه الفرنسيون قبل ان يعرفه الالمان . بل صنع الفرنسيون الدبابة الضخمة التي تزن من تسعين طنا الى مائة طن قبل ان يسمع عن الالمان انهم يصنعون هذا الطراز .

فليس المهم أن تصنع السلاح ، وانما المهم ان تصنعه لغرض معلوم ، وان تضعه في الموضع الذي يؤدي فيه ذلك الغرض المعلوم .

ولاجل هذا يجب ان تعلم : لماذا تصنع الدبابات ؟ تصنعها

لما لها من مزية الحركة السريعة أو لما لها من مزية القوة المقاتلة ؟ فاذا كانت مصنوعة لسرعة الحركةفقد تصل الى الموضع المطلوب ولا تقاتل ، وإذا كانت مصنوعة لقوة المقاتلة فربما ابطأت عن الموضع المطلوب .

ومع هذا وذاك هل تلاحظ في صنعها الدفاع أو تلاحظ فيه الهجوم !

وبعد ان تصفها مدافعة أو هاجمة ، أو قائمة بالوظيفتين: فكيف توزعها في الميدان ؟ هل تنشيء لها فرقا مستقلة ؟ أو تنشيء لها فرقا تتعاون مع المشاة أو المدفعية أو الطيارات ؟ وهل تكتفي بالاحجام الكبرى منها أو تقرنها بالاحجام الوسطى والصغرى مع تقسيم العمل والمخالفة بين الاوقات والمسافات ؟

واذا كان عدوك في الميدان يملك من هذا السلاح ومن هذا النظام ما تملك ، ويشبهك في الاستعداد والاساليب ، فماذا انت صانع ؟ وكيف تمنعه ان يشل الهجوم بمثله ؟ أو ان يصدك عن الدفاع عند الحاجة اليه ؟

فكلمة الدبابة كما رأينا لا تكفي لتفسير اللغز ولا تغني عن حل تلك المسائل جميعا قبل الاستفادة منها ومن كل سلاح في مقطعه الصائب ومضربه النافذ وهدفه الذي يرمي اليه .

والان تصل الى اعجوبة الاعاجيب ، ونقيضة النقائض ، وسخرية القدر الذي ينعم بالبلوى ويبتلي بالنعمة كما يقول أبو تمام :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت

ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فان الطريقة التي اعتمدت عليها المانيا في تسخير سلاح

الدبابات والفرق المدرعة طريقة فرنسية وليست بالمانية ، وقد نادى بها الخبراء من الفرنسيين قبل قيام هتلر في الحكـم ، فعملت بها القيادة النازية واهملتها القيادة الفرنسية .. وهذه هي النقائض التي تجري بها سخرية الاقدار .

وقد تردد اسم الجنرال دي جول De Gaulle في الشهر الاخير فعاودني اسمه معاودة الاسم المعهود الذي أوشك ان يطويـه النسيان ، ثم ذكرت حملته وحملة اخوانه الذين يرون مثـل رأيه ، فاذا بالرجل شهيد في عالم الاحياء . لانه قد شقي بمن أهملوه وبمن أجابوه : شقي بقومه الذين علمهم فلم يتعلموا ، وشقي باعدائه الذين اجابوا دعوته على الرغم منه . وهكذا يكون اجتماع البليتين في الاجابة والاهمال .

وكان له زميل في الدعوة اسمه الجنرال اليهوت Allehaut يقاربه في النزعة ويحذر قومه أشد التحذير ان يتكلوا على خطط الدفاع دون خطط الهجـوم وينادي من خمس سنـوات : « اننا لنخدع الامة اذا قلنا لها ان القواعد الدفاعية كفيلة لهـا بكل ما تطلبه من الامان » ويؤكد مرة بعد مرة ان الحرب مـا تزال ولن تزال حرب حركة ، وانه لا غنى عن الاستعـداد بوسائل المفاجآت في الهجوم والاختراق .

وكلما راجع القارىء أقوال دي جول واليهوت وزملائهما خيل اليه انه يقرأ أوصاف المعارك في هذه الايام .. ولكنهـم عورضوا معارضة شديدة في طريقة تنظيم الدبابات حتى من القواد الذين كانوا ينكرون خطة الاعتماد عـلى الدفاع دون الهجوم ، ولم يستمع اليهم من رجال السياسة غير بول رينو الذي كتب في الباري سوار Paris-Soir قبل الحرب الحاضرة

بثلاث سنوات يقول : « لا شك في نفع هذه الفرقة المدرعة الخفيفة ، ولكن اثرها لا يمكن ان يضاهي الاثر الفعال الذي تحدثه الفرق الالمانية . نعم اننا بدأنا في بناء الدبابات المستحدثة ولكننا لا نزال متخلفين في المقدار ، ولم نقرر بعد على وجه حاسم كيف يكون استخدامها في الميدان » .

فأين ذهبت هذه الصرخات ؟ وكيف وقع هذا الاهمال !

الامر الذي لا جدال فيه ان تعويل فرنسا على الدفاع كان له دخل في اغفال ما عداه . وتضييق الدراسات التي كان ينبغي ان تتناول عوارض الحروب في جميع الاحتمالات .

الا ان الآفة قد اصابت القيادة الفرنسية من اصرارها على تخطئة الاساليب الحديثة . لا من القول باستغنائها عن تلك الاساليب .

والقيادة الفرنسية كما تعلم تتوارث التقاليد والنظام في أقدم الجيوش الاوربية وأوثقها اتصالا بماضيه المجيد . وهذا هو موضع القوة في تلك القيادة وهو أيضا موضع الضعف كلما تكاثرت المخترعات وتتابعت الحاجة الى التجديد .

فطول العهد بالنظام قوة لا شك فيها .

ولكنه ضعف كذلك لا شك فيه . اذا هو أدى الى قيام كهانة عسكرية كالكهانة الدينية العتيقة . تستخف بالبدع المستحدثة . وتنظر اليها نظرتها الى الثرثرة والفضول والتطفل على الاسرار ممن لا يؤذن لهم بالخوض في تلك الاسرار .

ومن هنا استحكمت الآفة وضاعت صرخات المنذرين ودعوات المجددين . واستخف بها « ذوو الشأن » استخفاف الواثق بعلمه وفهمه . المزدري بفضول المتحذلقين والمتشدقين .

وانظروا الى عجائب القضية إلتي لا ينتهي العجب منها . ولا تخرج من النقيضة من نقائضها الكثيرة الا الى نقيضة اشد منها وأدهى .

فهذه فرنسا مهد الحرية تأتيها الهزيمة من ناحية الاستبداد . وهذه المانيا معقل الاستبداد يأتيها النجاح من ناحية الحرية . فهي قد خلت من طبقة القواد الاقدمين فكان هذا نكبة فادحة في طيها نعمة راجحة . وهي نعمة الطلاقة في ميدان التجديد . غير عابئة بالسوابق والتقاليد .

***

تقدست آلاؤك ايتها الحرية السماوية : من نفحاتك النصر ولو في معسكر الغاشمين . ومن نكساتك الهزيمة ولو في معسكر الاحرار . ولله في خلقه شؤون .

* * *

الهجوم على الجزر البريطانيّة

كان منتصف يوليو (تموز) موعد الهجوم الالماني على الجزر البريطانية (١) ، وقيل في رواية أخرى أعرق في النازية انه كان موعد احتلال العاصمة الانجليزية . وانتظر الناس هذه الاسلحة الجديدة التي أعدت خصوصة لبريطانيا العظمى ، لان النازية على ما يظهر كهواة الازياء الذين لا يذهبون الى مجلسين في زي واحد .. فهي كذلك لا تذهب بسلاح واحد الى ميدانين.

وأوشك يوليو ان ينتهي ولم يبدأ الهجوم ولا بدأت مقدماته ... فقيل أنه تأجل الى موعد آخر ، وقيل انه تحول الى ناحية أخرى ، وقيل ان الحكاية كلها حرب أعصاب لا حرب صراع وضراب . فلا هجوم ولا شروع في الهجوم ، وانما هو ايعاء وارعاد ، يراد بهما ازعاج الجزر البريطانية أو ابقاؤها على قدم الاستعداد .

ونحن لا نجزم بعزم هتلر على الهجوم ، ولا بعدوله عنه ، ولكننا نجزم بأشياء حاصلة لا سبيل الى الشك فيها ، ومن شأنها ان تغير الخطط الهتلرية ان صح ان النية كانت متجهة اليها .

فقد كان هتلر يرجو أن يعتقل الحملة البريطانية بأسرها

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٢٢٨ ـ ١٠ أغسطس (آب) ١٩٤٠ .

في الارض البلجيكية ، وكان يقينه شديدا باعتقال تلك الحملة بعد تسليم الملك ليوبولد على حين غرة .

وكان هتلر يرجو أن يسوق الانجليز الى شرك كبير ينصبه لهم في الارض الفرنسية وكان من ظنونه المحتملة أو المرجحة ان الانجليز يجازفون بارسال جيوشهم كلها ـ أو معظمها ـ الى ميادين فرنسا حيث يبتلعها التقصير بعد التقصير كما ابتلع الجيوش الفرنسية . وربما تمهل في الهجوم بعد غزوة البلجيك استدراجا للانجليز الى الشرك المنصوب . فاذا وقعوا فيه خلت الجزر البريطانية من حاميتها الكبرى ، ولم يبق فيها من تلك الحامية الا القليل الذي لا يدفع الغائلة .

كان هتلر يرجو هذا وذاك ويرجو معهما أن يستولي على أسطول فرنسا غنيمة باردة . فلم يتحقق رجاؤه في جميع هذه الامور .

ولقد كان معقولا على الطريقة النازية ان يفكر هتلر في الهجوم على بريطانيا العظمى اذا تحقق له كل ذلك الرجاء .

فالاساطيل الفرنسية والالمانية والايطالية تشترك في نقل الجنود الى بريطانيا العظمى أو في حراسة السفن التجارية التي تتولى نقلها ، أو في ضرب الشواطىء التي يمتنع فيها انزال الجنود .

والطيارات والمظلات الواقية تهبط بالكتائب المتفرقة لتعيث في انحاء البلاد ، وتدمر ما تستطيع تدميره من الطرق والمصانع والمراكز العسكرية .

والجزر البريطانية تكون يومئذ خالية من حاميتها الكبرى ، فلا تقوى على ملاحقة هؤلاء المغيرين في كل مكان .

والشعب البريطاني يكون يومئذ على الحالة التي يبتلى بها شعب توالت عليه الضربات بعد تسليم فرنسا وضياع الجيوش البريطانية فيها ، وقلة المدافعين عنه في بلاده فلا يصبر على المقاومة ، ولا يبعد على تقدير هتلر ان تسري العدوى الى أساطيله البحرية كما سرت عدوى الهزيمة الى الاسطول الالماني في الحرب الماضية . برفض القتال ورفع راية العصيان .

كان جائزا ان يدخل هذا وأشباهه في تقدير هتلر ، لو صح حسابه ، وتهون عليه المجازفة .

ولكن الحساب المرجو قد اختل من جميع نواحيه .

فالحملة البريطانية الى بلجيكا عادت الى بلادها كأسلم ما تعود الحملات التي تركب البحر ، وتدفع في الوقت نفسه عدوا يفوقها عدة أضعاف .

والجيوش التي تحمي الجزر البريطانيـــة لم تسقط في الشرك الذي ودوا لو يسوقوها اليه في الميادين الفرنسية . وقد زاد عدد هذه الجيوش ، ولا يزال كل يوم في ازدياد .

والاسطول الفرنسي لم يصل الى الايدي النازية ، ولا ينتظر ان يصل اليها .

والسنيور موسوليني قد أثبت بالدليل القاطع ، بل بالادلة القاطعة الكثيرة ، أنه شديد الحرص على أسطوله فلا يقذف به في المغامرات الالمانية ، ولا يريد أن يصبح بعد المغامـــرة بـــه رهينا برحمة النازيين في البر والبحر والهواء .

والشعب البريطاني واقف على قدميه ، صامد لنضاله ، لم يركع على الركب لاول اشارة من اشارات الصلح ، ولا أمل في اخضاعه بالتهديد والوعيد .

فاذا كان هتلر قد اعتزم الهجوم من قبل حقا وصدقا — ففي هذه التقديرات التي اختلت ، وفي هذه العوارض التي عرضت مدعاة للتردد ومراجعة الحساب ، ان لم نقل للعدول عن هذه المجازفة كل العدول .

ولهذا يرجح بعض الخبيرين انه سيحارب بريطانيا العظمى بأساليب شتى غير أساليب الهجوم على أرضها .

وأول هذه الاساليب الرجوع الى الحصار القديم المعروف : حصار الغواصات والالغام ومطاردة السفن التجارية والاغارة على المدن بالطيارات .

ومنها تحريض اسبانيا على دخول الحرب لانتزاع جبل طارق والانتقال بالحرب الاوربية الى ميدان واسع في افريقيا الشمالية .

ومنها السيطرة على طريق البلقان والايقاع بين روسيا وتركيا عسى أن تنفتح طريق برلين الى بغداد .

وهذه وأمثالها محاولات معرضة للنجاح والاخفاق . فليس من الضروري أن يتعلق بها رجاء هتلر ليتحقق له ما يرجوه .

الحصار الالماني المزعوم لا يقطع على الجزر البريطانية سبل البحار ، ولا يصيبها على أقصاه في اكثر من عشر ما يخرج منها ويصل اليها . وستزداد الموارد في المستقبل بعد تنفيذ المشروع الكبير الذي ترمي به الولايات المتحدة الى شراء جميع الحاصلات الامريكية ومنع تصديرها بعد ذلك الا بترخيص . ومعنى ذلك انها تصل الى الجزر البريطانية ولا تصل الى النازيين .

واسبانيا قد تقدم على الحرب وقد تحجم عنها . ويأتي بعد

ذلك دور النضال حول جبل طارق . ثم يأتي دور الجيوش وانتقالها الى الضفة الافريقية ، وجميع أولئك محفوف بالمخاطر والاهوال .

أما روسيا فلا يدري أحد لماذا تفتح بيديها للنازيين طريق القارة الاسيوية ، ولماذا تأمن النازيين في هذا الشوط البعيد وهم لا يؤمنون .

وعلى فرض أبعد الفروض فهذه المحاولات كلها من الاشياء التي تضايق ولا تتعدى المضايقة الى القهر والارغام .

ومن البديهيات ان الانجليز سيضايقون النازيين أيضا ولا يكتفون باحتمال المضايقات . فاذا حوصروا حاصروا ، واذا أغير عليهم أغاروا ، واذا انتهى دور الاستعداد للدفاع فقد يبدأ دور الهجوم ، ثم يطرد بعد ذلك باطراد الزيادة في اساطيل الهواء والماء .

وأشد المضايقات التي يستطيعها الانجليز بغير جهد كبير انهم سيضطرون هتلر الى ابقاء الحالة في أوربا معلقة معطلة ما دامت الحرب قائمة ، لانه يخشى ان يكشف عن مطامعه الحقيقية قبل انتهاء القتال ، فانها مطامع أشعبية تثير عليه الحلفاء والاعوان ولا يسهل تنفيذها بغير استقرار . أما تسوية الحالة الاوربية بغير تحقيق تلك المطامع فهي والفشل سواء .

وما دامت وسائل الحرب على ما هي عليه الان فهتلر لا يملك الارغام ولا يملك التخيير ، لانه هو نفسه لا يملك أن يختار ، ولا يخرج بعد اليوم من اضطرار الا الى اضطرار ، لقد وصل الى الصخرة التي أعيت قرون الوعول من قديم الدهور ، وصل الى صخرة السيادة العالمية والسيادة العالمية مطلب مستحيل ـ استحال في عهد رمسيس ، واستحال في عهد

الاسكندر ، واستحال في عهد أتيلا ، واستحال في عهد جنكيز ، واستحال في عهد نابليون ، وأنه لاحرى ان يستحيل في هـــذا الزمان .

ان هتلر قد خير الانجليز بين الهجوم وبين الصلح كمـــا يريد ، فاختاروا الهجوم وأحسنوا الاختيار .

لان الهجوم خطر مشكوك في حصوله ، ومشكوك في نجاحه اذا حصل .. أما الصلح كما يريد هتلر فخطر لا شك فيه .

على انه لو عرض صلحا مقبولا في ظاهره لما كان مأمون القبول .

فانه يخالف شروطه في اليوم التالي لعقده ، ولا يعيبه أن يجد ذريعة للمخالفة كالذرائع الكثيرة التي وجدها حتى الساعة لنقض جميع العهود .

فما الذي يمنعه أن يتحكم في تجارة الامم والا قطع عنهـــا الموارد الاوربية الخاضعة لامره ؟

بل ما الذي يمنعه بعد عقد الصلح ان يغير على الاساطيل البريطانية وهي آمنـــــة ؟ لقد أغار على البلجيك وهولنـــــده والدانمرك والنرويج وليس بينه وبينهن تنافس أو عداء . فما الذي يمنعه أن يغير على ما يشاء حين يشاء ؟

اذا تردد في هذا فهل يتردد في فرض المطالب الثقيلة . وفي تعريض الامم للاهانة والتحقير ؟ وهل في كل لحظة تستطيع الامم أن تجمع أزوادها وتحشد أجنادها وتجتهد اجتهادا لدفع الهوان بامتشاق الحسام ؟

فصلح هتلر أخطر من هجومه على الجزر البريطانية في رأي الانجليز .

وبقي أن نترقب شهر اغسطس بعد ان فرغ شهر يوليو.
ولكن هل هو يوليوس أو أغسطس الذي أغار من قياصرة الرومان على الجزر البريطانية ؟
هناك خطأ في الفأل ، وهتلر ممن يعتقدونه ! ..
فاذا جاء أغسطس ، فأكبر الظن انه سيثبت في أيامه نبوءة واحدة ، وهي ان الهجوم خرافة من الخرافات ، و ... « ان قرارها قريب . ولكن دون ذلك أهوال » .

***

بَعْدَ عام

مضى عام كامل(١)على ابتداء الحرب الاوربية التي أوشكت ان تصبح حربا عالميا ، وننظر الى الخريطة الاوربية فاذا التغيير الذي تم خلال هذا العام الواحد شيء كثير ، ولكننا اذا سألنا انفسنا ، هل جاوز المتوقع ؟ وهل حدث فيما حدث أمر جاوز الحسبان ؟ فالجواب على ذلك باجماع الاراء ان العام الفارط لم يغير ما كان في حسباننا الا في مصير فرنسا دون غيرها . أما البلجيك وهولنده والاقطار الشمالية فقد كان حديث السطو عليها ومعها سويسرة والمجر ويوغسلافيا في جميع الافواه ، وكل ما كان المختلفون يختلفون عليه موعد البدء وترتيب الهجوم ، ولكننا لم نسمع قط أحدا استبعد من حسابه هجوم النازيين والفاشيين على ارض مجاورة لهم ، ولو لم يكن بينها وبينهم عداء أو موجب للاعتداء .

وربما صح ان يقال ان التغيير الذي تم في العام الفارط كان دون المتوقع في بعض الفروض والتقديرات ، فقد كان أناس يتوقعون ان تشترك ايطاليا في الحرب قبل الموعد الذي اشتركت فيه ، وكان أناس يتوقعون ان تظهر المعاونة الروسية الالمانية على صورة أوسع وأفعل من الصورة التي ظهرت بها الى

---

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٢٨٧ ــ ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٠ .

هذه الساعة ، وكان غير هؤلاء وهؤلاء يذكرون أمما شتى تنساق الى الحرب قبل انصرام العام ، وقد انصرم العام وهي ما تزال بعيدة عن الميدان .

فكل ما حدث لم يتجاوز المتوقع المنظور الا في مصير الدولة الفرنسية ، لان أحدا من مراقبي الاحوال لم يخطر له على بال ان معركة فرنسا الكبرى تبتدىء في منتصف شهر مايو وتنتهي في منتصف شهر يونيو ، فلما وقعت الكارثة كانت المفاجأة مدعاة الى خطأ كبير في وزن القوى والنظر الى العواقب ، فوقر في الاوهام ان النازية بلاء لا يدفع ، وان كل حيلة من الحيل فيه لا تغني ولا تنفع . ثم أخذ الخطأ ينكشف قليلا قليلا حتى استقرت الحقيقة في نصاب ، ووجب أن نفهم اليوم ان المبالغة في قوة فرنسا هي العبرة الصحيحة التي استفدناها من تلك المعركة الكبرى ، وان المبالغة في قوة النازية خطأ عظيم .

ان معركة فرنسا الكبرى قد أظهرت لنا أول الامر ان النازية أقوى جدا مما كنا نفهم ونتخيل ، فلما استقرت الامور ظهر لنا خطأ تلك المبالغة وذلك التهويل . فنحن لم نجهل قوة النازية ، بل جهلنا ضعف فرنسا ، كائنا ما كان موضع هذا الضعف ومبلغ انتشاره في أطواء البلاد .

فالاهمال والتفكك والجاسوسية والاتصال بأعداء الدولة وغرور القواد والرؤساء وتواكل بعضهم على بعض وجمودهم على القديم ـ كل أولئك عجل بالهزيمة العسكرية قبل أن ترزق الامة الفرنسية من يشد عزمها ويبتر سوسها كما فعل كليمنصو في الحرب الماضية . ولم ينحصر الامر في الاهمال قبل الحرب وقبل الهجوم الالماني العنيف ، بل تعداه الى الاهمال في ابان الهجوم والدفاع . فثبت ، عدا ما ثبت من نسيان القناطر

والجسور والارض – الصالحة للاغراق ، انهم لم يضعوا نظاما لتبديل الجنود في الدبابات والمركبات المصفحة وهم لا يستبدلون في اثناء القتال ، فاضطر كثير من الجنود الى مواصلة القتال ليلا ونهارا بضعة أيام ، ومن ورائهم جنود مستريحون لا يستفاد منهم بشيء ، وأمامهم فرق ألمانية يأتي فوج منها بعد فوج وهم مستريحون ناشطون ، ليأخذ مكان الفوج الذي نهكته المعركة مدى نهار واحد أو ليلة واحدة .. وقس على هذا ما يدل عليه من ضروب التقصير والتفريط والذهول .

فخلاصة ما يقال في مطلع العام الثاني أن وزن القوى الان ميسور مستقرب ، فلا مبالغة في قوة النازيين ولا مبالغة في قوة خصمهم الذي صمد لهم وهو بريطانيا ومن يعاونونها ، لان حلقة الصراع مكشوفة ليس بها خفاء .

وكان اناس من فرط ما هالهم من مصرع فرنسا يظنون ان مصرع بريطانيا مسألة أسابيع .

واشاع النازيون أنهم واصلون الى لندن فعاقدون الصلح فيها في منتصف شهر يوليو ، ثم أجلوا الموعد الى منتصف شهر أغسطس ، ثم عادوا اليوم يقولون انهم لم يضربوا موعدا للعاصمة الانجليزية .. كأنهم لا يريدون الوصول اليها أو اخضاعها قبل دخول الشتاء .

وقلنا وشهر اغسطس مقبل انه سيثبت نبوءة واحدة : وهي ان الهجوم المزعوم خرافة من الخرافات ، وان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال ..

فاليوم نقول مثل ذلك عن شهر سبتمبر الذي نحن فيه ، ولو شئنا لاسلفنا القول عن جميع الشهور .

فكل ما يصنعه النازيون الان هو بديل من الهجوم الكبير ، أو هو المستطاع لان ذلك الهجوم غير مستطاع .

فالطائرات تغير بالعشرات ثم بالمئات أو تغير بالليل ثم تغير بالنهار ، أو تغير على الاهداف العسكرية ثم تغير على جميع الاهداف وعلى غير هدف مقصود ، أو تغير مرة في اليوم ثم تغير بضع مرات .

كل هذا لا جديد فيه وقد كان مستطاعا قبل عام ، أو كل هذا بديل من الهجوم الكبير وليس بالهجوم الكبير . وغاية ما فيه من الجدة أن الشواطيء اقتربت والمطارات تلاحقت ، وهي لا تقترب لمصلحة الهاجمين دون مصلحة المدافعين ، بل تقترب لمصلحة الفريقين .

أما اطلاق المدافع من الشاطيء فقد كان مستطاعا في الحرب الماضية ، ولكنه لا يغني الآن الا كما كان يغني قبل نيف وعشرين سنة .

وعلى هذا أسفر امتحان العام الماضي لسلاح الخصمين عن نتيجة لا تسر النازيين .

فالدبابات والمصفحات والطيارات هي السلاح الخاص للنازيين .

والاسطول هو السلاح الخاص للانجليز .

وامتحان كل سلاح خاص عند الخصمين لا يدل على فشل الاسطول ، بل يدل على أن الدبابات والمصفحات لا تنفع في هذا الميدان ، وان الطيارات تصاب أضعاف ما تصيب ، وان بريطانيا قادرة على مجاراة المانيا في دباباتها ومصفحاتها وطياراتها ، ولكن المانيا غير قادرة على مجاراة بريطانيا في السفن على اختلافها من حربية وتجارية .

ومن المحقق أن بريطانيا تملك اليوم من سفن التجارة أكثر مما كانت تملك في مثل هذا اليوم من السنة الماضية، وان النقص في الاسطول الحربي آخذ في التعويض بل في المزيد ، خلافا للاسطول النازي الذي اختفى تحت الماء أو بين أحضان الموانىء. فليس له فوق الماء ظهور .

ولا شك أن موارد الطعام والصناعة أوفر الان عند الالمان مما كانت قبل شهور ، ولكنها تجر معها من المشاكل السياسية والتجارية والنفسية ما لم يكن له وجود قبل تلك الشهور .. واذا طالت الايام فالالمان أنفسهم سيسألون : ما عاقبة هذا القتال ؟ وماذا وراء فتح فرنسا والنروج وما بينهما ؟ وأين هي الغاية التي يرمي اليها هتلر ان كانت له غاية ؟ فان الرجل الذي يشتري بيتا لا يكتفي ببيع أنقاضه ومخاصمة شركائه وبذل الاجرة لبوابه ، ولكنه يبحث له عن ساكن وعن عوض للثمن والاجرة . وهتلر قد بذل حتى الساعة ثمن البيت بل أثمانه ، ولا يزال مستغلا للانقاض والبوابين ، ماضيا في خصومة الشركاء .

***

ونلتفت الى الشريك الاخر للمحور وهو ايطاليا فنرى انها في هذه المباراة كاللاعب الذي يضرب الكرة اذا وصلت إلى الخيط الممدود حول الميدان ، ولكنه لا يخطو في هذا الميدان خطوة واحدة، الا اذا خلا من الانداد والمكافحين .

فالاسطول الإيطالي لا يقل عن الاسطول البريطاني فيالبحر الابيض المتوسط ولكنه قد آثر الحجاب .

والجيوش التي على حدود طرابلس شرقا وغربا تطيل التردد

ولا تدري متى يكون الهجوم ، أو متى يكون الانصراف . وكلما طرأ في أوربا الشرقية طارىء كان الحكم الفصل فيه لهتلر أو ستالين ، وليس لموسوليني رأي معدود ويحق لنا أن نفهم من هذا الموقف أن موسوليني لا يثق بصاحبه ، ولا يثق بالنصر الا حين يقع النصر تحت عينيه كما حدث في الساحة الفرنسيةوانهما لا يتفقان على المصير ، ولكنهما يتعللان بارتقاب بعض الطوارىء .

ولا شك أن الطيارات الايطالية كثيرة في مطاراتها المختلفة ، فلماذا لا تبدأ حركاتها الشاملة كما بدأت طيارات النازيين حركات الهجوم على البلاد الانجليزية ؟

ان النتيجة ليست على ما يظهر واضحة القرار ، وان النهاية التي تؤدي اليها البداية ليست محدودة على وجه اليقين ، ولهذا يبدو التردد والاحجام ، ويكثر التحفز والانتظار .

***

اننا لا نحصي هنا حوادث العام ، ولا نريد أن نتجاوز الخلاصة بالخط العريض كما يقولون .

والخلاصة أن العام قد وزن القوى كما اسلفنا ، فتبين سلاح الفريقين ، ولم يتبين ان السلاح الراجح هو الذي في أيدي النازيين ، ولا ان الفتح وكسب الحرب شيئان مترادفان .

بل لم يتبين ان النازيين تجاوزوا الحد المعقول لهم فيالسطوة والاقتدار ، وانما تبين بعد انكشاف النكبة الفرنسية أنهم لم يبلغوا كل ما ينتظر من ثمانين مليون انسان ، انفقوا ما يملكون من جهود العقل والجسم والمال على الحرب وحدها منذ سبع سنوات في حكم النازيين ، وبضع سنوات في حكم أسلافهم السابقين .

واذا امتد بنا الاجل الى مثل هذا اليوم من العام القابل فماذا نرجو ان نقول ؟

نرجو أن نقول ان العـام الثاني للحرب قـد اثبت نبـوءة أخرى : وهي أن الهجوم النـازي على العالـم كلـه خرافة من الخرافات ، وان الامنية النازية قريبة في الخيال ، ولكن دون ذلك أهـوال .

***

القوّة البحريّة الإيطاليّة

كلما اتجهت الانظار الى البحر الابيض المتوسط ، كثـر التساؤل عن القوة البحرية الايطالية (١)، كم هي ؟ وما خصائصها ومزاياها ؟ وماذا تستطيع اذا اشتبكت مع غيرها في قتال .

وقد اتجهت الانظار كثيرا الى البحر الابيض المتوسط في الاسبوعين الاخيرين ، لاشتداد الازمات في البلقان ووصول النجدات البريطانية بحرا من طريق جبل طارق الى هذه البلاد ، وتقدم الايطاليين في برقة الى طرف السلوم على الحدود ، وغير ذلك من دواعي الاهتمام بمصير الامور في هذا البحر الخطير ، الذي تقررت فيه مصائر الدول في ادهار طوال .

فمن المناسب أن نجعل حديثنا عن الاسطول الايطالي ، وما ينتظر منه في الصراع الحاضر ، اذا اشترك فيه .

والاساطيل ، كما نعلم ، قد أصبحت في هذا العصر قومية التركيب كأنها ضرب من النبات ، يختلف باختلاف الاقليم ، فكما يقال « قطن مصري » و « قطن هندي » يصح أن يقال « اسطول ايطالي » واسطول الماني واسطول هولندي .. لان الاسطول الذي تحتاج اليه دولة تستخدم سفنها في ثلاثة بحار منعزلة كالدولة الروسية غير الاسطول الذي تحتاج اليه دولة كالسويد

---

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٢٨٩ ــ ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٠ .

أو النرويج ، لها تجارة ولكنها لا تحميها بالسفن الحربية ، ولا تبتعد بسفنها الحربية عن شواطئها القريبة .

وقد تتساوى السويد وهولندة مثلا في الشأن السياسي والمكانة العالمية ، ولكن هولندة تملك المستعمرات وراء البحار ، فلا بد أن يظهر لذلك أثر فيما تبنيه من السفن وتدخره من العدة البحرية .

والمعول عادة في تركيب الاساطيل أن تتقيد بالموقع الجغرافي والعلاقات التجارية والمكانة العالمية ، وبأنواع السفن أو الاسلحة التي تبنيها ، ومقدار امتداد قواعدها البحرية في ارجاء العالم .

ولهذا كان تركيب الاسطول الايطالي متقيدا بجميع هذه الاعتبارات .

فهو اسطول كبير ، حديث البناء ، محكم الهندسة ، ولكنه محدود بالموقع الايطالي والثروة الايطالية في تركيب أجزائه واختيار أنواع السفن التي يتألف منها في مجموعه .

ومن آثار ذلك انه فقير في المدرعات الكبيرة لا يحتوي منها أكثر من أربع قديمة على طراز الدردنوت الذي كان شائعا قبل الحرب الماضية ، ثم تجدد بناؤها وتم تجديدها على النمط الحديث جهد المستطاع في هذه السنوات .

وفيه من الطرادات الضخام سبعة بينها اثنان على طراز نلسون ورودني الانجليزيين ومن الطرادات الخفاف بضعة عشر طرادا غير التي تبنى في الاحواض ، وفيها أجهزة خاصة لبث الالغام .

أما نصيبه من القطع الصغيرة كالمدمرات والغواصات

وزوارق الطربيد فكبير ، اذ تبلغ غواصاته أكثر من مائـــة ، وزوارقه على اختلاف أحجامها نحو المائتين .

ومن الاشياء التي تقيد فيها الاسطول الايطالي بموقع بلاده وثروتها ان غواصاته تصلح للعمل في البحر الابيض المتوسط ، ولا يصلح منها للعمل في البحر المحيط أكثر من سبع أو ثمان .

ومنها انه يشتمل على قطع لا مثيل لها في الاساطيل الاخرى ، وهي الصهاريج التي تحمل الماء العذب وتحتاج الى حراسة دائمة ، وهي نحو عشرين تتفاوت بين صغيرة تحمل أربعمائة طن وكبيرة ترتفع حمولتها الى ثلاثة آلاف وبضع مئات .

وسبب انفراد ايطاليا بهذه القطـع أو بهذه الصهاريج ، ان بعض قواعدها البحرية يحتاج الى ماء الشرب ولا يصل اليها الا منقولا من الارض الايطالية ، كقاعدة جزيرة ليروس وهي مـن أهم القواعد البحرية والجويـة ، وقاعدة جزيرة « بانتللاريا » وهي صخرة قاحلة لا نبات ولا ماء فيها ، وقواعد بنـي غـازي وطبرق وسائر الشواطىء الطرابلسية ، وهي لا تخلو من المـاء العذب كل الخلو ، ولكنها لا تحتوي منه ما يكفي جنود الجيش والاسطول .

كذلك تنفرد ايطاليا بالزوارق الصغيرة المسماة عندهـم بالبعوض ، وهي زوارق سريعة تبلغ سرعتها ٥٥ ميلا في الساعة ، ويحمل الواحد منها طوربيدين وقذائف أعماق لمقاومة الغواصات ومدفعا رشاشا لمقاومة الطائرات ، ولا تزيد حمولته على بضعة عشر طن أو نحو العشرين .

ومزية هذه الزوارق السرعة والخفة وقلة التكاليف ، وعيبها انها لا تسير الى أمد بعيد ولا تحتمل الضربات القويـة لرقـة صفيحها وسهولة عطبها .

وأصاب من سماها البعوض لانه دل بهذه التسمية على ما يراد منها وما تستطيعه اذا امكنتها الفرصة . فهي مقلقة كالبعوض في لسعه وطنينه ، فقد تميت اذا تمكنت جراثيمها من الاصابة ، ولكنها تعالج بالتطهير فتتهافت كما يتهافت البعوض .

والمظنون انها لا تعمل الا بمساعدة الطائرات من قاذفات القنابل ، وانهم يعولون عليها في منع المدمرات من الاقتراب .

واستغنى الايطاليون عن حاملات الطائرات باضافة أربع طائرات الى كل طراد كبير وهم مقيدون في هذا أيضا بموقع ايطاليا وموقع مستعمراتها . فليس من المنظور مثلا أن تتمادى في الحرب الى أقصى البحار في مختلف القارات ، لتستخدم سلاح الماء والهواء في هجوم مفيد ، وحسبها ما في مستعمراتها من القوة الجوية التي تتقارب بينها المسافات .

هذه عجالة مختصرة عن السفن وتنويع تركيبها وحجمها .

أما القوة العسكرية في الاسطول فزهاء أربعة آلاف من الضباط وسبعين ألفا من الجند ، ونحو ٤٠ ٪ من هؤلاء الجند بحارة قدماء في الخدمة ، والستون في المائة الباقون من المجندين الذين يقضون في العمل العسكري ثمانية وعشرين شهرا ، ثم يسرحون .

والذي يستخلص مما تقدم ان الاسطول الايطالي معد للدفاع عن شواطيء بلاده ولتعطيل مواصلات أعدائه في مواقع محدودة من البحر الابيض المتوسط . أما المعارك أو الملاحم بين الاساطيل فهو مضطر فيها الى اختيار عدوه وانتظار فرصة ، فيستطيع مثلا أن يهجم على اسطول دولة صغيرة بغير مبالاة ، ويستطيع أن يتعرض لطائفة من السفن تنفصل عن اسطولها الكبير ، ولكنه يتردد بل يطيل التردد قبل الالتحام بأسطول كامل

التركيب مزود بالسفن الضخام ، وشأنه في ذلك شأن الاسطول النازي الذي اجتنب حتى الساعة خطة المنازلة والمبارزة ، واكتفى بالاغارة الفردية في أول الحرب ثم عدل عنها شيئا فشيئا بعد نكبة الجراف سلبي في أمريكا الجنوبية .

وستظهر الايام المقبلة قيمة الاسطول الايطالي في الاغراض الحربية حين يخرج من عزلته ويتحرك لاثبات وجوده .

أما في الماضي فليس في سجل هذا الاسطول معركة واحدة ظفر فيها بأعدائه ، وفي سجلاته على نقيض ذلك معركة واحدة محفوظة بتفصيلاتها لانها أول معركة من قبيلها في تاريخ البحار الحديث ، وهي معركة جزيرة « ليسه » Liss التي استخدمت فيها السفن المصفحة لاول مرة ، وكانت السفن قبل ذلك تبنى كلها من الخشب كما هو معلوم . فدارت فيها الدائرة على الاسطول الايطالي وهو أكبر الاسطولين المتحاربين عددا وعدة ، وكانت لهزيمته ضجة طويلة كثرت فيها تعليقات الخبراء ، واستفاد منها بناة السفن وقادة البحار .

وقعت المعركة بين الاسطولين الايطالي والنمسوي حول تلك الجزيرة ببحر البنادقة في العشرين من شهر يوليو سنة ١٨٦٦ وكان الاسطول الايطالي مؤلفا من عشر سفن مصفحة وسفينتين مصفحتين بعيدتين من الجزيرة ، واثنتين وعشرين سفينة خشبية بعضها وافي العدة وبعضها قليل السلاح .

وكان الاسطول النمسوي مؤلفا من سبع سفن مصفحات وسفينة واحدة خشبية وزوارق قليلة .

ولكن أمير البحر الايطالي ــ برزانو ــ Persano اخطأ في كل عمل من أعماله على وجه التقريب ، اخطأ في اختيار الموقع واخطأ في صف السفن وترتيبها ، واخطأ في التسرع بابتداء

القتال ،واضطرب رجاله فكانوا يحشون المدافع بالبارود وينسون القذائف ، ثم أضاف الى هذه الاخطاء كلها انه انهزم وعز عليه الاعتراف بالهزيمة مع تفاوت العدد بينه وبين أعدائه ، فأبلغ حكومته انه انتصر وأوقع بالاعداء ، ولم يكن في الوسع اخفاء الحقيقة والعالم كله متتبع لاخبار المعركة متطلع الى نتائجها ودلالاتها ، لانها كما قدمنا أول معركة من قبيلها في تاريخ البحار الحديث .

فلما انكشفت الهزيمة بعد الابتهاج بالنصر المزعوم والاحتفال به في طول البلاد وعرضها - ثارت الامة المخدوعة ثورة الغضب الجامح وحوكم القائد المنكود ، فحكم عليه قضاته بالفصل من الاسطول .

ثم جاءت الحرب الماضية وانتظر الناس ان يشتبك الاسطولان الايطالي والنمسوي في بحر البنادقة ، وأن يمحو الايطاليون أثر الهزيمة التي أصابتهم في ذلك البحر قبل خمسين سنة ، ولكن الحرب الماضية انقضت دون أن يشتبك الاسطولان.

وجاءت الحرب الحاضرة والاسطول الايطالي مصر حتى الساعة على اجتناب القتال ، معرض للهزيمة حيث اشتبك على الرغم منه في بعض المصادفات .

ويتعجل من يفهم من هذا ان القوة البحرية خلو من الاكفاء والشجعان القادرين على النضال . فقد سلفت لبعض رجالها أعمال فردية لا تقصر عن أعمال اندادهم في سائر الاساطيل ، ولكن الاعمال الفردية شيء وادارة السفن الكثيرة في أثناء المعارك الكبيرة شيء آخر . وهذه هي الصفحة الخالية في سجل البحرية الايطالية ، فكيف تملأها في الحرب الحاضرة ؟

ان الكتاب ليقرأ من العنوان .

حول جبل طارق

جاء شهر اكتوبر (١) كما جاء من قبله شهر سبتمبر وشهر أغسطس وشهر يوليو ، ولا يزال النازيون بحيث كانوا من البعد عن قهر العاصمة الانجليزية واملاء الصلح بقصر « بكنجهام » وانتهى حساب الغارات المتوالية الى نتيجة لا شك فيها ، وهي ان خسارة المغيرين في الاسلحة والاموال والرجال أكبر من الخسارة التي أصابوا بها الجزر البريطانية. ومن السهل تعويض الاسلحة والاموال ، وليس من السهل تعويض الرجال ولا سيما اذا احتاجوا الى التدريب الطويل الذي يحتاج اليه كل طيار مقاتل .. فان تعليم الرجل كيف يدير الطيارة لا يخرجه مقاتلا صالحا للحرب في الهواء ، كما أن تعليم الرجل كيف يقود السيارة لا يخرجه مقاتلا صالحا للحرب على الارض . ولكنه يحتاج الى تعليم آخر ليصبح من المقاتلين النافعين ، ويحتاج قبل ذلك الى اخلاق مطبوعة لا تكسب بالتعليم . وكل طيار يضيع فهو مجهود ضائع لا يسهل تعويضه في أثناء القتال .

وشهر اكتوبر له شفاعة عند النازيين ، أو للنازيين عنده شفاعة ، لم تكن للاشهر السابقة التي وعدوا ما وعدوا فيها ، ثم اخلفوا الميعاد .

---

(١) الراديو المصري العدد ٢٩١ ــ ١٢ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٠ .

وتلك الشفاعة هي انه الشهر الذي نزل فيه وليام الفاتح بالجزر البريطانية ... كأنما النازيون قد أرجأوا فتحهم عامدين اكراما لروح ذلك الفاتح القديم .. أو كأنهم يفتحون بالطوالع وبركات الايام والنجوم ، ولا يفتحون بالسلاح الذي قالوا في مضائه انه لا يأذن بدفاع . فلا حاجة بنا الى أن نقول مرة أخرى انها تعلة من التعلات وخرافة من الخرافات ، وان شهر أكتوبر سينقضي أصعب عليهم مما انقضت سائر الشهور .

نعم . سيكون شهر أكتوبر أصعب على المغير من الاشهر الماضية لانه شهر عسير الاجواء في تلك الارجاء ، ولان الاستعداد فيه للمقاومة أوفى مما كان . فقد أضاف فيه المدافعون ما اختبروه وابتلوه من الغارات السابقة ، فأصلحوا ما يعوزه الاتمام ، وراضوا أنفسهم على أشد الشدائد فهي أهون عليهم مما فاجأتهم أول مرة ، وابتدعوا من أساليب المقاومة ما ظهر وما سيظهر ، وقيل ان الجزر البريطانية اليوم على استعداد لمواجهة الغارات لم تكن عليه قط منذ احتدم القتال.

فالطعام موزع في الاقاليم كل اقليم فيه ما يكفيه ، فلا يبالي ان تنقطع الصلة بينه وبين العاصمة أو سائر الاقاليم .

والحقول قد بثت فيها العقبات التي تمنع هبوط الطائرات المغيرة ، ونصبت فيها الارصاد للهابطين بالمظلات .

والعاصمة يجتهدون في حمايتها باستقبال الطائرات المغيرة عند الشواطىء قبل الوصول الى المدينة . فان وصلت الى المدينة اجتهدوا في دفعها بنظام جديد للمناطيد المعلقة التي تمنعها ان تنزل الى علو قريب ، فان أفلت بعضها فهناك شواظ من النار التي ترسلها المدافع الى الفضاء البعيد ، وهناك الطائرات المقاتلة والمخابىء التي يزيدونها في المناعة والاحكام على حسب التجربة

والاختبار . بل هناك ما هو أقوى من ذلك وأمنع ، وأعظم من ذلك وأرفع : هناك الصلابة التي تعتصم منها لندن بما هو أصعب من كل حديدها وصخرها ، هناك صلابة العزائم والاخلاق التي بهرت الدنيا واستحقت من كل ذي نخوة تحية الاعجاب والاطراء.

***

لهذا كله نعتقد أن النازيين أصبحوا مضطرين الى شيئين لا غنى عنهما :

الشيء الاول مظاهرة ذات طبول وأبواق يدارون بها عجزهم عن اقتحام الجزر البريطانية .

والشيء الثاني ان يتحولوا من غزوة هذه الجزر الى غزوة واسعة في مكان آخر يستطاع القيام بها في الشتاء .

أما المظاهرة ذات الطبول والابواق فقد وجدوها في محالفة اليابان ، وهي فيما نرى مظاهرة جوفاء لم يغنموا بها شيئا كان بعيدا عن أيديهم قبل ابرام المحالفة ، وعلى نقيض ذلك تضرهم محالفة اليابان على الصيغة التي ظهرت بها . لانها تساعد على تقريب الولايات المتحدة وأمريكا كلها من الحرب ، وتقنع من كان متشككا من أبنائها في ضرورة الاستعداد العاجل ، وربما زادت على ذلك فنفرت الشيوعيين وجعلتهم يشعرون بالعزلة بين زعامة اليابان على آسيا وزعامة النازيين والفاشيين على أوربا . بل لعل المحالفة ستزعج أسبانيا التي قصدوا تكبير شأنهم عندها بدق تلك الطبول ونفخ تلك الابواق لانها تخشى دخول أمريكا الحرب وهي تعتمد على موارد الامريكتين ولا طاقة لها بالهجوم والحصار من اسطولين كبيرين .

وأما الشيء الثاني الذي أصبح النازيون مضطرين اليه

وهو الغزوة الواسعة المستطاعة في الشتاء فالارجح انه غزوة جبل طارق ثم أفريقيا الشمالية . وأول خطوة في الغزوة هي اشتراك اسبانيا . فهل تشترك فيها .

ان الموانع كثيرة : ومنها انها منهوكة القوى من أثر الفتنة ، وانها كما قدمنا تعتمد على موارد الامريكتين ، وانها تتوجس من طمع النازيين والفاشيين .

ولكن هؤلاء سيبذلون ولا شك جهد الطاقة لتذليل الموانع واغراء اسبانيا بالمطامع وفي مقدمتها جبل طارق وافريقيا الفرنسية .

وربما هونوا الخطب على اسبانيا بأن يحملوا عنها اعباء القتال ويكتفوا منها باباحة المرور في أرضها وهي وادعة لاتساهم معهم بمال ولا رجال .

وربما خيلوا اليها أن انقطاع المواصلات بينها وبين الامريكتين لا يطول ، لانهم قد استولوا على شواطىء افريقيا الغربية بعد استيلائهم على شواطىء أوربا الغربية ، فلا يتعذر عليهم أن يتخذوا في تلك الشواطىء مكامن للغواصات ومراكز للطيارات يكسرون بها شيئا من قيود الحصار الذي تضربه السفن البريطانية .

وربما لجأوا معها الى التهديد والارهاب أو حركوا فيها القلاقل والثورات مستعينين بعشرات الالوف من رجالهم أو بالجواسيس والاعوان من الاسبانيين المتغلغلين في دوائر النفوذ.

فامتناع اسبانيا عن المغامرة في الحرب القائمة جائز .

وانسياقها في تيار النازيين والفاشيين جائز كذلك .

ولعل الكفتين متعادلتان فلا تؤذن احداهما برجحان ، ولا

يدهش أحدا أن تدخل اسبانيا الحرب ، ولا يدهشه كذلك أن تظل كما هي الآن .

فاذا هي دخلت الحرب فماذا يكون ؟

الخطوة الثانية اذن هي جبل طارق ، وهي خطوة يطول عندها وقوف الباحثين من الخبراء العسكريين لان الذي سيحدث في جبل طارق لم يحدث له نظير في الحرب الحاضرة ، ولا يمكن الاستدلال عليه بسابقة واحدة من سوابقها في جميع الميادين .

فجبل طارق حصن ، ولكنه لا يشبه حصون البلجيك ولا حصون فرنسا ، ولا حصون الامواج والرمال .

وقد ثبت أن الاسوار المشيدة لا تمتنع على أسلحة الهجوم الحديثة ، كما ظهر من الهجوم على لياج ونامور وبعض المواقع من خطوط ماجينو ، ولكن المسألة هنا ليست مسألة أسوار وجدران بل هي «أولا» مسألة جبال وصخور ، وهي « ثانيا » مسألة وصول الى المكان المقصود بالهجوم عليه . وهي « ثالثا » مسألة قطع المسالك بين الحصن وموارده حتى يتحقق معنى الحصار .

وفي تاريخ جبل طارق حصار مشهور تضرب به الامثال لانفراده في تواريخ الحروب ، وهو الحصار الذي استمر من شهر يوليو سنة ١٧٧٩ الى شهر فبراير سنة ١٧٨٣ ، واشترك فيه الاسبانيون والفرنسيون ، ثم انتهى بالفشل الذريع .

فبلغ عدد الهاجمين في بعض الاوقات مائة الف يقاومهم سبعة الاف جياع معزولين تفتك بهم الامراض المختلفة ، ولا سيما أمراض الجلد التي تنشأ من قلة الخضارة في الغذاء .

وبلغ عدد القذائف التي كانت ترمى على الحصن خمسمائة في اليوم ، تنهال عليه من مواقع قريبة مفتوحة للاعداء .

وابتدع الفرنسيون والاسبانيون يومئذ طرازا من السفن محوطة بالفلين والصفائح التي تميل فتنزلق عنها القذائف الى الماء .

وكان الجبل قليل الاستعداد قليل الحصون قليل الذخيرة والزاد بالقياس الى الجبل في هذه الايام ، ومع هذا صبر على الحصار المحكم نيفا وأربعين شهرا وأعيى الحول والحيلة والعدد والعدة من خصومه الاشداء .

ولا ريب أن سلاح الهجوم في القرن الثامن عشر غير سلاح الهجوم في القرن العشرين ، ولكن سلاح الهجوم هذا لم يجرب قط في موقع يشبه جبل طارق في مناعته الطبيعية والصناعية ، كما أن جبل طارق اليوم غير جبل طارق الذي كان يذود الفرنسيين والاسبان قبل مائة وستين سنة ، وأقرب المواقع في الحروب الحديثة شبها منه هو موقع بورت أرثر التي فتحها اليابانيون بعد أن أصيب أربعون ألفا من جنودهم في مهاجمتها، وهي مع هذا عرضة للغارة عليها من التلال المحيطة بها ، وكان على الروسيين أن يحصنوا تلك التلال فاشفقوا من ضخامة النفقات . أما حصن جبل طارق فهو مشرف على كل ما يحيط به من التلال والهضاب .

ليس معنى ذلك انه لا ينال بالاذى من البر أو البحر والهواء ولكن معناه انه ليس بالسهل المنال .

فهو قمة عالية ترتفع فوق جبال صخرية طبقة بعد طبقة منحوتة فيها الكهوف والسراديب التي لا يدري من يسكنها بما يسقط عليها من القذائف والرجوم .

وللسكان فيها انفاق مزودة بالاسرة والنور الكهربائي والستائر التي تحجم الغازات يتسع النفق منها لالف أو زيادة

وصهاريج الماء فيها تتسع لمائة واربعين مليون جالون ، عدا الماء الذي يستنبط من الآبار .

وبها ذخيرة من الاوكسيجين لاصلاح ما تفسده الغازات السامة اذا تسربت الى بعض الكهوف المسدودة .

والطريق الى قمتها العليا برزخ ضيق مكشوف للسفن من جانبيه على الخليج وعلى البحر الابيض ، يحتمي بالالغام والعراقيل التي تصد الدبابات الصاعدة اليه ، وهي لا تملك الحركة فيه كما تملكها في البطاح والسهول .

فاذا أغارت عليها الطيارات وجب أن تحلق فوقها على علو شاهق تتعذر اصابة الاهداف منه ، لانها اذا هبطت دون ذلك دخلت في دوامات الهواء التي يحذرها الطيارون عند التقاء المهاب المختلفة، ما بين رياح البحر الابيض والرياح الاطلسية ، ثم لا تسلم من مقاومة الطيارات المقاتلة التي تتبع الاسطول او تتبع السلاح الجوي ، ويمهدون لها الان أسباب النزول في ميدان السباق المشهور .

واذا حوصرت بحرا فمن البعيد جدا أن يفلح الحصار والاسطول الكبير رائح غاد بينها وبين الجزر البريطانية .

أما في البر ، فالمدافع الكبيرة التي تقام على الشاطىء الافريقي عند سبته ، يمكن أن ترميها جزافا فتصيب مرةوتخيب مرات ، ولا تقع اصابتها في مقتل سريع .

وكذلك المدافع الكبيرة التي تقام في الارض الاسبانية خارج النطاق ، ولكنها تلقى المقاومة من مدافع في الحصون لا تقل عنها في الضخامة ولا كثرة العدد ولا بعد المرمى .

وقد تهيأ الجبل للدفاع ، ونقل النساء والاطفال منه في

الحادي والعشرين من شهر مايو الماضي ، فهو الان يترقب الهاجمين عليه .

هذه هي الصخرة التي ينطحها النازيون لينفذوا منها الى ما بعدها ، والناس يسألون الغيب : هل يكسرونها أو ينكسرون دونها ؟

أما الامر الذي لا غيب فيه فهو تلك الحيرة الهوجاء والخطة العوجاء ، فان ضاربا يضرب الصخرة لن يضربها الا ومن ورائه صخرة أقوى منها تدفعه وتصدعه ، فهو لا يزال منها في عناء ، ولن يقر به القرار حيث يشاء .

***

الجيش البّري في ايطاليا

نتحدث الى حضراتكم اليوم عن قوة الجيش البري في ايطاليا. وهو موضوع متمم لحديث سابق عن القوة البحرية فيها (١) .

والظواهر تدل على أن الجيش البري في ايطاليا كبير العدد زاخر الموارد ، لان الخدمة العسكرية هناك اجبارية ، تفرض على الذكور من الثامنة عشرة الى الخامسة والخمسين وان كانت مدتها لا تتجاوز ثمانية عشر شهرا في الخدمة العاملة ، وقبل ذلك يفرض التدريب الاولي فرضا اجباريا على جميع الذكور في سن الثامنة الى الحادية والعشرين ويراد بذلك غرس النزعة الحربية في نفوس الصغار من طفولتهم الباكرة ، وتحضيرهم للنظام الجندي متى وصلوا الى سن الخدمة ، وأفرط الفاشيون فأصدروا في الثاني من أبريل قانونا يفرض الدفاع على النساء .

وقد صدر الامر في أوائل السنة الحاضرة بادماج القمصان السود في الجيش النظامي ، وعدتها أكثر من مائة وثلاثين كتيبة على شيء من التنظيم .

فهذه الظواهر تدل على وفرة العدد في القوة البرية الايطالية، ويبالغ بعضهم من أجل هذا ـ كما صنع الجنرال باريانى Pariane فيزعم ان تلك القوة تبلغ تسعة ملايين وثمانمائة

---

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٢٩٤ ـ ٢ نوفمبر (تشرين ٢) ١٩٤٠ .

ألف ، يضاف اليهم مليونان وثلثمائة ألف يجندون من الحبشة والصومال وأريتريا وأفريقيا الشمالية ، فيربى عـدد الجيش الذي تستطيع ايطاليا تجنيده على اثني عشر مليونا حسب هـذا التقديـر .

والجنرال بارياني يعتمد في تقديره على احصاء عدد الذكور المرشحين للخدمـة العسكريـة في الثامنـة عشرة الى الخامسـة والخمسين ، وهـو تقدير لا يصح الاعتماد عليـه . لان وجـود الجنود لا يغني « أولا » عن التسليح والتقسيم الى فرق منوعـة لكل منها سلاح ونظام وموقع فيميدان القتال ، ولا يغني «ثانيا» عن تزويد الجيش بالضباط والقواد المدربين علىالنظام الحديث، ولا يغني « ثالثـا » عن التموين بالطعـام واللباس والمساكن الصالحة ، ولا يغني « رابعا » عن وسائل النقل بـرا وبحرا الى الميادين التي يراد الزحف عليها ، وكل اولئك يهبط بالعـدد الضخم الذي ذكره الجنرال بارياني فلا يبقى منـه الا مـا دون ربعه على أرجح احتمال .

أما التقدير الذي يقترب من الواقع فهو العدد الذي أعلنـه الجنرال سودو في الثالث عشر من شهر مارس الماضي وفحواه أن الجيش المدرب القائم كان يبلغ يومئذ نحو المليون ، ويمكـن تعزيزه عند الضرورة بفيالق كثيرة منالرديف المدربين ، ونفقاته التي قدرت له مع نفقات الدفاع الاخرى في الثاني والعشرين من شهر يناير تتجاوز أربعة مليارات ليرة بقليل ، وزيدت فيالخامس عشر من شهر مارس الى ثمانية مليارات ، وهي مع ملاحظة سعر العملة الايطاليـة لا تكفي لتضخيم الجيش فـوق العدد الـذي أجملنـاه .

ونشبت الحرب الحاضرة والجيش الايطالي في اضطـراب

واختلاط من جراء نظامه الجديد الذي شعر القوم بضرورة الاخذ به بعد تجاربهم الكثيرة في الحرب الحبشية والحرب الاسبانية والمناورات العسكرية الكبرى منذ سنتين . وخلاصة هذا النظام تركيب اللواء من فرقتين بدلا من ثلاث ، وانشاء ألوية جديدة من الفرق المنفصلة التي كانت داخلة في التركيب القديم ،وتسليح هذه الفرق جميعا بغير سلاحها الاول من البنادق والمدافع الرشاشة والدبابات والمدافع التي تقاوم الدبابات والطيارات ، وتوفير حاجة الجيش كله من الكساء والغطاء .

ويشمل التعديل الذي عرض في الحادي والعشرين من شهر مارس الماضي على مجلس الفاشية والنقابات أمورا شتى تتعلق بالجيش المحلي أو الجيش الذي يقيم في البلاد الايطالية تناولت تقرير عدد أقسامه وألويته وفرقه كما تناولت عدد القواد والضباط الكبار مما لا يعنينا ان نستقصيه في حديث اليوم لانه أقرب الى شئون الادارة منه الى الشئون العسكرية .. أما الجانب الجوهري من ذلك التعديل فهو جانب العناية بانشاء الفرق الآلية بين دبابات خفيفة وسيارات مصفحة ودراجات منفردة أو مصحوبة بالمقاعد ، وغير ذلك من أنواع الاسلحة الآلية التي يلاحظون فيها حرب الجبال أو الغابات أو حرب المعارك الخاطفة في الميادين الاوربية أو الميادين الاخرى .

ويثني الناقدون الحزبيون على فرق الرماة المعروفة باسم البرساجليري Bersaglieri من كلمة برساجليو Bersaglio أي الهدف باللغة الايطالية . وهي فرق قديمة اشتهرت في حرب القرم بالاقدام واصابة المرمى وتحولت حديثا الى فرق دراجات مع المحافظة على مظاهرها التقليدية .

وكذلك يثنون على بعض المدفعيين الذين يستخدمون على الخصوص مدفع خمسة وسبعين مليمترا وخمسمائة وخمسة مليمترات .

أما كفاءة الجيش في مجموعه فلم تعرض بعد فرصة للحكم عليها بعد تنظيمه الحديث، لان الحرب الحبشية والغزوة الالبانية لا تحسبان من الحروب العصرية التي يتلاقى فيها الانداد بالاسلحة المتشابهة والقوة المتساوية ، ولم تكن الفرق الايطالية في حرب اسبانيا مضطرة الى خوض جميع المعارك ومقابلة جميع الهجمات ، بل كانت تعمل حيث تشاء وحين تشاء ، فلا يصح أن يقال انها وقفت هنالك موقف الامتحان فكتب لها النجاح .

على أن سوابق الحرب الماضية والحرب الحبشية في أوائل هذا القرن تدل على أن الجنود الايطاليين يشحذون عزائمهم ويثيرون نخوتهم لاثبات الشجاعة التي ينكرها عليهم خصومهم ، فيستبسلون وينتصرون ما لم يفاجأوا بصدمة عنيفة تأخذهم من حيث لا يحتسبون ، ويومئذ تشيع فيهم الفوضى ويصعب عليهم التماسك وسرعة الاستدراك وهكذا كان شأنهم في كابوريتو Caporetto يوم أفاقوا فاذا بالبروسيين وراء صفوفهم ، واذا بالقليل الذي استقر منهم في أماكنه لا يدفع الخطر المطبق عليه .

ونتجاوز مسألة الجندي الى مسألة القيادة فلا نرى قوادا من الطراز الاول في النبوغ وبراعة التخطيط والحيلة العسكرية ، ولم تسبق لاحدهم قيادة مهمة في ميدان حديث .

لما دخلت ايطاليا الحرب نادى الملك فكتور عمانويل بالسنيور موسوليني قائدا عاما لجميع الجيوش في جميع الميادين ، وقسم موسوليني أعوانه فأقام المارشال بيترو بادوليو Pietro Badoglio

بعده في مرتبة القيادة ، وأقام الامير أمبرتو ولي العهد قائدا لجيش الغرب في مواجهة فرنسا ، والمارشال جرازياني قائدا لجيش الشرق في مواجهة البلقان ، والمارشال اميليو دي بونو De Bono قائدا لجيش الجنوب في مواجهة الاعداء الطارئين .

وليس أدل من هذا الاختيار على فقر ايطاليا في كبار القواد ولا سيما اختيار بادوليو وديبونو ، وهما أقدر الزملاء في فنون القيادة .

فقد كان بادوليو من أحسن الضباط بلاء في ميدان كابوريتو ، وكان له الفضل الراجح في الاستيلاء على بعض المواقع الهامة عند ابتداء القتال ، ولكنه معروف بكراهته القديمة للفاشيين ونصيحته المشهورة بتبديد شملهم قبل ان يستفحل خطبهم ، ولكنه خولف يومذاك ولم تكن له الحمية التي تحفزه الى الاصرار .

فلو كانت ايطاليا على سعة من أمر القيادة والقواد لما احتمل موسوليني أن يقيم بادوليو حيث أقامه مع حقده الشديد على أعدائه .

وليس دي بونو من أعداء الفاشيين كزميله بادوليو ، بل هو من أصحاب موسوليني الاولين الذين لازموه فيما يسمونه بالزحف على روما قبل ان يتولى الوزارة . الا أن موسوليني عزله من الحملة الحبشية لانه لم يحمد منه خطة التردد والتسويف ، وجاء به الآن في ميدان الجنوب لانه ميدان غير معروف الاعداء.

وثالث الثلاثة جرازياني الذي يقود الجنود الان في الصحراء الغربية محام أديب خطيب لم ينتظم في سلك الجندية الا من طريق المصادفة ، وماضيه في الجندية يشهد له بالشجاعة

والذكاء ، وماضيه في الادارة يشهد له بالقسوة التي تبلغ حد الجنون ، وكأنها وراثة في آهله لان شعارهم المختار كلمة تدل على الضغينة ومسوء الطوية ، وهي : (ان عـدوا تصفح عنـه لأخطر من ألف محارب يناجزك) .. وهو الرجل الذي سماه ابناء طرابلس بالجزار والذي قتل من الاحباش ستة الاف لانه أصيب بقنبلة في الطريق ، وربما كان اسلوبه في التمثيل والتنكيـل أدل على الغلظة من ازهاقـه الارواح ، لانـه يقذف بصرعـاه المساكين من الطيارات ، أو يربطهم من أقدامهم الى السيارات ، ثم يدفع بها في أقصى السرعة على الصخور .

وقد نجح جرازياني في غزوة الحبشة ولكنه نجاح لا يزال بحاجة الى التوكيد والتعزيز في حرب حديثة يتعادل فيها الانداد، ولم يكن قط من الفاشيين المخلصـين وان كـان ممن يحسنون الزلفى الى ذوي السلطان فلا نخال ان موسوليني كان يختـاره لقيادة الصحراء على ما سلف من سمعته بين الشرقيين لو وجد من هو أولى منه بمكانه ، ولعله كوفىء بقيادة الصحراء عـلى اجلائه بالبو من طريق موسوليني وهتلر . فقد ترددت الاقاويل كثـيرا بـان جرازياني وصديقـه هملـر رئيس الجواسيس النازيين ، هما المسؤولان عن مصرع بالبو ذلك المصرع الـذي أحاط به ما أحاط من الغموض ، لان بالبو كان معروفا بعدائه للنازيين ومنافسته للدوتشي في هوى الجمهور .

***

فالقوة البرية الايطالية كبيرة مستوفاة العدة الا انهـا لا تزال في انتظار يوم الامتحان سواء نظرنا الى قوادها أو رجالها أو تركيب اسلحتها وتقسيمها .

وقد التقى موسوليني وهتلر في مجاز برينر منذ شهر تقريبا ، ولم يلتقيا في ميونيخ كما التقيا بعد هزيمة فرنسا وهتلر لا يزال في ذلك الحين منتفخ الاوداج .

وقيل ان الحملة على مصر كانت من موضوعات الحديث بين الطاغيتين . وقيل ان كيتل القائد الالماني حضر الاجتماع ليدلي برأيه في خطط الصحراء الغربية التي زارها من قبل واشيع انه زارها منذ أيام ، وقيل ان جرازياني دعي الى روما لمحاسبته على ابطائه وسؤاله عن خططه ، وان موسوليني يلتمس المعونة من هتلر في البحر الابيض المتوسط على نحو من الانحاء .

والارجح عندنا ان موسوليني مطلوب وليس بطالب في هذه المرة ، أو انه يشعر بحاجة هتلر اليه ويساوم على ثمن المساعدة التي يبذلها في البحر الابيض المتوسط ، ونستبعد ان يطلب موسوليني جنودا من هتلر لان الجنود في الصحراء الغربية كثيرون فلا يعقل ان يعترف رئيس حكومة لمناظر له بعجز جنوده عن القتال ، ونستبعد كذلك ان يستمد منه سلاحا لان السلاح الذي تمتاز به المانيا من الدبابات الثقيلة واشباهها لا يجدي في الصحراء ولا يسهل نقله في السفن ، فاذا استعان بشيء يكثر عند الألمان ولا يكثر عنده فذلك هو الطيارات المعدة لنقل الجنود وانزالهم الى الارض بالمظلات ، عسى ان يجربوها في الحملة المصرية بعد التفاهم على التقسيم وتبادل الجزاء .

ولسنا نستخف بتجربة هذا السلاح في الحملة المصرية .

غير انه سلاح لايحسم النضال والاساطيل البريطانية غالبة على الطرق البحرية ، ولا يتسلل الى مصر خفية وبين مراكزه وبينها مسافات ، ولا يجهله قواد الدفاع في الشرق الادنى وعلى رأسهم الجنرال ويفل الذي كان أول المنبهين الى خطره بعد

المناورات الروسية ولا نظن ان الالمـــان يجودون بطياراتهم الا بالثمن الذي يخرج موسوليني صفر اليدين من الغنيمة .

وليكن في جيش جرازياني ما فيـــه من العيـــوب ، فالاقرب عندنا الى الاحتمال انه لا يتلبث حول سيدي براني في انتظار نصيحة من هتلر ومصافحة بين الدوتشي والفوهرر ولكنه يتلبث في انتظار فرصة أو انتظار وفاق بين الزعيمين ، وليس الوفاق على هذه المعضلة بأسهل من الفرصة المنظورة .

***

في الشرق الأوسط

(تناول حضرة النائب المحترم الاستـــاذ عبـاس محمود العقاد الموقف الحربي في الشرق الاوسط بالبحث والتحليـل في حديث قيم بدأه بالتساؤل عن عبـارة الاستئـذان التي وردت في خطـاب موسوليني الاخير ثم قال) :

ليفعل النازيون ما يفعلون من حرب أو سلام في ميـدان البلقان ، فالامر الذي لا شك فيه انهم لن يحاربوا هناك مساعدة للطليان ، ولا انقاذا لهم من عار الهزيمة وتمكينا لهم من الفوز بعد الخذلان .

كلا . لن تحارب المانيا في البلقان مساعدة لايطاليا ، بل تحقيقا لمطامعها التي تبغيها هناك ، اذ بدا لها أمل قريب في تحقيق تلك المطامع ، دون ان تتعرض للسخرية التي تعرضت لهـا زميلتها في الحرب اليونانية .

وكذلك لن تحارب المانيا هناك تمكينا لبلغاريا ـ كما يقال ـ من الوصول الى البحر واسترداد الارض التي دخلت في حوزة الترك أو اليونان .

فان بلغاريا نفسها ـ فيما نعتقد ـ لا تحب ان تسترد تلك الارض عنوة وقهرا في هذه الايام . اذ هي لا تقوى على حمايـة

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٢٩٩ ـ ٧ ديسمبر (كانون ١) ١٩٤٠

الثغر الذي تحتلــه على البحر من اساطيل الترك واليونــان والانجليز مجتمعين ، ولا تنتفع بذلك الثغر في التجارة وارسال الصادرات وتلقي الواردات ، مع ترصد تلك الاساطيل وترصد الجيوش البرية في تراقية وما حولها .

ولعل المانيا أيضا لا تحب أن تجد بلغاريا منفسا على البحر يغنيها عن تبادل التجارة معها ويجعلها في قبضة اعدائها .

فاذا حاربت المانيا في ميدان البلقان فهي لا تحارب في هذا الاتجاه ، ولا يعنيها ما يرومه الطليان أو ما يرومه البلغــار ، بل تحارب في اتجاهها القديم من برلين الى بغداد ، ولا تقدم على هذه الخطوة الا اذا أمنت عواقبها ، وعرفت ان الترك يجيزون لها العبور .

أما بغير ذلك فالسخرية التي اصابت الطليان في الحرب اليونانية ، لا تذكر الى جانب السخرية التي تنتظر النازيين في الميادين التركية ، اذا جازفوا بخوضها ولم ينظروا الى عواقبها .

ولقد خيـــل الى بعض المخدوعين ان النازيين يصنعــون المعجزات .

كلا .. النازيون لا يصنعون المعجزات ، والمعجـــزات لا يصنعها احد من أبناء الفناء .

وما في الذي صنعه النازيون حتى الساعة معجزة واحدة . نعم ان هزيمة فرنسا كانت تبدو للعالم كله كالمعجزة الخارقة لانهم كانوا يجهلون ضعفها المستور وداءها المكنون ، فلمــا انكشف مستور ضعفها وبرز مكنون دائها باخت المعجزة النازية، وأصبح الناس يشعرون شيئا فشيئا بأنها أقرب الى شعــوذة الحواة ، وازداد شعورهم بهذا بعد ما نطح النازيون البحر على شاطىء المانش فهان عندهم نطح الصخور، وأخفقوا كما توقعنا

لهم الاخفاق في مطلع كل شهر وعدوا فيه أو توعدوا بالقضاء على بريطانيا واملاء الصلح في العاصمة الانجليزية .

ومن ثم نعلم ان المعجزات على بحر مرمرة، ليست أسهل من المعجزات على بحر المانش ، أو بحر الشمال .

أو نعلم ان المعجزات على الشواطىء التركية اصعب من المعجزات على الشواطىء الانجليزية ، لان النازيين يسيطرون على سفن وموانيء في هذه الشواطىء ، ولا يسيطرون على مثلها في شواطىء غاليبولي ولا شطالجة ، ودونهما خرط القتاد .. القتاد الذي يصنعه كروب ، لا القتاد الذي ينبت في التراب .

وهب النازيين وصلوا الى حصون شطالجة أو حصون غاليبولي فكيف يعبرون البسفور أو مرمرة أو الدردنيل ؟ كيف يعبرونها ولا سفن لهم فيها ، بل اعداؤهم هم أصحاب السفن هناك ؟

ان الطيارات لا تحمل عدة الفتح وراء المضائق التركية ، الا كما حملتها وراء المضائق الانجليزية ، وهذا اذا صح ان النازيين لهم من الطيارات ما يكفي لتوزيعه بين الغارات الانجليزية والغارات في الشرق الاوسط ،والاستعداد في بلادهم لرد الهجوم الذي سينصب عليها ويتضاعف انصبابه كلما تضاعف الوارد الى بلاد الانجليز من الطيارات الامريكية ، ولا نميل نحن الى تقدير السلاح الجوي في المانيا بهذا المقدار العظيم، بل نشك فيه .

نشك فيه لاسباب كثيرة : اهمها انهم لم يضربوا بطياراتهم قط على مسافات بعيدة . فبولونيا كانت تحت آباطهم ، والنرويج لم يضربوا شمالها الا بعد ما تمكنوا من جنوبها . وانجلترا

تركوها زمنا حتى اقتربوا من شواطئها ، ثم انتظموا في اغاراتهم الهوائية عليها .

فطياراتهم ، كثرت أو قلت . لن تحمل عدة الفتح من شطالجة وغاليبولي الى الاناضول وما يلقاهم به الترك وحلفاؤهم هناك كفيل بسخرية عالمية اخرى ، تهون معها السخرية بالدوتشي في جبال اليونان .

ومن ثم نعتقد ان الزعيم الالماني يتعمد التهويل بمساعيه السياسية ومناوراته المتوالية عسى ان يرهب الترك ويضطرهم الى مجاراته والدخول في كنفه . فان نجحت هذه المناورات فهو ماض في طريق برلين وبغداد ، وان لم تنجح ـ وهو الغالب الموثوق برجحانه ـ فانه لناكص على عقبيه ، ومول بوجهه قبلة اخرى .

ومن شاء العبرة بتقلب السياسة فليعتبر بهذا التقلب الكبير بين أمس واليوم ، أو بين الحرب الماضية والحرب الحاضرة ، فيما يجري بين الالمان والترك والانجليز والروس .

فالالمان في الحرب الماضية كانوا مع الترك في حرب الانجليز.

والانجليز اليوم يقفون الى جانب الترك فيما يتوقع من هجمة المانية عليهم .

والروس كانوا يحاربون الترك والالمان وهم الان مع الترك والالمان على السواء ، في موقف رياء ودهان .

ولامر ما تغير الموقف هذا التغيير الكبير .

لكنه أمر معروف وليس بمجهول . فمن الحرب الماضية علم الترك ان الالمان اعداء لا يؤمنون .

علموا ذلك يوم كان الترك يجوعون وكان الالمان ينقلون

خيرات الاناضول بغير ثمن ولا عوض الى البلاد الالمانية .

وعلموا ذلك يوم انتصر الاسطول التركي على الاسطول الروسي في البحر الاسود ، ثم جيء به الى العاصمة فاغتبط ساسة الترك بهذه الغنيمة ، ورجوا ان تبث في نفوس الشعب التركي فرحة يتمناها بعد ما أصيب به من جهد وفاقة ، وبعد ما تهيأ له من التهليل والتكبير لهذا الظفر بعدوه القديم .. فاستكثر الالمان عليه هذه الفرحة القليلة وابلغوا حكومة الآستانة أن اسطول الروس للالمان وليس لشعبها المتهلل به على ما قاساه من ضنك ومشقة ، وانهم أيضا يستردون البارجتين جوين وبرسلو .. لان الهبة فيهما مقصورة على الاستخدام أثناء الحرب ، ولم يقصد بها النزول عن البارجتين .

وتلك عبرة من عبر السياسة التي تفرض على ساسة الامم في كل يوم ، صداقات وعداوات ، لا تتحجر في العقول ولا في القلوب .

على انها عبرة لم تتم في الحرب الحاضرة . ولا تزال بعد في طريق التمام ، وانما تبلغ تمامها يوم نرى الطليان ينقلبون على الالمان كما انقلبوا عليهم في الحرب الماضية ، وليس ذلك بالعجيب ولا بالبعيد .

***

محبو العرب

منذ زمن طويل (١) ، وأنا أنسى أن أهنىء الامم العربية ، بهؤلاء المحبين المتيمين الملهوفين ، الذين اصيبوا بحب العرب فجأة في الزمن الاخير .

أولئك المتيمين الذين يصح ان يقال فيهم انهم مجانين العرب كما قيل مجنون ليلى .

لانهم مدلهون تدليه الجنون ، لا يسألون عن الحب جزاء ولا أجرا الا انهم يحبون ويتعذبون ، ويستعذبون العذاب وهم شاكرون .

أولئك الذين ينفقون حبات القلوب على السلاح والذخيرة، لا لانهم طامعون او مستعمرون ، كلا .. بل حبا للعرب .

أولئك الذين يقتتلون ويتطاحنون ، لا لانهم من الاشرار البغاة ، ولا لانهم من المستبدين الطغاة ، كلا .. بل حبا للعرب .

أولئك الذين استعدوا للحرب منذ سنين ، لا لانهم يكرهون بريطانيا أو يكرهون الدول الديمقراطية ، كلا .. بل حبا للعرب .

حبا للعرب دون سائر الامم والملل يبذلون الارواح

---

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٣٠٠ ـ ١٤ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٠

والاموال . وحبا للعرب في هذه الايام دون سائــر الازمان ، يخوضون المعارك والاهوال ، وحبا للعرب ــ ولولا حب العرب ــ لاطمأنت بهم الحال ، وهدأ البال والبلبال .

نسيت ، أو تناسيت منذ زمن طويل ــ ان اهنىء الامم العربية بهؤلاء المتيمين المدلهين ، أو هؤلاء المجانين المساكين ، الذين جعلوا السياسة في هذا الزمان قصيدة غـــزل بالعرب والعروبة والاسلام والمسلمين .

وأحسبني شغلت عن التهنئة بالعجب والسؤال : فيم هذا الشغف وممّ نجم هذا الهيام ؟

أهي قرابة كانت منسية ثم ذكروها ؟

كلا ! .. لا قرابة ولا ادعاء قرابة ، لانهم يكرهون الساميين والعرب من الساميين ، ويقولون انهم شماليون خلقوا للسيطرة على أهل الجنوب ، والعرب من أهل الجنوب ، أو هم ليسوا على الاقل من أهل الشمال .

اذن هي لغة واحدة ، أو دين واحد ، أو مصلحة واحدة ؟

كلا .. فلا مقاربة في اللغة ولا في الدين ولا في المصلحة ، لأن مصلحة العرب في الحرية . وهؤلاء المتيمون المدلهون لا يحبــون الحرية في بلادهم فيحبوها لاناس من الساميين ، وهم عندهم في الطبقة الدنيا من الآدميين .

واخال ان سامعي من ابناء الامم العربية ، قد عرفوا الان من هم أولئك المتيمون المدلهون . ومن يكونون يا ترى غـــير الالمان والطليان ، أو غير النازيين والفاشيين ؟

فالنازيون والفاشيون هم مجانين العرب في هذا الزمان ، ينادون بحياة العرب في الصباح والمساء ، ولا ينامون ليلة واحدة الا على هذا النداء .

شغلت بعلة الحب عن تهنئة العرب بهؤلاء المحبين : هؤلاء المجانين المساكين .. ومن يدري ؟ فمن الجائز جدا انني لم أشغل عن التهنئة وانني لم أنسها ولا تناسيتها ، ولكنني سكت عنها لانني احتقرت هؤلاء المتيمين المدلهين ، واكبرت عقول العرب ان تصدق حبا لا يصدقه عاقل ، وان قيل ان الحب شعبة من الجنون .

أكبرت عقول العرب ان تصدق حبا ليس له دليل ، وعلى نقيضه كل يوم الف دليل .

ويا شقاء الامم التي لا ينقذها غير النازيين والفاشيين .. ويا سوء مصير لا يرتبط الا بهذا المصير ...

ففي بلاد العالم كله اناس من الالمان والطليان يطلبون النجاة من حكام المانيا وايطاليا .. فهل في المانيا وايطاليا انسان واحد يطلب النجاة من حكام بلاده ، مستقلة كانت أو غير مستقلة ، وعربية كانت أو غير عربية ؟

لم لم يخطر لاحد قط أن يطلب الامان في ظل النازيين والفاشيين ؟

ولم يخطر لهؤلاء المفسدين الكاذبين ، ان العرب يطلبون عندهم الامان الذي لم يطلبه قط انسان ؟

في بلاد العالم كله أناس من الالمان والطليان يبتغون العيش من أصغر المهن والصناعات ، ولا يقصرون سعيهم على كبار الاعمال والمرافق ، فكيف يخطر للعرب أن هؤلاء هم الذين يزهدون في أرزاقهم ويتعففون عما في أيديهم ؟

في بلاد العرب كلها ضحايا من القتلى والجرحى الذين أصابتهم طائرات الطليان ، ولعلها أصابتهم في الوقت الذي

تنادي فيه برلين وباري بحياة العرب ، وتبشر فيه العرب بالرفق والمودة والانصاف ، فمن الذي يصدق أن هؤلاء الافاكين الفتاكين يرعون شعور العرب يوم ينفردون بالامر ولا يخشون من عدو ولا رقيب ؟

ضربت طائرات الانجليز سفن الطليان في ترانتو ، فممن انتقم هؤلاء الطليان في اليوم التالي ؟

هل انتقموا من سفن الانجليز في كريت ؟ هل انتقموا من سفن الانجليز في قبرص ؟ هل انتقموا منها في شواطىء فلسطين أو شواطيء الاسكندرية ؟

ان مسمارا واحدا من السفن الانجليزية لم يصب في اليوم التالي : يوم الثأر والانتقام ، وانما اصيب في الاسكندرية ثمانون قتلوا ، ونيف ومائتان جرحوا ، وبيوت هدمت ، ومصالح عطلت ، ومعظمها من بيوت الفقراء ، وكثير من الذين قتلوا من الاطفال والنساء !

فما اجترأت الطائرات الباسلة على مواقع الخطر التي تصاب فيها ولا تصيب ، ولا اجترأت على معسكر ولا معقل ولا موضع سلاح مخيف ، ولكنها اجترأت على الآمنين وهم بعيدون من مكان الاسطول ، بعيدون من مكان الجيش ، بعيدون من المعاقل كأبعد ما يكون المكانان في مدينة واحدة ، وخيل اليهم انهم انتقموا وضربوا .. أخزاهم الله .. فمن أنفسهم قبل كل أحد كان هذا الانتقام الزري الاثيم ، من أنفسهم انتقموا حين بينوا لهذه الامة بيانا لا شك فيه انهم ليسوا من الشجاعة وليسوا من الدقة والاحكام وليسوا من المروءة ولا من حسن السياسة في كثير ولا قليل .

فكل قبر يسكنه قتيل بريء أصدق وأفعل من ألف محطة

كمحطة باري تنادي بالليل والنهار بصداقة العرب ومودة المصريين ، وتقول لهم ان جيوش ايطاليا تحكم الضرب وتحكم الاصابة وتفوز في ميادين البحر والبر والهواء .

وكل ذراع أو قدم مبتورة تبتر كل لسان كاذب من ألسنة الدعاة الخاسئين الذين يصيحون : حي العرب ! حي العرب ، وهم يرسلون لهم الموت والبلاء .

ولو ان هؤلاء الجبناء الذين أصابوا الاطفال والنساء ، قد أصابوا مع ذلك غرضا من مقاتليهم لفهمنا ما صنعوه ، ولكنهم لم يصيبوهم ولا يصيبونهم . فما معنى هذا الصنيع الكريه ؟ هل معناه انهم لا يقصدون المقاتلين ؟ هل معناه انهم يقصدونهم في كل مرة ولا يصيبونهم مرة واحدة ؟ هذا وذاك كلاهما قبيح شائن ، وكلاهما يهدم بناء « باري » واخواتها الكواذب ، أشد من هدمه بيوت الابرياء في الاسكندرية .

وان هذا الذي صنعوه في الاسكندرية لقد صنعوا مثله – أو حاولوه – في البحرين وفي حيفا وفي السودان ، حيث يريدون من الآذان ان تصغي الى تحياتهم للعرب وتؤمن بما عندهم لهم من دلائل المودة والسلام .

ان بعض المخدوعين في براعة الفاشيين والنازيين يظنون انهم أصحاب دعاية بارعة ولكنهم يفسدونها بأعمالهم التي من قبيل ما قدمناه .

والواقع انهم أجهل دعاة ولا سيما فيما ينشرونه بين العرب والمسلمين عامة ، لانهم يجهلون شعور الناس ويجهلون شعور المسلمين على الخصوص .

خذوا مثلا لذلك قول موسوليني انه حامي الاسلام وتوهمه

انه يرضي المسلمين بتسميته نفسه هذه التسمية التي تجرح كل اذن اسلامية .

فمتى كان المسلم معولا على غيره في الجهاد لدينه ، وكيف يجاهد الرجل لدين لا يؤمن به ولا يرتضيه لنفسه وأهله ؟ ان يوم الشؤم والذل عند المسلمين لهو اليوم الذي يلقون فيه على غيرهم فريضة الحماية لدنياهم ودينهم ، وهذا هو اليوم الذي يسوقه موسوليني مساق البشرى للمسلمين .

وخذوا مثلا آخر لذلك خطاب القسيس الذي تكلم من باري منذ ثلاثة أسابيع كما حدثني بعض سامعيه ، وكان فيما زفه من البشائر ان ايطاليا ستنتصر لا محالة ، وان راياتها سترفرف على الاماكن المقدسة عما قريب .

فماذا تبلغ الدعاية التي تحارب ايطاليا مما بلغته هذه الدعاية الايطالية ؟ وأي جهل بالنفوس وبالحقائق أنكر من هذا الجهل المعيب ؟ وأي اهانة لبني الشرق جميعا أفحش من تصويرهم لانفسهم في صورة العبد الذي يرحب بالنير الاجنبي كأنه لا يعرف غير الاستعباد ؟

انما هي بضاعة واحدة يعرضونها في سوق الدعاية ولا يعرضون تجارة غيرها ، ولا يدعونها لحظة الا وقعوا في اللغو والصغار .

تلك البضاعة هي مسألة اليهود في فلسطين ، وهم في الواقع علة مسألة اليهود في فلسطين خاصة ، فلولا فظائع هتلر وموسوليني واسلافهما لما زادت هجرة اليهود ولا ظهرت قضية صهيونية .

الا اننا على أية حال نرجو ونعتقد أن مسألة فلسطين ستنتهي حتما بما يرضي العرب والاسلام ، ونرى من الان

بوادر التشديد في تطبيق شروط الهجرة الى فلسطين ، ومن ذاك ما جاءت به الانبـاء من رد سفينة فرنسية كـان عليها الـف وسبعمائة وسبعون من المهاجرين ، ومن ذاك ما رأيناه بأعيننا في الشواطىء الفلسطينية منذ أسابيع ، فقد رأينا سفينـة كسرها راكبوها لكيلا يضطروا الى العودة فيها ، ثم حسب من تسرب منهم الى البلد ونقص من العدد المسموح له بالهجرة .

وهذه بداية تؤدي الى نهاية خير منها ، ولا مناص من ذلك ولا حيلة فيه .

لكن ما القول في هجرة الطليان في تونس وهـم يزاحمون أبناء البلاد هناك على كسرة الخبز القفار ؟ وما القول في هجرة الطليان الى طرابلس وبرقة عاما بعد عـام ؟ ومـاذا يبقى من الاخضر أو اليابس لابناء البلاد بعد عشرين ألف أسرة ايطالية تنتقل اليهـا وتزود بأدوات الاستعمار ؟ واذا كـان في تونس تسعون ألفا وتكون في طرابلس عشرون ألف أسرة ، فكم ألفا يذهبون الى فلسطين لو رفرفت عليها الرايات التي يبشرها بها قسيس باري؟ ومن الذي يضمن الا يطرد الايطاليون والالمانيون يهود بلادهم الى كل أرض في المشرق لانهم لا يقبلونهم في البلاد الايطالية والالمانية ؟

فبضاعة المسألة الفلسطينية بضاعة كاسدة اذا اتجر بها الفاشيون والنازيون في سوق الدعاية ، ولا فرق بين العـرب واليهود في ميزان الفاشيين والنازيين وهـم عندهم ساميون ، والساميون عندهم جميعا مخلوقون للتسخير والاستغلال .

يوم يقول القائل : « حي العرب » وجب أن يقول معها « حي الحرية » .. وهذا دعاء لا تحبه روما ولا برلين .

وقفة على مدفع

سمعنا في الاسبوع الماضي (١) خبرا واحدا ضخما بالغا في الضخامة لكنه متعدد الاجـزاء ، متشعب التفاصيـل ، كثـير الذيـول .

كنا نسمع جزءا منه في الصباح ، وجزءا في المساء ، وكل جزء منه كأنه خبر جديد ، وكل خبر فيه غبطة ، وفيه أمل وفيه تذكير للغافلين .

ذلك الخبر الضخم ، البالغ في الضخامة ، هو خبر المعركة الكبرى في الصحراء الغربية ، أو خبـر الالوف الذين وقعـوا أسرى ، وخبر الاكداس من الذخائر التي وقعت غنيمة : وهو خبر متسلسل متتابع يزداد وينمو من صباح الى مساء ، ومن مساء الى صباح ، ولا يزداد حين يزداد الا توكيدا على توكيد ، ونجاحا على نجاح .

ستة آلاف !

ثم تأتي بقية الخبر فلا يقول القائل : بل أربعة آلاف أو ثلاثة الاف .. كلا ! وانما تأتي بقية الخبر لتصعد الالاف الستة الى عشرة . الى خمسة عشر . إلى عشرين . الى ستة وعشرين . الى واحد وثلاثين ، مما لا يزال في طور العد والاحصاء .

---

(١) مجلة الراديو المصري العدد ٣٠٢ ـ ٢٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٠

وخلاصة القول أن الجيوش الفاشية قد أتعبت مقاتليها بعدها وجمعها وهي أسيرة أشد مما أتعبتهم بنضالها وبأسها وهي واقفة في الميدان .

وان الاسلحة والذخائر قد أرهقت المنتصرين وهي على الارض أشد مما أرهقتهم وهي في أيدي جنودها .. لانهم قضوا أياما وهم يجمعونها ويحصونها وهي ملقاة في مساقطها أو ممدودة في أيدي حامليها ومسلميها. أما هذه الاسلحة والذخائر في ميدان القتال فلم ترهق المنتصرين أكثر من ساعات ، وقد تكون من هول المفاجأة في بعض الاحيان لحظات .

صورة واحدة نود لو رأيناها متممة لهذه الصورة في الصحراء الغربية .

وتلك هي صورة الدوتشي على متن مدفع ، أو في شرفة قصر البندقية .

وها هو ذا قد صعد على متن المدفع ! ..

أو ها هو ذا قد أطل من الشرفة ! ..

وها هو ذا قد فغر فاه ليقول كما كان يقول : يا جنود البر والبحر والهواء .. يا أبناء روما في أرض الوطن وفيما وراء البحار .

وهنا يقف الخيال في أجمح شطحاته لا يتقدم خطوة وراء ما تخيل .. فالدوتشي لا يستطيع الان أن يصعد الى متن المدفع أو الى شرفة قصر البندقية ، ولا يستطيع ان صعد أن يفغر فاه ، ولا يستطيع ان فغر فاه أن ينبس بحرف واحد ، ولا يستطيع ان نبس بحرف واحد أن يجد اولئك الحمقى المخدوعين من اغرار الفاشيين يهللون ويلوحون ، كما كانوا من قبل يهللون ويلوحون .

لا . دون هذا المدى ويقف الخيال .

فموسوليني يستطيع الكثير من التهويش والنفاق ، وقد عاش حياته كلها في التهويش والنفاق ، وستنقضي حياته يوم تنقضي وهو لم يقلع عن تهويشه ونفاقه .

ولكن موسوليني يستطيع الكثير من التهويش والنفاق ، وهذا فوق الكثير ، وفوق المستطاع .

لا .. لا متن مدفع اليوم .. ومن يدري اليوم أين ذلك المدفع الذي كان يقف على متنه ؟ .. لعلــه بين ذخــائر المنتصرين في اليونان ، أو لعله بين ذخائر المنتصرين في الصحراء الغربية ، أو لعله مسكين بائس ، كالجواد الذي طال انتظاره في مربطه ، ولا يزال مشفقا أن يطول الانتظار .

وسيطول ، ويطول ، وموسوليني واجم لا يصعد الى متنه، ولا يدري ما يقول ولا كيف يقول .

ولكن الصورة مع هذا عزيزة علينا .

وينبغي أن تكون عزيزة على الفاشيين . على الفاشيين في البر والبحر والهواء ، وفي أرض الوطن .. وفيما وراء البحار .

ينبغي أن تكون عزيزة عليهم أجمعين ، لانها هي كل مــا ربحوه من كل ما أنفقوه وضيعوه : هي كل ما ربحوه من الحرية التي فقدوها ، وهي كل ما ربحوه من الاموال التي ضيعوها ، وهي كل ما ربحوه من الدماء التي أهدروها ، وهي كل مـــا ربحوه من أساطيل البحر والهواء التي أسرفوا في بنائها ، ومن الجيوش التي بالغوا في تجييشها ، ومن الفرص السياسية التي أهملوها وأصروا على اهمالها .

نعم هي كل ما ربحوه مما ضاع .

وهي كل ما يربحون مما يضيع ، ولا بد أن يضيع .

نحن الذين نرى الحرية أنفس من كرة الارض وأغلى من الحيـاة .

نحن الذين أكبرنا الثمن حين رأينـا المخدوعـين يبيعون الحرية ، ويشترون بها دولة الفاشية .

نحن الذين علمنا أن ايطاليا قد ضيعت الديمقراطية ولم تغنم الاستبداد ، كنا نسأل : وماذا عسى أن تشتري بهـذا الثمن الجسيم ؟ وماذا يكون الانسان بعد أن يلغي مزية الانسان وحق الانسان ؟

كنا نسأل فكان اناس من المخدوعين يقولون : ان الفاشيين ضيعوا الحرية وكسبوا الفتوح والمستعمرات .

أو ضيعوا الحرية وكسبوا الهيبة والمجد الباذخ .

أو ضيعوا الحرية وكسبوا تربيةالعزة والشجاعة ،وأحيوا في أبناء الشعب الايطالي نخوة بعد استخذاء ، وثقة بعد عجز وقنوط .

فأين اليوم ما ضيعوا ؟ وأين اليوم ما كسبوا ؟

أما المستعمرات فقد أنفقوا عليهـا مئات الملايـين وهي لا تعوضهم ولن تعوضهم ، بعشر معشار مما انفقوه . ولو انهـم صرفوا بعض هذا المال الى الزرع أو الصناعة أو اغاثة الفقراء، لافادوا على التحقيق أضعاف ما أفادت ، وما تفيد المستعمرات، ومشكوك جدا في بقاء هذه المستعمرات تحت راية الفاشيين الى زمن طويل .

وأما الاساطيل والاسلحة والذخائر ، فها هي ذي معطلـة أو شر من المعطلة ، لانها تؤذي الابرياء وتنتقل الى أيـدي الاعداء .

وأما النخوة الفاشية التي قيل ان الاستبداد قد رباها في نفوس أتباعه ، وانها عوض من الحرية والفوضى الديمقراطية، وأنها ربح لا شك فيه وان ضاعت المستعمرات وضاعت معها الأموال ، فمن يتمناها اليوم لابنه أو لتلميذه أو لصديقه ؟ وما أثرها اليوم في ميادين القتال بجبال اليونان أو برمال الصحراء ؟ وماذا أفادتها الفاشية مما كانوا يسمونه تارة بالروح العسكرية، وتارة بالنزعة الرياضية ؟ وتارة بالعزة القومية ؟

لم تفدها شيئا ، ولن تفيدها شيئا ، وليس بالمعقول ان تفيدها شيئا لو كان المتشدقون بهذه الالفاظ الجوفاء يعقلون أو يتمهلون .

وسبب ذلك كله سهل قريب .

سببه ان الاستبداد يخلق عبيدا من الاحرار ، ولايخلق احرارا من العبيد ، وان الرجل الذي لم يخلق محاربا لن يطبعه على الحرب والشجاعة فقد الحرية وفقد الحكومة المسئولة . بل يزيده وهنا على وهن وهزالا على هزال .

فلم تكن نخوة ولا شجاعة تلك التي اشتراها الفاشيون بفقد الحرية وفقد الاموال وفقد السمعة السياسية . ولكنها كانت هي القحة اللئيمة التي ينالها من يريدها بغير مال ، لانها شيء يناله من ساءت به التربية وساءت به الفطرة ، وضن عليه الزمن بمن يرشده ويربيه .

القحة اللئيمة هي التي سولت للصبيان الفاشيين ان يفرضوا على نابغة الدنيا « توسكانيني » أن يعزف بأناشيدهم الصبيانية ، وان يصفعوه على وجهه وهو شيخ ضعيف حين اعتذر لهم بجهله تلك الاناشيد .

والقحة اللئيمة هي التي سولت للصبيان الفاشيين ان يجروا أنصار العلم والحرية الى الطريق ، وان يربطوهم الى الاعمدة ، وأن يجرعوهم زيت الخروع ليتخذوا من ذلك سخرية ليس فيها سخرية لشجاع ولا ذي نخوة ، وانما هي سخرية الوقح اللئيم .

والقحة اللئيمة هي التي شهدها أبناء بور سعيد وغيرها من الموانىء المصرية في عهد الحملة الحبشية . فقد كان الصبي الفاشي من هؤلاء يجترىء على من يشاء حين يحميه الالوف المسلحون ، ولا يجترىء على أحد وهو منعزل فريد .

هذه القحة اللئيمة هي التي اشتراها الفاشيون بحرية الامة ومال الامة وسمعة الامة ، وهي مبذولة لمن يريدها بغير مال .

ولو ان موسوليني أنفق على العلم والتربية والزراعة والصناعة بعض ما أنفقه على المستعمرات والاساطيل والجعجعة الخاوية ، لكان للامة الايطالية نصيب مما انفق ، ولكان من ذلك النصيب أثر في التهذيب وتربية العزائم واحياء الكرامة .

ولكن موسوليني يعيش بالجعجعة الخاوية ، ويعيش بالمظاهر المسرحية ولا يعيش بالثقافة والنور .

فكيف ينفق اذن على الثقافة والنور ، وكيف لا ينفق اذن على الجعجعة الخاوية والمظاهر المسرحية ، وكيف يستغرب منا اذن ما نقول حين نقول : ان الوقفة على متن المدفع أو على شرفة قصر البندقية ، هي كل ما ربحت ايطاليا المغلوبة على أمرها ، من ثماني عشرة سنة في ظل الفاشيين غير الظليل ، ومن ألوف الملايين التي أنفقت على الجيوش والاساطيل ؟

تلك ثروة ضاعت على ايطاليا الى حين .

ولكنها لم تضع على الدنيا وينبغي الا تضيع ، لانها قد علمتها ما لم يكن يعلمه المخدوعون في الاستبداد ، أو ما يسمونه بالنظام كلما أرادوا أن يستروا طلعة الطغيان القبيح .

فالاموال تضيع جزافا ، والدماء تهدر جزافا ، والحرية تدامس جزافا ، والنفوس تفسد جزافا ، وكل عزيز على بني الانسان يزول جزافا ، ولا نفع من ذلك جميعه لغير الطاغية ، ولا يتعدى النفع وقفة على مدفع أو صيحة من شرفة ، أو نفخة كاذبة يفتتن بها الجهلاء .

ولا يحسبن سامع إننا نضرب المثل بالفاشيين وننسى النازيين ، لان للنازيين مع الطغيان شأنا غير هذا الشأن ،وعاقبة غير هذه العاقبة ، وعبرة غير هذه العبرة .

كلا . فالعبرة واحدة والمصير واحد . وسيجيء اليوم الذي يرى فيه المخدوعون من فشل النازيين مثل ما رأوا من فشل الفاشيين .

فما كان الالمان جبناء قبل هتلر فعلمهم هتلر الشجاعة ، ولكنهم كانوا ينبغون المخترعين والعلماء والادباء ، فعقموا بالنوابغ من جميع هؤلاء ، وكانوا خلقاء أن يصلحوا أمرهم بالسياسة دون قتال ، وهم الان لا يصلحون أمرا بسياسة ولا بقتال .

ولقد كان الناس يضربون الامثال بذهاب ما يجري في الصحراء ، وفوات ما يرقم على الرمال .

فالآن لا يذهب ما جرى على صحراء مصر الغربية ، ولا يفوت ما رقم على رمالها ، ولا يزال عبرة خالدة على الايام ، لا ينساها ذاكر في ارجاء العالم ، ولا سيما في روما وبرلين .

عوامل النصر في الحرب

(١)

الأسلحة الحديثة

أتحدث الى حضراتكم في سلسلة هذه الاحاديث عن عوامل النصر في الحروب عامة وفي الحرب الحاضرة على التخصيص. وليس الغرض من هذه الاحاديث احصاء عوامل النصر جميعا فان هذا شرح يطول وان عوامل النصر في الحرب كعوامل النجاح في الحياة شيء لا يستقصى في بضعة أحاديث ولا يتشابه في جميع الاحوال. كذلك لا نقصد من هذه الاحاديث توجيه الاهتمام الى عامل واحد من جميع العوامل فاننا لا نعرف عاملا واحدا من عوامل النصر يجوز الاكتفاء به كائنا ما كان مبلغه من الخطر والعظمة، ولا نعرف عاملا واحدا من عوامل النصر يجوز اهماله أو اعطاؤه دون حقه من العناية. وحكاية المسمار الذي سقط من الفارس وتعلمناها جميعا في صبانا حكاية تنطبق على كل ميدان وعلى كل سلاح وكل زمان فقد اهمل الفارس ذلك المسمار فدخل في حافر جواده وكان سببا لهزيمته وأسره. وكثير من الهزائم الكبيرة كان سببها اهمال ذلك المسمار الصغير. فعوامل النصر كلها جديرة بالاهتمام وان جاز أن يكون الاهتمام بها على درجات. قال نابليون مرة ان النصر للعديد

(١) مجلة المستمع العربي العدد ١٧ ـ ٧ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٠

الاكثر أو للجيش الذي يفوق غيره في الكثرة وقال مرة اخرى ان القوة العددية بالقياس الى القوة النفسية او قوة العزيمة كنسبة واحد الى ثلاثة وقد يخطر على البال انه تناقض في قوليه أو انه لم يقل شيئا يفيد من يطلب الفائدة في هذا الباب . لكنه أفاد ولم يتناقض في الحقيقة لانه بين للمستفيدين أن قوة العزيمة ترجح فريقا على فريق اذا تساوى الفريقان في العدد ،وأن كثرة العدد ترجح فريقا على فريق اذا تساويا في العزيمة ،وان القائد الذي يعلم ان جيشه قليل في عدده يجب عليه أن يعوض النقص بتشديد عزيمته واضرام نخوته وهكذا يجب على القائد الذي يعلم ان النصر نصيب جيشه من ناحية العزيمة والنخوة لا من ناحية الوفرة والفيالق الكثيرة . وحديثنا هذا الى حضراتكم عن الاسلحة الحديثة وفعلها في كسب النصر وهزيمة الاعداء فمن قديم الزمن سجل لنا التاريخ أن جيوشا فازت على أعدائها لانها استخدمت أسلحة أو عددا لا يعرفها أولئك الاعداء ولا يقابلونها بما يناسبها من وسائل الدفاع ، فانتصرت جيوش لانها استخدمت الخيل أو الفيلة ولم يستخدمها أعداؤها ، بل انتصرت جيوش لان رماحها كانت أطول قليلا من رماح أعدائها او لان أقواسها كانت أبعد مرمى من الاقواس التي كانت تقابلها وانفذ سهاما مما تحتمله دروع المعرضين لها . وهذا الذي حدث وتكرر في التاريخ القديم يحدث ويتكرر في كل تاريخ . فأسبانيا مثلا كان عندها اسطول ضخم من السفن الكبيرة . ولكنها انهزمت في غزوة بريطانيا العظمى لانها اتخذت السفن لنقل الجيوش الجرارة ولم تتخذها للقتال ولا زودتها بالمدافع في المواضع المختلفة كما صنع الانكليز ، غير معتمدين على كثرة العدد في السفينة كاعتمادهم على ما فيها من عدد القتال وبراعة المقاتلين في استخدام

السلاح . لهذا وجب على كل امة تريد النصر وتأبى الهزيمة ان تجدد في اختراع الاسلحة وتثابر على تحسينها ما استطاعت وان تستخرج من كل سلاح أقصى ما يعطيه من أسباب الهجوم أو أسباب المقاومة لان السلاح قد يخترع في البداية لغرض من الاغراض ثم تظهر التجربة أغراضا له أنفع كثيرا من الغرض الاول الذي دعى الى اختراعه . الا اننا نبالغ ونفرط في المبالغة اذا اعتقدنا أن حداثة السلاح وحدها ضمان للنصر والغلبة على الاعداء فهذا خطر ينبغي أن نحترس منه كل الاحتراس لان التعويل على حداثة السلاح وحدها قد يؤدي الى الهزيمة وقد يدعو الى اهمال أسلحة قديمة لا يؤمل اهمالها ، فليس المهم أن يكون السلاح حديثا وكفى بل ينبغي أن نعلم كيف يؤثر هذا السلاح الحديث في الخطط القديمة وماذا يصنع في تبديلها وتعديلها فان العلم بهذا أحق بالاهتمام من مجرد التعويل على حداثة الاختراع

ينبغي أن نعلم كيف يستخدم هذا السلاح الحديث وأين يستخدم ومتى يكون استخدامه . والا فاختراعه وعدم اختراعه يستويان. لقد كان المدفع الرشاش سلاحا حديثا في حرب السبعين وكان الفرنسيون هم الذين استخدموه فلم ينتصروا به في تلك الحرب كما هو معلوم ، مع انه معدود الان بين أقوى الاسلحة التي اخترعها العصريون ، فانهزم أصحاب هذا الاختراع لانهم افرطوا في التعويل عليه وقللوا من تعويلهم على المدافع الضخام ، ولأن التجربة الاولى لم تكشف المواضع ولا الاحوال التي يستخدم فيها هذا السلاح الفعال . ثم جاءت الحرب الماضية والمدفع الرشاش سلاح معروف وليس بالسلاح الحديث فاشتد فتكه بالهاجمين على الخنادق بعد اسكاتها بنيران المدافع الضخام وفكر الحلفاء من

أجل ذلك في اسكات المدفع الرشاش أيضا فاخترعوا الدبابة وتغلبوا بها عليه ،ولم تفعل الدبابة هذا الفعل في حداثتها الاولى بل مضى عليها أكثر من سنة حتى نجحت في الغرض المقصود منها ثم انتهت الحرب الماضية ولا تزال الدبابة في دور التجربة والتحسين.

والان قد مضى على اختراع الدبابة ربع قرن على وجه التقريب فلا يقال انها سلاح حديث أو انها نجحت بفضل حداثتها في ميدان بلجيكا وفرنسا الشمالية .وكل ما يقال انها نجحت بفضل الطريقة التي استخدمت بها والظروف التي أحاطت باستخدامها، فمن المشكوك فيه جدا انها كانت تنجح هذا النجاح لو انهم استخدموها في ميادين جبلية تتقدم فيها الدبابات واحدة بعد واحدة ولا تستطيع أن تتقدم بالعشرات والمئين صفا واحدا تحيط به المركبات وتشرف عليه الطيارات ، ومن المشكوك فيه جدا انها كانت تنجح هذا النجاح لو استخدموها في أرض تلتف فيها أشجار الغابات والآجام أو استخدموها في بلاد قد استعدت للقائها بالالغام والعدد المنيعة ولم تقع فيها تلك التقصيرات التي قال السادة الفرنسيون في وصفها انها تستعصي على كل تصديق، بل من المشكوك فيه انها كانت تنجح هذا النجاح لو استخدموها في فصل من السنة غير أوان الصيف لان امطار الشتاء تعوقها ولو بعض التعويق وغمائم الشتاء قد تحجبها عن الطيارات التي تشرف عليها كما تحجب الطيارات عنها الا اذا هي جازفت بالهبوط الى ما دون الارتفاع المأمون، واذا لزم نقل الدبابات والمركبات المدرعة بحرا لغزو بلاد كالجزر البريطانية أو افريقيا الشمالية فقد تصبح في هذه الحالة مصدرا للضعف لا مصدرا للقوة وقد تجعل الغزو بالسلاح الحديث أصعب من الغزو بالاسلحة التي كانت

معروفة قبل مائة سنة، لان نقل الدبابات في البحر لا سيما الكبير منها ليس بالامر الهين مع ما تلقاه من مقاومة الاساطيل . لهذا جميعه يحق لنا ان نقتصد في تعظيم خطر الأسلحة الحديثة لمجرد حداثتها وان نتأنى قبل الجزم بنجاحها في تحقيق النصر الحاسم لمن يخترعونها وان نحترس من تهويل المهولين بما يزعمونه من المخترعات والمستحدثات . فربما انقضت على هذه المخترعات حروب متعددة قبل أن توضع في مواضعها وربما كان التعويل عليها سببا من أسباب الهزيمة والتقصير الوخيم . وقبل ان نسأل عن حداثة السلاح يحسن بنا ان نسأل عن طريقة استخدامه وعن الميدان الذي يصلح له والاوان الذي يصيب فيه . فهذه هي الاسئلة التي يتوقف على جوابها ترجيح جانب النصر أو الهزيمة في جميع الحروب .

واليوم تروج الاشاعات الجامحة عن خوارق العادات التي اخترعها النازيون لشق البحار وتسخير الهواء وتدويخ الاقطار ، ويوشك بعضهم أن يذكرونا بمعجزة موسى عليه السلام التي فلق بها البحر لبني اسرائيل دون المطاردين لهم من جند فرعون . أليس النازيون شعب الله المختار في الزمن الحديث ؟ فلماذا لا يصنعون اليوم ما صنعه شعب الله المختار في الزمن القديم ؟ وأغلب الظن عندنا ان هذه المخترعات المزعومة ليس لها وجود . فان العسكرية الالمانية لم تشتهر بالاختراع كشهرتها بالتطبيق والتحسين ، فلا الدبابة ولا الطيارة ولا الغواصة ولا قذائف الاعماق ولا المدفع الرشاش ولا سلاح من الاسلحة الحاكمة كان اختراعه الاول على يد الالمان . وان كانت لهم قدرة على التطبيق والتحسين يستفيدون بها من كل اختراع فقد نزعوا أخيرا الى تعديد الاغراض من السلاح الواحد كلما

تعذر عليهم الهجوم الجارف بالسلاح الكبير في ميدان مفتوح ، فاستخدموا في حرب النرويج مدفع ثمانية وثمانين ـ أي ٨٨ مليمترا ـ لمقاومة الطيارات ومقاومة الدبابات والقيام مقام المدافع الصغيرة في الميدان وهو لا يغني في مكافحة الدبابات غناء السلاح المخصص لهذه الغاية، ولايغني في مكافحة الطيارات غناء السلاح المرصود لها في الجيوش الحديثة ، ولكنه يجمع الاغراض الثلاثة جهد المستطاع ولا يصعب نقله في الهواء كما يصعب نقل الاسلحة الثلاثة لعدد كبير من الجنود ، وكذلك عمدوا أخيرا الى استخدام الطيارة الواحدة للقتال ولالقاء القذائف خلافا للمتبع من ارسال طيارات القذائف فيحراسة طيارات القتال .فهل معنى ذلك انهم يريدون أن يقصروا عمل الطيارات في ما وراء البحر على القاء القذائف دون انزال الجنود ؟ لا يلزم أن يكون هذا هو المقصود من تعديد أغراض الطيارة الواحدة . ولكنه يدل على اتجاه في ما يسمونه بالمخترعات الحديثة وهو جمع الاسلحة المتعددة في سلاح واحد حيثما تعذر عليهم استخدام كل سلاح على انفراد .

وبعد ، فالحرب الحاضرة لا تزال في انتظار سلاحها الحديث فاذا جاء هذا السلاح اختراعا محضا ، فالارجح أنه لا يأتي من جانب الالمان لانهم قلما يخترعون ويبتدعون وندر أن يتجاوزوا في الاسلحة حدود التطبيق والتحسين .

***

عوامل النصر في الحرب

(٢)

الدعـوة

كان حديثنا الاول في هذه السلسلة عن الاسلحة الحديثة .

وسيكون حديثنا الليلة عن أقدم سلاح في الحروب وهـو سلاح الكلام .

فان النار بالعودين تذكو وان الحرب أولها كلام

فمما لا ريب فيه ان الاسلحة الحاضرة جميعا لم تكن موجودة يوم أن كان سلاح الكلام موجودا له أثره ومضاؤه .

فقد استعان به أصحاب كل دعوة وأصحاب كل مذهب قبل استعانتهم بالسيوف والسهام .

ووقف الشجعان أمام الصفوف يرعبون أعداءهم بما يقولون قبل أن يرعبوهم بما يفعلون .

وتقدم سلاح الكـلام مـع الزمن كما تقدم كـل سلاح . فأصبح نشر الدعوة اليوم فنا من أدق الفنون وأحوجها الى البراعة والمعرفة والاختبار .

وأصبحت قدرة الدولة على نشر دعوتها مساوية لقدرتها على طبع سلاحها وتنظيم جيوشها وتصريف سياستها في بلادها وفي البلاد الأخرى : يستوي في ذلك من كان على الحق ومن كان على الباطل . لان الحق كثيرا ما يكون كالدواء المجهول . ولا بد للدواء النافع من عالم يهتدي اليه وطبيب يوصي بـه ونصيحة تسوغه

وتهييء له القبول . وقد احتاج الناس الى الوف السنين للتمييز بين دواء الطب الصادق ودواء الطب الكاذب مع أن الاثر قريب الظهور في الاجسام . فما أحوجهم اذن الى التمييز بين الصحيح والفاسد من الاقوال وهما عرضة للتشابه والاختلاط والخفاء .

على أننا نسمي « الدعوة » سلاح الكلام من قبيل التجوز والتقريب والتعبير .

والا فان الدعوة تكون بالصور والرسوم كما تكون بالاقوال، وتكون بالمواكب والاعلام والاصداء الموسيقية كما تكون بصورة المصور ونقش الراسم وكلمات الخطيب .

وتكون أحيانا بالصمت والوسائل السلبية كما تكون بالاقوال والافعال .

وكل ما يؤدي غرض الداعي فهو « دعوة » ولو نفذت الى النفوس مباشرة بغير وساطة الابصار والاسماع .

فما هو غرض الداعي ؟

أو ما هو غرض الدعوة ؟

يعتقد بعض الناس أن الدعوة هي توصيل الخبر وتوسيع انتشاره .

ويزيد عليهم آخرون أن توصيل الخبر وتوسيع انتشاره لا يكفيان ، بل لا بد من الاقناع والتقرير .

فهل الاقناع والتقرير كافيان لتحقيق الدعوة على هذا الاعتبار ؟ نعتقد انهما لا يكفيان حق الكفاية ، لان الدعوة لا تستغني عن التوجيه بعد الاقناع والتقرير ، سواء كان التوجيه الى عمل مطلوب او الى الامتناع عن عمل غير مطلوب .

وعلى هذا تكون الدعوة الناجحة في تعريفها الصحيح تقريرا لمعنى من المعاني يراد به التوجيه الى وجهة مرسومة وهي بهذه

المثابة من أقوى أسلحة الحروب : من ملكها فهو وشيك أن يملك النصر وينجو من الهزيمة .

وفن الدعوة واحد وان اختلفت الأساليب والوجهات ، فلا بد لكل دعوة من شعار محفوظ يسهل فهمه وترديده ،ومن الحاح في التكرار يعيد المعنى الى الاذهان حينا بعد حين ، ومن قدرة على لفت الانظار واسترعاء الأسماع ، ومن تعويد الناس أن يترقبوها ويهتموا بها في أوقات بعد أوقات ، ومن اجتناب التكذيب السريع بالدليل المحسوس ، ومن توضيح للغاية توضيحا ينفي التردد والحيرة والالتباس، ومن إقامة الحواجز النفسية والعقلية بين سامعيك وبين دعوات الاعداء والخصوم . بحيث يحتاج الاعداء والخصوم الى عناء شديد في توجيه الكلام الى اولئك السامعين .

هذه عناصر لا تخلو منها دعوة ناجحة ، أيا كان القائمون بها ، وأيا كانت الوجهة التي يتجهون اليها .

فهي لازمة في دعوة الديمقراطيين لزومها في دعوة الشيوعيين والنازيين .

وهي مطلوبة لمن ينشرون العقائد الدينية ، كما هي مطلوبة لمن ينشرون الآراء السياسية .

وهي واحدة لا تتغير فيجوهرها حيثما وجدت الدعوات ووجد الدعاة .

وواحدة لا تتغير في جوهرها سواء كانت الدعوة مباشرة صريحة ، أو كانت ترمي الى تمهيد الاذهان من طريق التعليم والتلقين البعيد .

عناصر الدعوة واحدة مع جميع الدعاة .

ولكن الدعوات مع ذلك أنواع تختلف باختلاف مقاصدها وموضوعاتها والقائمين بها .

فليس بمعقول أن تكون الدعوة الى ترويج الفضائل كالدعوة الى ترويج الشهوات ، وان كان الدعاة في الحالتين يحتاجون الى عناصر الدعوة من تكرار وتوضيح واسترعاء للانظار ، الى آخر ما أسلفناه .

وفي الحرب الحاضرة أمامنا ثلاث دعوات مختلفات ، وهي دعوة الديمقراطيين ، ودعوة الشيوعيين ، ودعوة النازيين والفاشيين ومن ينسجون على هذا المنوال .

فكل هؤلاء لا ينجحون في دعوتهم الا اذا توافرت لهم شروط واحدة لا تختلف بحال من الأحوال .

ولكن الدعوات مع ذلك مختلفات .

فما هي أوجه الخلاف بينها ؟ وما هو الشيء الذي يقبله الشيوعيون أو النازيون في دعوتهم ولا يقبله الديمقراطيون ؟ أو ما هو الشيء الذي يقبله هؤلاء ولا يقبله الشيوعيون والنازيون ؟

ان التفريق بالامثلة أسهل من التفريق بالمبادىء والشروح .

فلنفرض مثلا أن داعيا ديمقراطيا وداعيا شيوعيا ، وداعيا نازيا ، وصلوا لنشر الدعوة في أمة من الأمم ، فكيف يعملون ؟ وفي أي مقصد يتفقون أو يختلفون ؟ .

ان الداعي الديمقراطي يخاطب الأمة في جملتها ويحاول أن يقنعها بمصلحتها القومية وبما ترجوه من الحرية اذا نجحت قضية الديمقراطية واذا لجأ الى الوسائل الخاصة فهو انما يلجأ اليها للوصول الى هذه الغاية .

أما الداعي الشيوعي فهو لا يتجه الى الأمة في جملتها بل يتجه الى المحرومين من أبنائها ويحاول أن يبذر في نفوسهم بذور الحسد والشقاق بينهم وبين الطبقات الأخرى ، وهو في أثناء ذلك يبشر ما استطاع بمذهب كارل ماركس في الاجتماع والاقتصاد ، لهدم العقائد والآراء التي تحول دون تصديق دعواه .

أما الداعي النازي فهو لا يحفل كثيرا بالدعوة الى مذهبه في الحكومة أو في الشؤون الاجتماعية ، بل يجعل ذلك في المنزلة الثانية أو الثالثة من الأساليب التي يعتمد عليها ، ويحصر همه الأول في الاتصال بأفراد من ذوي النفوذ الذين يسهل شراؤهم أو تسهل استمالتهم بوجه من الوجوه ثم يتصل من طريق هؤلاء أو من طريق غيرهم بأفراد من اللاغطين في المجالس والاندية ينشرون فيها الذعر والفزع ويبالغون في التحذير من اغضاب النازيين والتوكيد بانتصار هؤلاء على أعدائهم أجمعين ، ولا يترك النازيون ضحايا دعوتهم معترفين بجبنهم وتغليبهم لمنفعتهم وسلامتهم الوطنية والآمال الانسانية . كلا ! فان النفس تأنف من الاعتراف بالجبن والنذالة وتحب أن تداري هذه الوصمة وراء ستار . فلهذا يقول النازيون لضحايا دعوتهم أنهم لن يتعرضوا لبلادهم بسوء وانهم من أجل ذلك لا يحتاجون الى مقاومة ولا استعداد . فيسهل على الجبان أن يترك الواجب لانه يزعم أن الخطر بعيد أو غير موجود ، ولا يسهل عليه أن يترك الواجب معترفا لنفسه وللناس بأنه جبان .

ومع هذا التهويل والتسميم يلتفت النازيون الى مواضع التفرقة أو مواضع القنوط فلا يزالون بها يزيدونها ويوسعونها حتى يبلغوا بها ما يريدون ، وهو تمويت العزائم وشل روح المقاومة وتنبيه حب السلامة والاستسلام .

فالدعوة الديمقراطية لا تثمر الا مع الثقة بالكرامة الانسانية ، أي مع الثقة بأن الانسان مخلوق لم يتجرد من النبل والنزاهة ، يعشق الحرية ويتطلع الى المثل العليا ويؤثر الخير الانساني العميم على المنافع الصغيرة والشهوات الوضيعة . وهذه الثقة بالفضائل الانسانية مصدر قوة ومصدر ضعف للدعوة الديمقراطية : مصدر قوة لأن الأمة اذا تيقظت فيها النخوة الوطنية وتحركت فيها طبيعة التضحية هان عليها كل عسير واستخفت بكل خطر وخفت فيها صوت الدسائس واللبانات، ومصدر ضعف لان النفوس في غير هذه الحالة تنقاد للاهواء وتجنح الى الشح وطلب السلامة .

والدعوة للشيوعية لا تثمر الا اذا اعتمدت على عصبية طائفية يشعلها الحرمان وتقودها الفلسفة الماركسية ، وهذه أيضا قوة وضعف على حسب الحالات ، فهي قوة لأن العصبية التي يضرمها الحرمان تقتحم السدود ، وهي ضعف لانها تعادي كثيرا من المقدسات والمصالح الكبرى ولا تتهيأ بواعث هذه الدعوة في كل حين .

والدعوة النازية لا تثمر الا مع التعويل الشديد على النذالة الانسانية ، وهذه أيضا قوة وضعف على حسب الحالات ، فهي قوة لان النذالة الانسانية مع الاسف ليست بالنادرة في الدنيا ، وهي ضعف لان النذالة لا تتقدم الى الصف الاول وتستولي على مكان السيطرة الا اذا تعززت بالسطوة المادية واستندت الى دلائل النصر والغلبة . فاذا لاحت دلائل الفشل فترة وجيزة على النازيين فالويل لهم من نذالة اتباعهم . لانهم في تلك الحالة يتبرعون بالاساءة اليهم والشماتة فيهم كما هو دأب النذالة مع كل مغلوب .

وهكذا تأتي الدعوة النازية في الطبقة السفلى بين جميع الدعوات ، لأن الديمقراطية تثق بالكرامة الانسانية ، والشيوعية تعتمد على اثارة الاحقاد وتحريك المطامع ولكنها تدين نفسها بما تدين به سامعيها ، فيرضى الشيوعي ان يتصف بالحقد الذي يغرسه في قلوب سامعيه ، أما النازية فهي تحتقر من تدعوهم اليها وتسومهم ان يصبروا على الضيم في الوقت الذي تفرض فيه على قومها أن يسودوا العالم ولا يقنعوا بما دون السيادة .

والنازيون يشعرون تمام الشعور بأنهم لا يخدمون قضية انسانية ولا مصلحة عالمية ، ولهذا ينشرون الدعوة في أمريكا مثلا ولا ينتظرون منها ان تحارب في صفوفهم ، ولا ان تكف عن كراهتهم والطعن فيهم ، وقصارى ما تذهب اليه احلامهم ان تقف الكراهة عند هذا الحد فلا تتجاوزه إلى محاربتهم وقطع العلاقة بينها وبينهم . وان هذا وحده لاعتراف من النازيين غير مقصود بأنهم لا يخدمون بني الانسانية ولا يستحقون من العالم التأييد .

* * *

من ايثار الايجاز أن نلحق سلاح الاستطلاع بسلاح الدعوة في حديث واحد . فان أحوال عدونا تعنينا كل العناية ، ولهذا يجب أن نؤثر فيها بالدعوة كما يجب ان ننفذ إلى أسرارها بالاستطلاع . وكلا الأمرين مرتبطان . فاذا فهمنا أسرار عدونا فهمنا كيف ندعوه وكيف نتغلب عليه ، واذا تيسر لنا توجيهه تيسر لنا أن نقبض على أحواله بزمام .

واذا صح قول سقراط « اعرف نفسك » فمثله في الصحة أن نقول .. « اعرف عدوك » . فمعرفة النفس حكمة ومعرفة العدو نجاة .

عوامل النصر في الحرب

(٣)

النظام والحرية

أتحدث الى حضراتكم (١) عن عامل النصر الذي يرجع الى النظام والحرية ، فمن الامور المفروغ منها ان النظام شرط لا غنى عنه في تكوين الجيوش ، فلا يتصور العقل وجود جيش الا اذا تصور معه وجود نظام . ومن الامور المفروغ منها ان الامة التي تطلب النصر لا تستغني عن تنظيم الموارد وتنظيم الارزاق وتنظيم الجهود ، وكل مزية لقائد على قائد فانما هي في حقيقتها مزية في القدرة على تنظيم الخطط أو تنظيم الحملات والحركات العسكرية على الاجمال . فمن فضول الكلام ان يقال ان النظام عامل من عوامل النصر في الحروب . ولهذا لانريد ان نطيل في هذا المعنى الذي لا نزاع فيه ، ونريد من حديثنا هذا ان نثبت فضل الحرية الى جانب فضل النظام أو نثبت فضل الحرية من حيث هي مزية عسكرية يمتاز بها جندي على جندي وقائد على قائد وفريق على فريق .

فقد قيل كثيرا ان الامم الحرة تصبر على الحرب، لانها تدخل فيها حرة غير مسخرة ولا جاهلة بما تقدم عليه . وقيل كثيرا ان الفرد الحر يعلم انه يحارب بمشيئته ويذود عن كرامته فيجاهد

(١) مجلة المستمع العربي العدد ١٩ ـ ٧ يناير (كانون ثاني) ١٩٤١ .

فيها جهاده فيما يخصه ويعنيه . لكننـــا لا نريد بحديثنا هنا ان نتكلم عن مزية الحرية السياسية أو الاجتماعية ولا عن مزية الحرية في تشديد العزائم وتعريف المقاتلين باغراض القتال ، وانما نريد ان نتكلم عن الحرية التي تساعد الجندي في عمله العسكري وهو في ميدان القتال . وهي الحرية التي نستطيع ان نعلل بها تفوق الطيران البريطانـــي عــــلى مثله في المانيا ولا نستطيع ان نعلل هذا التفوق بغيرها .

مزايا الطيار البريطاني

فقد وضح من الشواهد المتكررة ان المسألة هنا مسألة تفوق الطيارين قبل ان تكون تفوقا في الطيارات . فما هي المزية التي تتوافر للطيار البريطاني ولا تتوافر للطيار في الأمة الألمانية ؟ ان الالماني لا تعوزه الشجاعة التي اتصف بها الانكليز والبريطانيون. فهو مقاتل من سلالة إمة مقاتلة منذ عرفت في التاريخ . وقد اشبعت نفسه حقدا وسخطا في عهد الحكومة النازية فاضطرمت في قلبه جذوة القتال فوق ما فيها من عوامل الوراثة . كذلك لا تعوزه الدقة والبراعة في ادارة الآلات ومعالجة العدد والمخترعات. فان الالات الالمانية في عالم الصناعة قد تبلغ من التعقيد وصعوبة التركيب حدا يتعب من يديرونها وهي مع ذلك تدار في كل يوم على ايدي المهندسين والعمال من الالمان . وليس السلاح الجوي البريطاني باقدم من سلاح الجو عند النازيين فيقال ان المسألة مسألة تدريب وتمرين ، فلربما كان اهتمام النازيين بالطيارات اعظم جدا من اهتمام البريطانيين ، لان النازيـــين يعوضون بالطيارات ما فقدوه من قوة الاساطيل في البحار . فهــــم لا يقصرون في الاهتمام بهذا السلاح ولا يهملون التدريب عليه .

فاذا كان الألماني مســاويا للانكليزي في الشجاعة وتناول الالات الدقيقة ومساويا له أو مسابقا في الاهتمام بسلاح الطيران، فهناك مزية اخرى يرجع اليها تفوق الطيارين البريطانيين ولا تتوافر في الطيارين النازيين . وهذه المزية هي استقلال الارادة أو هي الحرية الفردية ، وهي التي برزت في تربية البريطانيين ونقصــت في تربية الالمــان . فما من ســلاح يحتاج الى الارادة المستقلة أو الحرية الفردية كاحتياج الطيار الى هذه الفضيلة . فان الجندي يعمل بارشاد قائده مع الوف آخرين . واذا عمل وحده في مهمة خاصة يقوم بها فرد من الافراد فهم يعينون له هذه المهمة تعيينا لا يتصرف فيه ولا يتجاوز فيه مجرد التنفيذ . اما الجندي في الهواء فهو قائد نفسه ومالك ارادته يستعد في كل لحظة لمواجهة الطوارىء التي لا يهديه فيهــا أحد ولا يرجع الى غير الملاحظة السريعة والحركة الملائمة لكل طارىء جديــــد حسبما يطرأ في حينه . وليكن طائرا على انفراد أو طائرا في سرب كبير أو صغير يقوده رئيس مشرف عليه فانه محتاج الى دقة الملاحظة وسرعة التصرف على كل حال . لان اشارة الرئيس من طيارة اخرى لا تغنيه في طيارته عن النظر فيما حوله والتربص بعدوه الهاجم عليه والفطنة السريعة لمرمى ذلك الهجوم وطريقة الزوغان منه أو يقابله بالدفاع على حسب كل حركة وكل التفات وكل تغيير في الاتجاه .

الالماني آلة صماء

من هنا نجح الطيار البريطاني الذي نشأ على حرية التصريف والتقدير . ومــن هنا فشل الطيار الالماني بالقيــاس الى ذلك النجاح لانه تعود أن يؤمر وأن يعمل بارشاد رؤسائه فلا ينفرد

برأيه الا ادركته الحيرة في بعض المواقف ولم تسعفه الملاحظة السريعة التي تسبق العمل السريع وبخاصة اذ كان مطلوبا في العمل ان يتغير ويتبدل في العمل على حسب الصعود والهبوط وحسب التقدم والارتداد وحسب العوارض التي لا تدخل تحت حصر ولا ينفع فيها سبق ارشاد . والحرب على الماء وسط بين الحرب في الهواء والحرب على الارض في الحاجة الى الارادة المستقلة والحرية الفردية . فالقائد البحري يصدر الاوامر الى الاسطول كله ولكنه لا يحرك كل سفينة من سفن الاسطول ولا يقف على ايدي الجنود والضباط وهم يعملون متفرقين بل يعملون مختلفين فيما يتناولونه من الادوات ويباشرونه من الحركات . فلهم بعد امر القائد الاكبر نصيب من الحرية والتصريف يزيد بلا شك على نصيب الجندي الذي يعمل وسط الالوف في اتجاه واحد في ميادين اليابسة وينقص بلا شك على نصيب الجندي المحلق في الهواء بغير دليل غير ما تهديه اليه الملاحظة وصدق الفراسة .

تأثير التربية الحرة

ولهذا تدخل التربية الحرة والارادة المستقلة في مقدمة الاسباب التي جعلت الانكليز في طليعة البحارين من أمم العالم . ولا يقتصر الأمر كله على اشتغالهم بالملاحة منذ زمن بعيد. الا ان الحرية فضيلة عسكرية تظهر في حروب البر كما تظهر في حروب الهواء والماء ، لان الجيوش التي تندفع بروح القطيع وتضمحل فيها ارادة الافراد قد تهجم هجوم الشجعان كما يهجم كل قطيع مستخار متحفز للقتال ، ولكنها لا تلبث أن تتعرض للذعر والفزع حتى تتفرق اشتاتا مبعثرة لا مساك بها ولا طاقة لها بالروية والتفكير . شأنها في ذلك شأن كل قطيع مذعور ،

فاذا كانت غريزة القطيع قوة للجيش وهو هاجم منتصر متغلب على العقبات ، فهذه الغريزة ضعف شديد للجيش اذا شاع فيه الذعر وصدمته الموانع واختل فيه النظام ، لانه يخاف خوفا مضاعفا بكثرة العدد ، كما يهجم هجوما مضاعفا بفضل تلك الكثرة وبفضل ما تبثه فيه من حماسة الاجتماع ، فالجماعة الهاجمة أشجع من الفرد في هجومه ولكن الجماعة الخائفة أجبن من الفرد في خوفه واستطارة قلبه . وهنا تظهر فضيلة الجيوش التي تسعفها الحرية الفردية ولا تستمد قوتها كلها من غريزة القطعان . والمثل البارز على ذلك في الحرب الحاضرة تقهقر الانكليز الى دنكرك امام الجيوش الالمانية المغيرة التي تربى عليهم عدة أضعاف ومعهم من العدد الهائلة ما لم يتعبوا في نقله كما يتعب الانكليز في نقل هذه العدد بالاساطيل . لو كانت الحرية الفردية ضعيفة في الجيش المتقهقر لتبدد في ذلك الموقف المرهوب كما يتبدد القطيع المذعور ولوقع الجيش برمته في الاسر أو حل به البوار ، لكن الحرية الفردية عصمته من غريزة القطيع المذعور وتركت لافراده ملكة الاناة والتفكير واليقظة في كل خطوة من خطوات الارتداد ، ولولا ان الجنود يملكون زمامهم افرادا مستقلين لما استطاعت القيادة العليا ان تملك زمامهم وقد افلت من حولهم كل زمام .

سبب هزيمة فرنسا

مثل هذا التقهقر لم يعرف له مثيل في الجيوش الالمانية على ما اتصف به الالمان من الشجاعة والاستبسال ، ففي الحرب الماضية صدموا الصدمة العنيفة في وقعة المارن الثانية فانتشروا منهزمين مهرولين في هزيمتهم الى الاسر بمئات الالوف مع انهم

كانوا يرتدون الى خنادقهم ومواقعهم الاولى ، ولا يرتدون الى شاطىء البحر ليركبـوا السفن تحت وابل من نيران المدافـع والطيارات ، وكذلك انهزم الجيش الروسي في الحرب الماضيـة وهم أقرب الى غريزة القطيع فضاعت شجاعة الافراد واخفقت جهود القواد ولم يعرف المهزومون المرتدون موئلا تقف عنـده الهزيمة والارتداد .

فاذا اطنب المطنبون في فضيلة النظام فمن الخطأ ان ينسوا معها فضيلة الحرية الفردية لانها في مواضعها فضيلة عسكرية مشهودة الاثر النفع وليست من الفضائل التي ينحصر نفعهـا في التربية السياسية وفي الاخلاق الاجتماعية .

ويلوح لنا ان هزيمة فرنسا الكبرى في الحرب الحاضرة كانت من آفة الحرية ولم تكن من آفة النظام ، فلولا الجمود على التقاليد ولولا العجز عن التصرف ولولا الحجر على آراء المجددين لما جاءت هزيمة فرنسا من طريق الدبابة وهي من المصنوعات الفرنسية . ولا غاب عن فرنسا سبيل الدفاع وفي يديها جميع أدواته فما جاءها الالمان في غزوتهم لهـا بجديد الا التصرف في تنظيم السلاح القديم . وقد قلنا في حديث سابق ان المانيـا خلت من طبقة القواد الاقدمين أو القواد التقليديين فكان هذا نكبة فادحة في طيها نعمة راجحة وهي نعمة الطلاقة في ميـدان التجديد غير عابئة بالسوابق والتقاليد .

ونقول في ختام هذا الحديث ان حقيقة واحدة من حقائق التاريخ لا تقبل المراء والانكار وهي ان الحرية مزيج لا يخلو منه عمل عظيم ولا خلق عظيم واننا كلما نظرنا الى حادث خارق من حوادث الدنيا وجدنا للحرية يدا فيه .

عوامل النصر في الحرب

(٤)

القوة المعنوية

القوة المعنوية عامل من عوامل النصر في كل ميدان من ميادين العمل ، وهي من أجل ذلك عامل من عوامل النصر في ميدان القتال. وهي الليلة موضوع الحديث، من سلسلة الاحاديث عن عوامل النصر في الحروب ، ولا سيما الحرب الحاضرة .

ان الصانع الذي يقبل على عمله مشغوفا به ينجح في صناعته ويمتاز بين زملائه .

والتاجر الذي يرى في سوق التجارة مجالا لكفاءته ومتسعا لنشاط نفسه وفكره ينتصر على منافسه الذي يلتمس الرزق من التجارة وكفى .

والعالم الذي يبحث لانه يريد أن يبحث أولى بالافادة والاستفادة ممن يطلب العلم لانه واجب مفروض عليه .

وعلى هذا النحو ، ينتصر الجندي الذي يحارب وهو مؤمن بالقضية التي يحارب من أجلها ، راغب في انتصارها ، كاره لانكسارها ، صابر على شدائدها وأضرارها ، ولو لم يصبه شيء من النفع والغنيمة .

انتصر المسلمون على المشركين في بداية الدعوة المحمدية . فبماذا انتصروا ؟ .

لقد كان المنتصرون والمنهزمون من جنس واحد ، بل ربما

كانوا في بعض الاحيان من قبيلة واحدة ، فلا يمكن أن يقال ان الانتصار في تلك المعارك كان انتصارا لفضائل جنس على جنس أو جيل على جيل .

وكان المشركون أوفر عددا وأوفر سلاحا وأوفر مالا ، فلا يمكن أن يقال أن المسلمين انتصروا بوفرة العدد ، أو وفرة السلاح أو وفرة المال .

وكانوا جميعا يقاتلون في اجوائهم وبين أهلهم وعشيرتهم ، فلا يمكن أن يرجع النصر الى تغيير المناخ والاقليم .

فالقوة التي غلب بها المسلمون هي قوة غير هذه القوة : غير قوة الجنس والعدد والسلاح والمال وموافقة الجو والظروف.

هي قوة العقيدة والايمان .

أو هي ما نسميه اليوم بالقوة المعنوية .

وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

واذن الله هو كل قوة لا يحصيها الحساب والارقام ، وكل عامل من عوامل النصر مستودعه النفوس ، دون المعامل والخزانات .

* * *

ومن الناس من يظنون اليوم أن القوة المعنوية في الحروب الحديثة ضعيفة الاثر بالقياس الى أثرها العظيم في حروب القرون الاولى .

يظنون ذلك وحجتهم في هذا الظن أن الحرب الان حرب هندسة وآلات ، وأن الجندي فيها لا يحتاج الى الشجاعة حاجته الى الفن والدراية ، وان القذيفة تصيب من يد الجبان كما تصيب من يد الباسل المقدام . فسيان جيش من المؤمنين وجيش من

المرتزقين ، وان لم يكونا سيين فالفرق بينهما ليس بالفرق البعيد .

وهذا كلام عجيب لا ندري كيف يخطر على بال أحد يراقب أعمال الحياة ، ولا نقول يراقب أعمال القتال ، ويصاحب الجيوش في الميدان .

فالحرب ـ قديما أو حديثا ـ لم تخرج عن كونها عملا من الاعمال ، وكل عمل في الدنيا فالنجاح فيه مقرون بالغيرة والقدرة على الصبر والمثابرة او هو بعبارة أخرى مقرون بالقوة المعنوية .

على أن الواقع المعقول أن الحروب الحديثة أحوج الى القوة المعنوية من الحروب القديمة .

لان الحرب في الزمن الماضي كانت في اكثر الاحيان اشتباكا بالسلاح الابيض ، وصراعا جسديا بين المقاتلين . ومن شأن الاشتباك والصراع أن يثيرا الحماسة للقتال ، وان يهيجا الغرائز الحيوانية التي تعين على الصبر ومواجهة الاخطار . فاذا التحم الجيشان فهناك حرارة في النفوس كالحرارة التي تنبعث في الاجسام المادية بالاحتكاك ، وقد تفعل هذه الحرارة فعل القوة المعنوية في اذكاء النخوة واضرام الشعور .

أما الحرب الحديثة فالمعول فيها على الفكر والاعتقاد قبل اعلانها وبعد اعلانها ، وهي لا تعلن في أكثر الاوقات الا بعد فترة طويلة يطول فيها الصراع بالافكار والمعتقدات . وكلما قلت حركات الاشتباك والالتحام زادت الحاجة الى تثبيت النفوس وتدعيم الاخلاق وتشجيعها على الصبر ومواجهة الاخطار . فلا يخطو الجندي خطوة الى ميدان القتال الا في أثر فكرة سابقة

وعقيدة معلومة ، ولا يصبر فيه على ساعات الجهد والسأم الا بمدد من تلك الفكرة وقبس من تلك العقيدة .

فاذا احتاجوا الى القوة المعنوية بالامس مرة ، فلا جرم نحتاج اليها اليوم مرات ، واذا اشتبكت صفوف الاقدمين فاشتعلت بينهم حرارة القتال ففي العصور الحديثة لا تشتعل الحرارة بغير احتكاك العقول والضمائر ، أو بغير العقيدة والقوة المعنوية .

ولا تنس الشعوب في بيوتها واسواقها ومزارعها اذا ذكرنا الجيوش في ميادينها وحصونها .

فان الشعوب القديمة لم تكن تشترك في مصائب القتال . أما شعوب اليوم فلها نصيب واف من تلك المصائب ، ولها من أجل ذلك حاجة دائمة الى القوة المعنوية ، فان لم تطلب هذه القوة المعنوية لمواجهة الغارات فقد تطلبها لمواجهة الضيق وقلة الطعام وتبديل نظام العيش المألوف .

* * *

فالواقع المعقول كما قدمنا ان القوة المعنوية سلاح لا غنى عنه في جميع الحروب ، وهو في الحروب العصرية الزم منه في حرب العصور الماضية .

وقد رأينا الفريقين في الحرب الحاضرة يتسلحان بالقوة المعنوية ويجعلانها في مقدمة العدد والازواد : كل على طريقته التي توافق أغراضه وتوائم فهمه وشعوره .

فالطريقة النازية أن يعيش الانسان للحرب وتصطبغ جميع أفكاره بالصبغة الحربية حتى تصبح الحرب عنده ضرورة لا محيص عنها ، بل فضيلة معشوقة لمحاسنها ومغرياتها ، تستحق

ما يبذل لها من مهر وما يحتمل فيها من مشقة .

والطريقة الديمقراطية أن يؤمن الانسان بالحياة الحرة ، ويؤمن بما للحياة من المعاني السامية : معاني العطف والحق والتقدم والجمال . فيصبح محبا للحياة ، ولكنه يصبح في الوقت نفسه وهو يشعر بأن الخطر على الحرية والمعاني السامية خطر على الحياة ، فيبذل دمه في سبيل تلك المعاني السامية وهو راض مستريح ، لان الحياة بغيرها عبء ثقيل لا يطاق وخواء فارغ لا يطيب لساكنيه .

كلا الفريقين اذن يزود جنوده بما عنده من القوة المعنوية، وكلاهما يصفح تلك القوة المعنوية في مصنعه ويطبعها بطابعه . فكما ان هناك طرازين من الدبابات والطيارات في الحـــرب الحاضرة ، ففيها كذلك طرازان من القوة المعنوية ، يتنازعـان النصر ويعتقدان انه حق لهما بما أجادا من الصنع والتحضير .

قضى النازيون اكثر من عشر سنين في خلق قوتهم المعنوية وصقل دروعها . فنشروا عقيدة الجنس الآري وامتيازه على سائر الاجناس ليعودوا الشعب احتقار الشعوب الأخرىوالايمان بحق السيادة عليها ، ونشروا عقيدة الظلم والاضطهاد ليثـور قومهم ثورة المظلوم المضطهد على من يحرمونه نعمة الرغد والمعزة والرخاء ، ونشروا عقيدة الطاعة العمياء ليسوقوا قومهم الى حيث يشاءون فلا يسمعون اعتراضا من رفيع أو وضيع ، ونشروا عقيدة الكراهيـة للديمقراطية من جهـة والشيوعية من جهـة ليجعلوا العالم كله أعداء ألداء ليس بين الالمان وبينهم غير حد السيف وشريعة القتال .

تلك عناصر القوة المعنوية التي تسلح بهاالنازيون في وجه المخاوف والكوارث والاوزار . وقد حصنوا بها تحصينا منيعـا

وانشأوا بها عقيدة كفاح لا يستهان بها واداة بأس لا ريب فيه، ولكن هذا كله شغل مخصوص لاجل حرب مخصوصة ضد اعداء مخصوصين . فالامة التي تريد أن تحافظ على هذه القوة المعنوية لن تفلح في المحافظة عليها الا بأحد أمرين : فاما أن تعيش في حالة حرب دائمة لا تكف عن التأهب والاستعداد ، واما أن تقضي سنوات في التحضير والاثارة والتحريض كلما فكرت في حرب أناس مخصوصين .

ففي حرب بين المانيا وايطاليا مثلا لا ينفع التغير من الديمقراطية ولا من الشيوعية ،ولا ينفع القول فيمظالم فرساي ومعاهدات الصلح وحرمان المانيا من حقها في خيرات الارض وحكم العالم ! ولا بد هنا من استعداد حربي دائم أو من قوة معنوية مخصوصة تخلق لاجل الحرب الالمانية الايطالية . وقد يرجعون في هذه الحالة الى الضغائن القديمة بين الرومان وقبائل الجرمان ، او الى غدر الايطاليين بحلفائهم الالمان في الحرب الماضية ، أو الى تارات موهومة تشبه هذه التارات .

وقل مثل ذلك في حرب بين المانيا واليابان ، أو في حرب بين المانيا والصقالبة الذين لا يدينون بالشيوعية ، أو في كل نضال يحتاج الى قوة معنوية مخصوصة « مفصلة » على قدها بحيث لا تأتي على القياس في غيرها .

ان القوة المعنوية التي أنشأها النازيون تحصين للعزائم ضد مخاوف الحروب .

وكل قوة معنوية فالفرض منها مثل هذا التحصين .

الا اننا نبين الفرق بين طريقة النازيين وطريقة الاحرار في القوة المعنوية بمثل محسوس يقرب ما نريد .

فالمناعة التي تكسبها النفس بطريقة النازيين ، كالمناعة التي يكسبهـــا الجسم حين تحقنه بالمصل الواقي مـــن بعض الامراض .

والمناعة التي تكسبها النفس بطريقة الاحرار كالمناعـــة التي يكسبها الجسم بتصحيحه وتقويمه ، وتربيته على مقاومة جميع الامراض .

وقد شوهدت أحوال كانت فيها الحقنة الواقية أفعل مـــن البنية الصحيحة في مقاومة المرض ومكافحة الجراثيم وزيـــادة المناعة الجسدية .

أو شوهدت أحوال كانت فيها المناعة الصناعية أفعل من المناعة الطبيعية .

غير أنك بعد هذا لا تستطيع أن تقول ان الجسم الصحيح هو الجسم المحقون بجميع الامصال ، فلن تزال الصحة هـــي القدرة على المقاومة الطبيعية ، ولن تزال عقيدة الاحرار هي القوة المعنوية التـــي تعتصم بها الفطرة السليمـــة والرأي القويم .

***

عوامل النصر في الحرب

(٥)

القوة البحرية

القوة البحرية ــ أو السيطرة البحرية على التعبير الاصح ــ ضمان وثيق للنصر ، ولو لم تكن الحرب على الماء (١) .

وقد ظهر من تحقيقات البحري الاميركي العظيم الفريد ماهان ــ وهو ابو التعبئة البحرية في العصر الحديث ــ ان الدولة التي في يدها السيطرة على البحار تصبر على الحروب الطويلة ، ولا تغلب في النهاية وله في ذلك أسانيد ومراجعات تمتد الى جميع أدوار الملاحة ، ولا سيما القرن الثامن عشر وما بعده ، وهو العهد الذي يقاس عليه في هذه الايام .

ومن الواجب أولا ان نحصر الغرض من السيطرة البحرية ، وأن نحصر الغرض من اقتناء الاساطيل الكبيرة .

فالشائع في الاذهان ان الدولة تنشىء الاساطيل كما تنشىء الجيوش ، لتحارب بها اسطولا امام اسطول وجيشا امام جيش ، وغاية الفرق بينهما ان ميدان الجيش في البر ، وميدان الاسطول على الماء .

ومن المؤكد ان الاساطيل تساق للقتال على هذا النحو في بعض المواقع ، وهو ما يسمونه بحرب المبارزة بين السفن ، لوقوف السفينة من السفينة موقف المتبارزين في حلقة واحدة .

---

(١) مجلة المستمع العربي العدد ٢١ ــ ٧ فبراير (شباط) ١٩٤١ .

الا ان الدولة التي تبني اسطولها للمبارزات البحرية لا تكون على ثقة من السيطرة على البحار . فان عدد المبارزات البحرية في أيامنا هذه قليل ، سواء في الحرب الحاضرة أو الحرب الماضية أو حرب الروسيا واليابان ، ولا تزال الاساطيل مع ذلك مطلوبة فعالة ، ــ وستظل مطلوبة فعالة ولو مضت السنون بغير مبارزة أو التقاء .

فالسفن الكثيرة لا تكفي للسيطرة على البحار .

وانما تستتب السيطرة على البحار للاسطول الذي يستطيع « أولا » ان يحمي المسالك البحرية بين العالم وبلاده ، ويستطيع « ثانيا » ان يقطع مسالك المعاملات الضرورية بين العالم وبلاد أعدائه . ويستطيع « ثالثا » أن يحمي جيوش الدولة وهي تنتقل من مكان الى مكان أو تنزل الى البر في الشواطىء التي لا بد من انزال الجيوش فيها .

ضرورة القواعد البحرية

وهذه الاغراض لا تتم بالكثرة العددية وحدها .

بل لا بد مع كثرة السفن من اتخاذ القواعد البحرية في كل جانب من جوانب العالم ، لان هذه القواعد لازمة للتموين والتفحيم والاصلاح والترميم ، ولازمة أيضا لاتخاذها مراكز للحركات القريبة من البحار المختلفة ، فلا يضطر الاسطول الى السفر آلاف الاميال وهو لا يضمن الوقود والزاد والمأوى المأمون عند الحاجة اليه .

ولا بد مع القواعد البحرية منأسواق مفتوحة لتبادل التجارة .

فدولة البندقية « مثلا » كانت صاحبة أسطـول عظيم في البحر الابيض المتوسط ، ولعله كان أعظم اسطول فيه . وكان في استطاعته أن يناضل الاسطول العثماني الذي كان ينافسه في سواحل البحر الشرقية ، ولكن البندقية مع قوتهـا البحريـة العظيمة كانت تتقي غضب العثمانيين وتلتمس رضاهم وتؤثر سياسة المجاملة معهم على سياسة الشدة والجفاء جهد ما في وسعها . لان البندقية كانت مفتقـرة الى الاتجار في أسـواق الدولة العثمانية ، والى استخدام الطرق التي يسيطـر عليها العثمانيون . فلا يفيدها أن تقهر الاسطول العثماني ولا أن تأوي سفنها الى قواعد بحرية حصينة ، لان قهر الاسطـول العثماني لا يفتح امامها أسواق آسيا واوروبا وافريقيا التي كانت في قبضة آل عثمان، بل ربما أدى الى اغلاق تلك الاسواق، وضياع مزية الاسطول والقوة البحرية .

فالسيطرة البحرية تستتبب بثلاثة أمور : ضخامة الاسطول، ووفرة القواعـد البحرية في أصقاع متفرقة ، والنفـاذ الى الاسواق .

ومن البديهيات التي نكتفي بالاشارة اليها أن البراعة في ادارة الاسطول والدربة الفنية بين رجاله شرط جوهري للغلبة والانتصار ، فان الاسطول الكبير في أيد لا تحسن قيادتـه واستخدامه مقتل للدولة ووقر يثقل كاهلها ، وليس بالـدرع التي تتقي بها العدوان ، أو بالسلاح الماضي الذي تصول به على الاعداء . هل توزعت السيطرة البحرية بشيء مبتكر من مخترعات القرن العشرين ؟

كلا . وهذا هو اجماع الآراء .

نقول اجماع الآراء لان الذين يتكلمون عن الغواصات وبوارج الجيب والطيارات والالغام وما اليها ، لا ينكرون السيطرة البحرية ولا ينكرون ان الدولة التي في يدها السيطرة في يدها الغلبة والرجحان آخر المطاف .

وكل ما ينكرونه أن الاساطيل الكبرى لازمة جد اللزوم للسيطرة على البحار .

فالسيطرة على البحار شرط متفق عليه .

وانما يأتي الخلاف حين يقال ان السلاح الجوي يهدد هذه السيطرة ، أو أن السفن الصغيرة التي تحت الماء تنال من الاساطيل الكبرى في بعض الاحوال .

وهذا كالقول بأن صناعة المدافع باطلة في العصر الحاضر ، لان الرجل الذي يحمل المسدس الصغير قد يقتل المدفعي اذا جاءه من الخلف ، أو باغته على غير انتظار .

فالقولان سواء في الصحة ، وسواء في البطلان .

سلاح الجو والمعارك البحرية

واذا ثبت أن الطيارات لازمة في معارك البحر فمعنى ذلك أن الطيارات والسفن لازمتان . وليس معناه أن الطيارات تلغي السفن أو أن السفن تلغي الطيارات .

لقد طال الجدال بين رجال الفنون العسكرية قبل الحرب الحاضرة في هذا الموضوع ، ومضى على الحرب الحاضرة اكثر من سنة والموضوع قابل للخلاف ، ينتظر الحسم الاخير .

فالالمان فكروا في منازعة السيطرة البحرية فلجأوا الى سلاحهم القديم في الحرب الماضية ، وهو الغواصات .

وزادوا عليها طرازا آخر من السفن هو الطراز المعروف ببوارج الجيب ، وقالوا في وصفه ان بارجة الجيب أسرع من كل سفينة أقوى منها وأقوى من كل سفينة أسرع منها ، فاذا ظهرت لها سفينة صغيرة تغلبت عليها بقوتها ، واذا ظهرت لها سفينة كبيرة هربت منها بسرعتها ، فهي صالحة للقضاء على السفن التجارية وللخلاص من السفن الحربية كبيرها وصغيرها.

وأيا كانت حقيقة هـذا الوصف فالمحقق أن الغواصات وبوارج الجيب تستخدم في تعطيل تجارة الاعداء ولكنها لا تستخدم في حماية البحار لتجارة قومها .

فهي تجني الضرر على تجارة الانكليز ، ولكنها لا تعود بالنفع على تجارة الالمان .

غير ان التجارب قد بينت بيانا لا ريب فيه أنها لا تنجح النجاح المطلوب حتى في تعطيل تجارة الاعداء فالغواصات سلاح يصاب في الحصار أكثر مما يصيب ، وبوارج الجيب كانت فشلا من البداية كما دل مصرع البارجة « جراف سبي » في شواطىء أمريكا الجنوبية .

فلا الغواصات اذن ولا بوارج الجيب بالسلاح الذي يسيطر على البحار ، أو ينازع هـذه السيطرة منازعة تبطل مزايا الاساطيل الكبرى .

أما الطيارات فالذي تبين من أثرها حتى الساعة انها تهدد السفن الراسية وانها نجحت في اغراق بعض السفن الصغيرة كالمدمرات التي لا تتدرع بسلاح مقاوم للطيران . وتبين أيضا أنها تهدد السفن التجارية في المياه السواحلية اذا انفردت عن حرامة القوافل وحماية المعاقل البرية .

أما الاساطيل في أثناء حركاتهـــا ومناوراتها ، فاصابات الطيارات لها طفيفة لان الطيارة لا تهبط الى علو قريب ، واذا هبطت فقد تصاب قبل أن تصيب ، واذا ارتفعت في الجــو فالسفينة المتحركة هدف صغير كما يبدو من الجو ، والتسديد اليه عسير لاستمراره في الحركة .

ومن السهل أن يلقي الطيار قذائفه من علو شاهق عــلى المدن التي تقع فيها القذيفة وان اختل التسديد مئات الامتار . أما السفينة فاختلال بضعة أمتار مع الحركة الدائمة ينجيها من الاصابة ، ويقذف بالقذيفة الى الماء .

وخلاصة ما تقدم أن السيطــرة البحرية لم تنازع حتى الان .

وان الغواصات والطيارات قد تهددها ، ولكن القضاء عليها لا يكون الا بالقضاء على عناصرها الثلاثة وهي ضخامة الاسطول والقواعد البحرية ومنافذ الاسواق .

* * *

عوامل النصر في الحرب

(٦)

الموارد الاقتصادية

رويت عن الماريشال بيتان اقوال عجيبة في تعليل الهزيمة الفرنسية ، اعجبها في رأينا استخفافه بقيمة الذهب في كسب الحروب ، واعتقاده ان الحلفاء بالغوا في التعويل على الحصار البحري وتأثيره في الموارد الاقتصادية .

وموضوع العجب في الامر ان يعتقد القائد الكبير ان الالمان لم يعولوا على الذهب أو الموارد الاقتصادية كتعويل الحلفاء . مع ان الحقيقة الواضحة ان النازيين قد بذلوا في سبيل الحرب اضعاف ما بذل الحلفاء ، فمنذ سبع سنوات على الاقل وهم ينفقون على التسليح خلاصة ما عندهم من ثروة ، ومنعوا نشر الميزانية السنوية وتعريف الشعب بالمصروفات لئلا تهوله فداحة النفقات التي ينفقونها على السلاح .

واذا كان النازيون قد قاوموا الحصار البحري فليس ذلك لانهم اهملوا الموارد الاقتصادية بل لانهم اهتموا بها جهد اهتمامهم واستعدوا للحصار غاية ما في وسعهم من استعداد .

فالذهب أو ما يساوي الذهب من الأرزاق ، سلاح لا ينساه أحد في الحروب الا حق عليه الضياع .

---

(١) مجلة المستمع العربي العدد ٢٢ ـ سنة ١٩٤١ .

وربما جاز في العصور الغابرة ان يخرج الجيش بغير مال ، لانه ينهب ويسلب في طريقه ويجد طعامه حيث سار .

اما اليوم وللحرب ادوات تصنع من موارد العالم كله ، ولا يمكن أن تصنع من موارد قطر واحد أو أمة واحدة ، فالذهب أو المال هو سبيل الوصول الى جميع تلك الادوات . والحصار البحري هو القوة التي تضمن وصولها الى جهة من الجهات ، وتمنع وصولها الى الجهة الاخرى .

وما هو الحصار البحري ؟

الحصار البحري

هو في حقيقته ولبابه الوسيلة التي ترجح خصما على خصم في الموارد الاقتصادية .

وما برح الفريقان في الحرب الحاضرة ، يشهران هذا السلاح ، ليصيب كل منهما مقتلا من خصمه في موارده وأرزاقه .

فليس الحلفاء وحدهم هم أصحاب التعويل على سلاح الحصار .

بل النازيون إيضا يعولون عليه بما في ايديهم من الوسائل. وهي الغواصات وزوارق الطوربيد والالغام والطيارات التي تتعقب السفن التجارية ، وبوارج الجيب التي بنيت للاغارة في البحار الواسعة ، وتشديد الحصار من بعيد .

والناجح ـ بهذه الوسائل أو بغيرها ـ في تضييق موارد خصمه وتعقيد مشاكله الاقتصادية هو صاحب الكفة الراجحة بغير مراء .

واليوم قد اصبح النازيون مسيطرين على أوروبا الغربية والشمالية ، فاذا أردنا ان نعرف معنى ذلك في ميزان الاقتصاد، فيجب أن نسأل سؤالين :

« أولهما » هل زادت قدرة المانيا على الشراء ؟

و « ثانيهما » هل اتسعت موارد أوربا أو ضاقت بعد هذه الفتوح الكثيرة ؟

اما قدرة المانيا على الشراء فالجواب عليه كلا . لان جميع البلدان التي دخلت في سيطرتها كانت أسواقا مفتوحة لها قبل ان تسيطر عليها ما عدا فرنسا التي تعاني من الضنك ما يثقل كاهلها . فقدرة المانيا على الشراء لم تزد بهذه الفتوح ، وانما زادت قدرتها على السلب والنهب واكراه الامم على معاملتها بشروطها . وإذا كان النهب والاكراه يسعدان المانيا الى حين ، فهما بلا شك لا يسعدان الامم المنهوبة المقهورة ، بل يخلقان فيها مشاكل وأزمات لا بد لها من علاج ، ولا يطمئن الحاكمون الى عقباها .

أما موارد أوربا فقد ضاقت ولم تتسع بعد هذه الفتوح . لان الصادرات والواردات التي كانت رائحة غادية بين أوربا الغربية واقطار العالم ستقل بعد اليوم ولا تزيد ، تبعا لتضييق الحصار عليها بعد ان كانت لهذا الحصار منافس وفجوات .

هل خسرت بريطانيا اقتصاديا ؟

واذا نظرنا الى المسألة من طرفها الاخر ــ اي من الطرف البريطاني ــ فبريطانيا قد خسرت الاسواق الاوربية التي كانت ترسل اليها بضائعها ، وقد خسرت الموارد التي كانت تأتيها من تلك الاسواق .

ولكنها قد ربحت أسواقا كانت لهـا معاملات مـع المانيـا وايطاليا وأوربا الغربية فانقطعت هذه المعاملات وحلت أو ستحل في مكانها معاملات بريطانية .

وقد ربحت خـيرات المستعمرات الهولنديـة والبلجيكيـة وبعض المستعمرات الفرنسية .

وانفتحت لها أبواب الموارد من امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية ، ويوشك ان تنفتح من بعض الاقطار الاسيوية .

فذا أتيح لها تنظيم العلاقات الجديدة في موضع العلاقـات الأولى فخسارتها لم تذهب بغير عوض ، وقد يربى جانب الربـح فيها على جانب الخسارة .

ولا ينبغي ان ننسى ان امتنـاع الصادرات الى انكلتـرا من اوربا الغربية يضر بمصالح اوربا الغربيـة ولا يقتصر ضرره على المشترين منها . فهو مشكلة من مشاكل المسيطرين على تلك البلاد ، ومبعث للقلق والعناء .

وما دامت الحرب قائمة فمن الصعب تنظيم أوربا عـلى اساس يقابل هذه الطوارىء الجديدة .

« أولا » لأن هذا التنظيم عقدة متشعبة لا يسهل حلهـا أوقات السلم فضلا عن أوقات الحرب والمفاجآت .

و « ثانيا » لان النازيـين يخافون المقاومة من انصارهـم ومنافسيهم كما ينتظرون المقاومة من شعوب كثيرة لا يعجبها النظـام المنظور ، وأحرى بهم ألا ينفخوا في هذه النـار قبل أن يطمئنوا الى هدوء واستقرار .

القوة المعنوية والموارد الاقتصادية

تكلمنا في حديث سابق من هذه الاحاديث عن القوة المعنوية.

ونريد ان نقول هنا ان القوة المعنوية شديدة الاتصال بالموارد الاقتصادية . فليست كل القوة المعنوية نفحة من نفحات الروح ، وزادا من غذاء الافكار .

فاذا تعقدت المشاكل الاقتصادية فهي بلا شك ثقيلة الوطأة على كواهل الساسة والرعية ، فتجور على نشاطهم وتستنفد منهم جهدا يضعف في قلوبهم حمية القتال ، واذا صح قول حكيمنا :

الهم يخترق الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

.. فالهم من جهة المعاش يصيب الامم بمثل ما يصيب الافراد

وقد ظهرت في الايام الاخيرة أمور كانت مجهولة عند الحكام والقواد في الحرب الماضية ، فلا يكفي تدبيرالطعام حيث كان للجنود ، بل يجب تدبير الطعام الجامع لعناصر التغذية حسب الحقائق التي اسفرت عنها دراسة الفيتامينات والمأكولات على اختلافها وليس من الميسور تدبير ذلك بغير السعة والوفرة في موارد الامة .

قيل ان الجيش الانجليزي الذي سلم في « كوت العمارة » في الحرب الماضية انما اصابه الفتور والعجز من جراء الحمى الخبيثة المعروفة بالبريبري Beriberi التي يتعرض لها من لا يجدون الكفاية من « الفيتامين » حرف « باء » .

وقيل ان نكبة الجيش الايطالي في كابوريتو Caporetto انما نزلت به من جراء نقص المولدات للحرارة في طعامه وغثاثة ذلك الطعام .

وهذه الملاحظات على تأييد العلم لها ليست بالتي تحتــاج الى علم كبير ، فان الجسم المهدود لا يصبر على جهاد ، ولا ينهض لعراك . ومن هنا الصلة الوثيقة بين الموارد الاقتصادية والموارد النفسية في اعمال الجيوش .

فليس الاقتصاد حسبة مالية وحسب .

ولكنه مزية نفسية يشعر بها القائد والجندي في حومــة القتال .

أهم عوامل النصر

بهذه الكلمة عن الموارد الاقتصادية ، تنتهي سلسلة هذه الاحاديث ، التي سردنا فيها اهم عوامل النصر في الحروب عامة ، وفي الحرب الحاضرة خاصة . وهي على الجملة الاسلحة الحديثة ، ونشر الدعوة ، والحرية والنظام ، والقوة المعنوية ، والسيطرة البحرية ، وموارد الاقتصاد .

ولم نلاحظ في ترتيبها درجات هذه العوامل من الاهمية أو حقوقها من الاهتمام ، ولا لاحظنا الاحصاء والاستقصاء لجميع العوامل التي ينتصر بها المقاتلون .

فلم نذكر مثلا كثرة الجنود ، لاننا اذا سردنا تلك العوامل فالافاضة في كثرة الجنود من فضول الكلام .

ولم نذكر المصادفات والعوارض التي تحول مجرى الحوادث ولها شأن كبير في انتصــار المنتصرين وانهــزام المنهزمين ، لان المصادفات والعوارض ليست بطبيعتها مما يدخــل في تقدير أو حساب .

وقد توخينا في بيان العوامل التي سردناها أن نذكرها كما تنطبق على الفريقين . الا اننا لا نرضى أبدا ان نقدم امانة العلم

على أمانة الحرية والكرامة الانسانية . فاذا سردنا تلك العوامل كما تنطبق على الفريقين فالذي نرجوه ونؤمن به ان تجنح كلها الى جانب الحرية وتنحرف كلها عن جانب الطغيان وان تكون كلها كفيلة بالنصر الذي يحفظ على الانسانية تراثها ، ويصون لها ما غنمته من جهادها ومن عقائدها وآدابها وآمالها ، ويربأ بها ان ترتد والعياذ بالله الى شريعة الكهف والغاب ، وان تضع السلاح الحديث في مكان الاظفار والانياب ، فلا فرق بين الوحش والانسان اذا كان كل الفرق بينهما في سلاح الاغتيال والعدوان. ولا معنى للحياة الانسانية ان لم تكن حياة تعلو على خليقة الوحش كلما تقدمت بها الازمان .



الطغاة وخصومهم السياسيون

نقلت الينا الانباء البرقية (١) ان الهيئات السياسية في روما أخذت تلاحظ في العهد الاخير كثرة اختفاء الاشخاص البارزين الذين عرفوا بكراهة النظام الفاشي وانتقاد الدوتشي ورجاله في المجالس الخاصة ، فان الهيئات السياسية تعودت ان تدعو هؤلاء الاشخاص البارزين الى حفلاتها العامة ، ولكنها لاحظت منذ تعاقبت الهزائم على الجيوش الايطالية أن دعواتها اليهم لا تجاب ولا يتبعها اعتذار ، وتكررت هذه الملاحظة حتى تبين أن أولئك الاشخاص يحتجبون واحدا بعد واحد ، ولا يعلم أحد أين يذهبون .

وهذا الاختفاء من أسهل الاشياء في البلاد الدكتاتورية ، سواء كان اختفاء بالقتل او النفي أو الاعتقال ، لان الدكتاتور لا يتقيد بالقانون . ولو أراد أن يقيده القانون حين يقتل خصومه أو ينفيهم أو يسجنهم لما احتاج الى الاستبداد والطغيان، ولكان حاكما مقيدا لا يدين بالحكم المطلق ولا بقداسة الزعماء .

فمن ألزم الاشياء للحكم المستبد أن يضطهد الحاكم بعض الناس بغير ادانة وبغير تحقيق وبغير حساب ، وهذا الذي حدث في ايطاليا من اختفاء بعض الاشخاص البارزين قد حدث مثله في

---

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣٠٩ ـ ١٥ فبراير (شباط) ١٩٤١ .

المانيا وفي الروسيا وفي البلاد التي تحذو حذو المستبدين في الامم الثلاث على نحو من الانحاء .

الا أن الاساليب تختلف بين أمةوأمة باختلاف المزاج الشعبي والاحوال السياسية فلا يرتضي الايطاليون مثلا قبلة يرتضيها الالمانيون ، ولا يجري الشيوعيون على اسلوب هؤلاء وهؤلاء في البطش بالخصوم السياسيين .

وهذا الذي نعرض له بالحديث الى حضراتكم في هذا المقام ، لبيان الاختلاف بين طرق الاستبداد على حساب الاختلاف بين طبائع الامم وانماط الحكومات .

ففي ايطاليا الاوفرا Ovra التي تقابل « الجستابو » Gestapo في المانيا النازية ، و « الاوجبو » Ogpu في روسيا الشيوعية ، وكل هذه الهيئات موكلة بالتجسس على الخصوم السياسيين وتدبير الوسائل للخلاص من أولئك الخصوم ، دون التقيد بقانون أو نظام من النظم العلنية المتبعة في المحاكمة والتحقيق .

فالجاسوسية الشيوعية تفضل طريقة المحاكمات الملفقة التي يتم تحضيرها في الخفاء ثم لا يبقى منها للمحاكمة العلنية الا مشهد من مشاهد التمثيل والتلقين .

وتكفي مراجعة المحاضر الرسمية التي تذيعها الحكومة الشيوعية ليؤمن القارىء ايمانا لا شك فيه بأنه يقرأ رواية محضرة ملقنة لا يملك المتهمون ان يبدلوا فيها أقل تبديل .

فان المتهم من هؤلاء يقف أمام المحكمة ليدين نفسه ويشهر بأخلاقه ونياته ويسبق النيابة العامة في توجيه الشبهات واعتساف الادلة والبيانات ، فلا تتجاوز النيابة العامة بعد ذلك

أن تردد ما يقول ، ولا تستطيع في كثير من الاحيان أن تزيد شيئا عليه ، ولو في باب التشنيع والازدراء .

وهذا عجيب لا يفعله المتهم الا وهو مكره عليه ، وان فعله متهم واحد فلا يفعله جميع المتهمين ، وان فعلوه في قضية واحدة فتكراره في جميع القضايا وجميع التهم من وراء المعقول .

والوسائل التي يتمكن بها الشيوعيون من اكراه المتهم على هذه الاعترافات متعددة ميسورة لهم بغير كبير عناء .

فمنها تعذيب ابناء المتهم أو أعزائه أمام عينيه ، فان قبل الاعتراف المطلوب رفعوا عنهم العذاب وطمع هو في تخفيف العقاب ، وان أبى أو أخلف وعده قضوا عليهم وعليه ، وهو يعلم ان الحكومة الشيوعية قادرة على قتلهم وقتله بغير محاكمة أو بعد المحاكمة والبراءة ، اذا بلغ من غفلته أن يطمع في البراءة من محكمة شيوعية ، وهو مقصود بالاضطهاد والانتقام .

ومن وسائل الاكراه على الاعتراف أن يعالجوا المتهم بالعقاقير المضعفة ، والمخدرات المنهكة للعقول والاجسام .

ومنها أن يسلطوا عليه حرارة صناعية تزهقه وتهون عليه النجاة منها ولو بالموت وسوء السمعة .

ومنها تلفيق الوثائق والشهادات التي لا يقوى على تفنيدها وهو محبوس مغضوب عليه ، مهدد هو ومن يدافع عنه أو يتطوع لخدمته بالبلاء الشديد .

وقلنا ان الجاسوسية الشيوعية تفضل طريقة المحاكمات لانها توافق الدعوى التي يدعونها ويظهرون بها في مظهر الانسانيين الغيورين على الارواح والحقوق الذين انقذوا الروسيا من شرور المظالم القيصرية ودخلوا ببني الانسان في عهد جديد من الصلاح والامان .

الا أنهم يفضلونها ولا يقتصرون عليها اذا وجب اللجوء الى وسيلة أخرى من وسائل الغدر والغيلة ، فمن ذلك أنهم اشفقوا على أحد كتابهم ودعاتهم من نفوذ ابنه الذي لا يخلص لهم في طويته ، فدسوا على الفتى من أسكره حتى غاب عن وعيه ، ثم عرضه في برد الروسيا القارس لتيارات الهواء القاتل ، ثم توانى العلاج حتى تأصل الداء وتعذر الشفاء .

وليس بالنادر في روسيا الشيوعية اختفاء الخصوم السياسيين بين ليلة ونهار ، دون أن يسمع بهم سامع أو يهتدي لهم الى قرار ، وان كان نادرا جدا أن يقتل الناس علانية في البيوت والطرقات ، كما يقع أحيانا في ألمانيا النازية: لأن الروسي لا يستريح الى العنف كما يستريح اليه البروسيون خاصة ثم وجمهرة من الفصائل الجرمانية .

تلك طريقة الجاسوسية الشيوعية .

أما الجاسوسية النازية فهي لا تبالي أن تقتل من تبغيه بالقتل ، في غير حاجة الى تلفيق محاكمات أو نشر وثائق أو حذر من الجماهير .

وقد قتل هتلر وأنصاره ألوفا من الخصوم السياسيين والشخصيين في يوم واحد هو اليوم المشهور عندهم بحمام الدماء، وكان في وسعهم أن ينشروا أوراقا ويستندوا الى شهادات لا يراجعهم فيها مراجع وهم قابضون على أزمة التحقيق وذرائع التهديد والاغراء ولكنهم لم يشعروا بضرورة ذلك لان الشعب البروسي خاصة والشعوب الالمانية عامة لا تنفر من هذه الاعمال نفور شعوب اخرى من الاوربيين وغير الاوربيين . وقد نعلل ذلك بسببين : احدهما الغلظة وثانيهما الانطباع على طاعة الحاكم فهم لا يستغربون منه الشطط كأنما هو حقه الذي لا منازع فيه.

ولهذا يعمد « الجستابو » الى القتل والاعتقال في معسكرات التعذيب ، ويفضل هذه الطريقة على طريقة المحاكمات والاحتيال على الستر والاخفاء .

أما « الاوفرا » في ايطاليا فهي لا تستكثر من المحاكمات ولا من القتل العلني لغير الضرورة القصوى .

فهي تغري اتباعها بضرب الخصوم وتجريعهم زيت الخروع وهم مقيدون في الطرقات ، وتتعقب أولئك الخصوم بالمنغصات والمضايقات حتى يقلعوا عن خصومتهم أو يفروا من البلاد ان استطاعوا الفرار .

أما اذا تعمدت الجاسوسية الايطالية أن تقتل خصومها فسبيلها الى ذلك أن تغدر بهم غدرا لا يثبت بالبرهان .

ومن أمثلة ذلك ما صنعوه بالنائب أمندولا Amendola الذي ضرب مرارا حتى مات بانعقاد الدم في الرئتين من أثر الضرب ، وهم يزعمون انهم لم يقتلوه .

ومن أمثلة الغيلة القبيحة انهم تعقبوا فتاة كانت على صلة بالاسر الكبيرة وأعداء الفاشية ، فلم يقبضوا عليها لئلا يغضبوا الاسر الكبيرة التي تتصل بها ، ولم يفتحوا بابا لاتهامها أمام القضاء لانهم يحذرون أن يفتحوا هذه الابواب ، وكانت مولعة بركوب السيارات فأرسلوا وراءها من يتكفل بفك بعض العدد الدقيقة في السيارة السريعة التي تركبها ، وشيعت الى قبرها وعلى نعشها أكاليل الزهر من كبار الفاشيين !

وحدث في ميلان ان كشفوا مؤامرة في مساكن العمال ومطبعة تدار باليد لطبع المنشورات التي لا تعجب الفاشيين ، فشاءت المصادفات الفاشية أن تحترق تلك المساكن وان تبطىء مضخات

الحريق في الطريق ، فلا تصل الى وجهتها الا بعد هلاك السكان .

ويحدث أن يعتقل رجل من المكروهين في الدوائر الفاشية ثم يقال انه أرسل الى جزيرة من جزر الاعتقال .. وفي جزر الاعتقال لا يندر الموت الذي تجهل أسبابه ، أو يذكر له الموظفون الفاشيون ما يشاءون من الاسباب .

وخوف الفاشيين من الفتك والقتل على الطريقة النازية يرجع الى موجبين قويين :

« أولهما » ان الشعب الايطالي ليس بالشعب العنيف ولا بالشعب الفاتك الضاري على أعدائه . فاذا روعته حوادث الفتك وفزع من التهديد تحرك من الفزع الى الجيشان والجموح .

وقد جرب موسوليني عاقبة الاعتداء على النائب ماتيوني في أوائل حكمه ، فقد أوشك نظامه كله أن ينهار ، ولبث أياما يتوقع الثورة ساعة بعد ساعة . وبلغ من سخط الامة أن اضطرته الى عزل صاحبه (دي بونو) الذي كان مديرا للشرطة ولم يمنع أحد المتهمين بقتل ماتيوني من الفرار .

فالدوتشي ــ المشهور بالحذر والحيطة ــ لا يحب أن يتورط كثيرا في أمثال هذه المجازفات ، ويغنيه عن التورط فيها ان رجال « الافرا » يحسنون احراق البيوت وتعطيل مضخات المطافىء واتلاف عدد السيارات ، وأشباه هذه المقاتل التي لا تضبط ولا يسهل فيها الاثبات .

والموجب الثاني لحذر الدوتشي من الفتك المكشوف انه ليس كالفوهرر حاكما مطلق السلطان في بلاده ، ففي روما عرش لا يجاري زعيم الفاشية في اهدار الدماء والغاء القانون ، وحول هذا العرش قواد ونبلاء وسراة لا يأمنون على أنفسهم ولا على بلادهم أن تنطلق أيدي الدوتشي في ازهاق الارواح بغير حساب.

لهذا وأشباهه لا يستمتع الدوتشي بتلك السيطرة الهنيئة المريئة التي يشتهيها ، ولعله لا يجسر الآن على أكثر من اخفاء خصومه في المعتقلات ، أو حجبهم عن الانظار الى حين . على أن أمرا من الامور قد روي في الايام الاخيرة ، وله في دلالته على أفول نجم الدوتشي خطر لا يقل عن دلالة الهزائم المتوالية في جميع الميادين. فقد جاء في أنباء البريد الانجليزي أن أخا للنائب ماتيوني الذي سبق ذكره قد أفلت من معسكر الاعتقال في جزائر ليباري Lipari حيث لا يستطاع الافلات بغير تواطؤ بين السجين ومديري المعسكرات .

فاذا صح هذا النبأ فقد افلت من موسوليني حتى زمام المعسكرات ، وقد خذله حتى سجانوه وزبانيته بعد أن خذله الجند والقواد .

وتلك نتيجة لا مناص منها ، لأن أمم العالم القديم والحديث لم تقض الدهور الطوال في حماية النفس الانسانية والفكر الانساني ليقضي عليهما موسوليني وزبانيته وسجانوه ، بل القضاء عليه هو أقرب الى المعقول وأولى بتاريخ الآدميين .

* * *

في البلقان

كثرت الحركات النازية في بلاد البلقان (١) ،ولم يدر أحد بعد ما ينويه هتلر للامم البلقانية التي لا تزال بمعزل عن ميادين القتال ، وهي بلغاريا ويوغسلافيا وتركيا . فكثير مما يقال عن نياته لا يحتمل النقد والاستقصاء ، ولا يلبث المرء أن يتتبعه بضع خطوات حتى ينتهي الى سد غير نافذ وفرض غير قابل للتصديق .

الا أن هذه الظنون جميعها تلتقي في حقيقة واحدة لا اختلاف فيها مهما تختلف الاقاويل ، وهي ان النازيين قد انقلبوا من الاختيار الى الاضطرار ، ومن الهجوم الى الدفاع ومن التهديد بالاخطار الى اتقاء الاخطار التي تهددهم من حيث يتوقعونها ، وهذا الانقلاب وحده دليل على شيء كثير ، وخطوة محققة في طريق التراجع والتقهقر وليس بالخطوة المحققة في طريق التقدم والانتصار .

لماذا يحتل النازيون بلغاريا ؟ ولماذا يزحفون على تركيا ان أرادوا الزحف عليها ، ولماذا يعبرون يوغسلافيا ان لاح لهم أن يعبروها ؟

---

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣١٢ ـ ٨ مارس (آذار) ١٩٤١ .

كل ما يقال في تعليل فرض من هذه الفروض أن النازيين يمنعون غيرهم ان يعمل ، أو يعملون شيئا هم مسوقون اليه ، وفحوى هذا وذاك معا ان الزمام قد افلت من أيديهم ، وانهم يركبون مطية جموحا تعدو بهم هنا وهناك حيث يشاءون وحيث لا يشاءون .

فمن الجائز انهم يحذرون اتفاق البلقانيين عليهم بعد هزيمة ايطاليا في اليونان ونجاح المقاومة اليونانية ذلك النجاح الذي لن يذهب بغير أثر في ممالك البلقان .

ومتى اتفق البلقانيون ومن ورائهم القوات البريطانية فالخطر على النازيين جدير منهم بالخشية والاتقاء ، مضافا اليه خطر الثورة والانتقاض في البلاد التي يحتلونها الآن ، ولا تزال في شوق الى الخلاص واغتنام الفرصة التي يتيحها لها مثل ذلك الهجوم .

فحركة النازيين في بلغاريا هي من قبيل تخويف الخائف وصياح المهدد قبل أن يصل اليه التهديد .

والا فالنازيون مستولون الان على التجارة البلغارية التي يطلبونها ، وليس من المعقول أنهم ينوون الهجوم على بلغاريا ليستعينوا بقواتها العسكرية وهم لا يشكون قلة الجنود والسلاح ، وربما أحوجهم الهجوم عليها واحتلالها الى تخصيص جزء كبير من جنودهم وأسلحتهم لاخضاعها والمحافظة على مواقعها .

فليست الحاجة الى المدد التجاري أو المدد العسكري هي التي تلجىء النازيين الى الاغارة على البلاد البلغارية .

فان قيل انهم يتجاوزون بلغاريا الى تركيا فماذا يغنمون من هذه الحركة التي لا تؤمن عقباها ؟ ان عبور المضائق التركية

ليس بأسهل من عبور المضائق الانجليزية عند فرنسا وبلجيكا ، بل ربما كانت وسائل النازيين هناك أعظم وأوفى الى الرجاء ، لان الموانىء الغربية في أيديهم من أقصى النرويج الى الحدود الاسبانية في الجنوب ، وليس لهم على المضائق التركية مثل هذه الموانىء وما فيها من الاسلحة والمعاقل والرجال .

وهبهم مهدوا طريقهم في الارض التركية عنوة أو طوعا كما يحبون ، فالى أين يذهبون من هذه الطريق ؟ ينحدرون الى العراق فايران فالافغان فالهند ليضربوا الدولة البريطانية هناك ؟ انه لحلم من أحلام الجنون لا يجول في وهم عاقل ، لان امتداد خطوط القتال كل هذا الامتداد يضعف الهاجمين قبل أن يصيب المدافعين بضرر من الاضرار .

أم تراهم ينحدرون من تركيا الى سوريا الى فلسطين الى صحراء سيناء الى قناة السويس ؟ انه لحلم آخر من أحلام الجنون .. لانه يخيل الى أصحابه انهم يقدرون على كل شيء وان خصومهم لا يقدرون على شيء من الاشياء .. ومن توهم انه قادر على ان يجرجر جيوشه من المانيا الى البلقان الى الاناضول الى سورية الى صحراء سيناء ليقتحم مآزق الهجوم بعد الهجوم ثم توهم أن خصومه لا بد أن يعجزوا عن صده وهم مستريحون متأهبون في أماكنهم فذلك هو المجنون الذي ينسى حقائق الامور ، أو يتخيلها على هواه هو ويأبى أن يتخيل ما يسوؤه ولا يوافق هواه .

ولا مناص من السؤال هنا عن روسيا وما تقبله وما تأباه من هذه الحركة التي لا يضبطون عنانها متى تركوه مرة واحدة في أيدي النازيين . أفتسمح الروسيا للنازيين بأن يستولوا على

الاستانة وعلى الابواب الاسيوية وهي التي أقامت السدود بينها وبينهم في بولونيا وفي الشواطىء البلطية ؟ ولماذا تسمح بذلك وتأمن النازيين هذا الامان ؟

ربما قيل ـ كما قيل فعلا ـ ان النازيين يرشون روسيا بالتخلي لها عن الاستانة التي تتطلع اليها منذ عهد القياصرة .

فاذا قيل هذا فما الذي استفاده النازيون؟ وماذا بقي لتركيا من الاختيار غير المقاومة وهي أهون الاخطار ؟ ولماذا تجازف روسيا هذه المجازفة وهي كما ظهر الى الان حريصة على اجتناب القتال ، مستمسكة بسياسة الانتظار .

قيل أيضا ان النازيين يبغون الوصول الى ميدان ألبانيا واليونان لمساعدة ايطاليا في ذلك الميدان .

فاذا قيل هذا فالذي نعتقده انهم يقضون على موسوليني القضاء الاخير اذا اختاروا أن يساعدوه على هذا المنوال ، لانهم يمثلونه في صورة الرجل الفاشل الذي يخيب حيث يستطاع الانتصار ، ولانهم يخنقون ايطاليا خنقا بسيطرتهم على بحر البنادقة ووصولهم الى البحر الابيض في مواجهة الشواطىء الايطالية ، فيصبح الرجل الذي كان يسمى البحر الابيض « بحرنا » وهو لا يملك البحار المطلة على بلاده ويصبح الفاتح الطامع في احياء الدولة الرومانية القديمة وعواصمه نفسها في حكم المستعمرة الخاضعة للنازيين . ومثل هذه الضربة لا تأتي من حليف لحليف ولا يقدم عليها هتلر الا وقد استغنى عن المحور وأغضى عن مصير استاذه القديم وتابعه الحديث ، وقد يفعل ذلك مضطرا مسوقا اذا دفعته اليه الحوادث القاهرة كما تدفعه الان الى مناوشة البلغار ، ولكنه يخسر أضعاف ما يربح يوم

يقدم على مجاهرة ايطاليا بالعداء . فانه يسلم زمام ايطاليا لاعداء الفاشيين وأعداء النازيين على السواء ، ويفتح أمام الانجليز وحلفائهم ميدانا أهم جدا من الميدان الذي فتحه بالوصول الى اليونان ، وما هو الا زقاق مسدود لا ينتفع به من يصل الى البحر وليس له فيه اسطول للحرب ولا للتجارة .

تلك أمثلة من الاسباب الكثيرة التي يعللون بها حركات النازيين في البلقان ، وما من سبب منها الا وهو دليل على انفلات الزمام من أيدي النازيين ، وانهم لا يفعلون ما يشاءون ولا يوجهون خطط السياسة والقتال مختارين .

***

على اننا قد سمعنا سببا للحركات النازية في البلقان لعله أرجح هذه الاسباب جميعا وأقربها الى المعقول .

وذلك ان هتلر قد يزحف على « سالونيك » ليمنع الانجليز أن يحتلوها ويتخذوها قاعدة لغزو ألمانيا وتأليب الامم في أوربا الشرقية عليها .

وهذه مخاوف يصح ان تخطر على بال هتلر في الظروف الحاضرة ، لان وزيرا من وزراء الانجليز المسؤولين قد أشار اليها في صراحة عجيبة منذ أكثر من شهرين . فقال مستر أمري Mr. Amery وزير الهند يومئذ ما ترجمته « اننا اذا اتحنا لليونان الثبات الى أن نضرب الايطاليين في مصر ضمنا لجيوشنا قاعدة نهدد منها جناح الالمان في كل غارة يشرعون فيها على البلاد التركية ، وقد يتيسر لنا من تلك القاعدة أن نضرب بجيوشنا وجيوش حلفائنا الذين تضمهم الينا قوتنا المتزايدة ضربة تصيب

التنين الألماني في مقتله ، لأنها ستصيبه في بطنه الناعم لا في الحراشف السميكة التي يحمي بها ظهره الغليظ عند خط سيجفريد » .

وقد تمت المقدمات التي يحق لهتلر ان يخشاها من هذه الناحية ، فثبت اليونانيون ثباتا جاوز كل تقدير ، وسرى العناد الى يوغسلافيا وأوشك أن يسري الى رومانيا ، وتعززت سياسة الترك التي بنيت على الحذر من النازيين والاطمئنان الى الانجليز ، ولم يبق الا الاستخفاف الصريح ، فالمقاومة ، فالترحيب بالغزوة التي تتولاها دولة قوية كالدولة الانجليزية وتجمع لها المتربصين المتحفزين من شعوب البلقان وشعوب أوربا الشرقية .

والارجح ان هتلر يتوسط في الامر فلا يزحف الى سالونيك ولا ينفض يديه من بلغاريا ويوغسلافيا . بل يظل في موقف يمكنه من التهديد ويمنع الممالك البلقانية ان تتألب عليه ، ويساعده على مبادرة كل تألب بالقمع السريع ، فلا يؤخذ به مفاجأة على غير استعداد .

وانما نرجح اكتفاء هتلر بالتوسط بين الزحف والتراجع لان هذا التوسط كاف فعلا للحيطة الضرورية في الموقف الحاضر ، بل هو أسلم من التوغل ولو تأتى الوصول الى سالونيك لان التوغل يثير عليه المشاكل والمساومات ويشتت جيوشه ويقربه من غارات أعدائه الهوائية والبحرية ولا يفيده وراء ذلك بفائدة تساوي هذه المغامرات .

ومن المحقق انه هو يصاب بالضربة الحاسمة اذا سبقه الانجليز الى تأليب البلقان وأوربا الشرقية وفتحوا لهم ـ كما

يقول مستر أمري – مطعنا في بطن التنين الناعم . أمـا الانجليز فلن يصابوا بضربة حاسمة اذا سبقهم هتلر الى البلقان وأوربا الشرقية ، اذ ليست هذه البقاع مقتـلا لهم كمـا هـي مقتـل للنازيين .

نرجح كما أسلفنا أن هتلر يتوسط في البلقان فلا يزحف الى البحر ولا يتراجع عن مواقع التأهب فيه . ولكن هتلر قـد يقبض على الدفة ولا يقبض على الشلال . وما الحرب التي يفلت زمامها من اليد الا الشلال الجارف الذي يهون عنده كل شلال .



الحصار من طريق البحر والهواء

المقال الاول

اذا نقط الكاتب نقطة بالمداد الاسود على جدار واسع (١) بعيد الاطراف ، لم يكد يتبينها الناظر بعد ذلك الا بجهد جهيد ولو كان هو الذي رسمها وقدر موقعها من الجدار .

ومع هذا ننظر الى النسبة والقياس فنعلم ان هذه النقطة الصغيرة أكبر ألف مرة من السفينة الحربية أو التجارية التي تمخر المحيط الاطلسي الواسع الآماد ، أو المحيط الذي تقع على شواطئه أربع قارات عظام ، وتغيب منه الشمس في بحر كان الاقدمون يسمونه بحر الظلمات ، لانهم حسبوا أن الشمس التي تكشف كل منظور تتمكن فيه من الاختفاء .

بحر الظلمات هذا لم تتمكن السفينة الالمانية « بسمارك » من الاختفاء فيه عن أعين الاسطول البريطاني على الماء أو فوق متن الهواء ، وهذه هي سيادة البحار ، أو هذه هي القوة التي لن تكتب الهزيمة في حرب من الحروب على من بقيت في يديه .

وقد حدثت في الحرب العالمية الماضية نظائر شتى لهذه المطاردة في جميع المحيطات ولا سيما المحيط الاطلسي في جنوبه وشماله . ولكن مطاردة البارجة بسمارك أدل على سيادة البحار

---

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣٢٧ ـ ٢١ يونيه (حزيران) ١٩٤١ .

من جميع هذه المطاردات . لان المانيا النازية تسيطر اليوم على موانىء كثيرة لم تكن تسيطر عليها في الحرب الماضية ، تسيطر على الموانىء من النرويج الى شواطىء الجانب الغربي من القارة الافريقية ، فضلا عن مواقع أخرى في جزائر الهند الغربية ،فاذا تعذر على البارجة المسلحة أن تنجو الى أحد هذه الموانىء وهي هاربة من جرينلاند فليس هناك ما هو أدل من ذلك على سيادة البحار .

يضاف الى ما تقدم ان البارجة « بسمارك » أحدث بوارج العالم وأدقها صنعا من الوجهة الفنية ، وقد لوحظ في بناء دروعها الا يتسرب اليها الماء بعد ضربة واحدة أو عدة ضربات من التي تقضي على غيرها ، واستدركت فيه أخطاء كثيرة من التي كانت تعطل البوارج الكبرى في التسليح أو السرعة أو هندسة التركيب. فاذا عجزت بسمارك كما عجزت « جراف سبي » من قبلها فليس هذا قضاء على سفينتين من طرازين مختلفين وكفى ولكنه قضاء على نظريتين هامتين من النظريات التي وضعها الخبراء الالمان للتغلب على سيادة البحار . فقد ظن بعضهم انهم يتغلبون على هذه السيادة بالسفينة القوية الصغيرة التي تتغلب على السفن الصغرى بالقوة وتتغلب على السفن الكبرى بالسرعة، وظن آخرون أن البوارج الكبيرة أنفع من بوارج الجيب في هذا المضمار، فظهر اليوم أن التغلب على اسطول كبير لا يكون الا باسطول كبير، ولا غنى له مع ذلك عن مراكز مثل مراكزه في ارجاء العالم ، وعن خبرة فنية كخبرة رجاله ، وعن علاقات بينه وبين الامم كالعلاقات التي تمهد له أعماله وحركاته .

نعم ان البارجة بسمارك قد استطاعت أن تغرق البارجة « هود » التي يضرب بها المثل في الضخامة والقوة ، ولكن العبرة في

سيادة البحار بالنجاة لا بالاعتداء : مثل ذلك مثل الشرير المعتدي الذي يخرج الى عرض الطريق فيصيب من يشاء من العظماء ، والذي يحاول النجاة فيقتل في محاولته رجلا أو أكثر من رجال الحراسة والنظام ، ثم يقع في قبضة القانون فلا يقال ان السيادة له لانه اعتدى وقتل اناسا ممن طاردوه ، وانما يقال ان السيادة للقانون . وان كانت خسارة الحراس أكبر من خسارة اللص في عدد الارواح ووزن الاخلاق .

هذه السيادة البحرية كانت ضمان النصر الاكبر في الحرب العالمية الماضية .

وهذه السيادة البحرية هي ضمان النصر الاكبر في الحرب العالمية الحاضرة فلن تنهزم الامم الديمقراطية ما دامت سيادة البحار في يديها .

الا أن سيادة البحار كانت تعمل في الحرب الماضية ناقصة أو محتاجة الى ما يتمم عملها ويساعدها على استنفاد الموارد عند اعدائها .

كانت تمنع الموارد الخارجية ولكنها لم تكن تمنع الموارد المخزونة أو المستخرجة في بلاد الاعداء .

أما الان فالاساطيل البحرية قد وجدت ما يساعدها على اتمام الحصار ، ووجدت ما يصيب الموارد وهي مرسلة الى بلاد أعدائها وما يصيب الموارد وهي مخزونة أو مستخرجة في تلك البلاد .

ونعني بهذه الاداة المساعدة على اتمام الحصار سلاح الطيران الذي لم يكن له كل هذا الشأن قبل الحرب الحاضرة .

فالاساطيل البحرية تمنع السفن المرسلة بالخيرات واللوازم والاساطيل الهوائية تعمد الى الخيرات واللوازم التي استقرت في أماكنها فتتلف منها ما تصل اليه .

وللاساطيل الهوائية أكثر من طريقة واحدة للاتلاف والاستنفاد ومضاعفة تأثير الحصار .

لها طريقة الرقابة على الشواطىء والتضييق بهذه الرقابة على مداخل البلاد ومخارجها .

ولها طريقة الاغارة على المخازن والمصانع لتحطيم ما فيها أو لتعطيل الايدي العاملة وتبديد أوقاتها .

ولها طريقة الاغارة على طرق المواصلات لتعويق الحركة فيها ومنع الذخائر والامدادات أن تصل الى أماكنها المطلوبة فيها .

ومتى أصيبت المواصلات وقلت الزيوت التي تستخدم في السيارات هجم الناس على السكك الحديدية للانتقال بها من مكان الى مكان ، وتعذر على هذه السكك أن تقوم بخدمة الجيش وخدمة المرافق القومية العامة في وقت واحد ، وبخاصة في البلاد التي يعجزها الحصار عن توفير وسائل الاصلاح والترميم .

وقد أصيبت المانيا في جميع هذه الاغراض بما يضاعف تأثير الحصار البحري ولا جدال ، وسنعود الى بيانه في غير هذا الحديث .

والظاهر ان اصابتها في طرق المواصلات ليست بأهون ولا أسهل استدراكا من اصاباتها في سائر الاغراض . لان الاذاعة الالمانية أخذت تردد في الاسبوع الاخير من الشهر الماضي نداء بعد نداء الى الشعب أن يجعل سفره على السكك الحديدية مقصورا على المهام الضرورية التي لا يستغنى عنها بوسائل اخرى ، وان السفر على هذه السكك لن يسمح به بعد الان لغير أصحاب

وللاساطيل الهوائية أكثر من طريقة واحدة للاتلاف والاستنفاد ومضاعفة تأثير الحصار .

لها طريقة الرقابة على الشواطىء والتضييق بهذه الرقابة على مداخل البلاد ومخارجها .

ولها طريقة الاغارة على المخازن والمصانع لتحطيم ما فيها أو لتعطيل الايدي العاملة وتبديد أوقاتها .

ولها طريقة الاغارة على طرق المواصلات لتعويق الحركة فيها ومنع الذخائر والامدادات أن تصل الى أماكنها المطلوبة فيها .

ومتى أصيبت المواصلات وقلت الزيوت التي تستخدم في السيارات هجم الناس على السكك الحديدية للانتقال بها من مكان الى مكان ، وتعذر على هذه السكك أن تقوم بخدمة الجيش وخدمة المرافق القومية العامة في وقت واحد ، وبخاصة في البلاد التي يعجزها الحصار عن توفير وسائل الاصلاح والترميم .

وقد أصيبت المانيا في جميع هذه الاغراض بما يضاعف تأثير الحصار البحري ولا جدال ، وسنعود الى بيانه في غير هذا الحديث .

والظاهر ان اصابتها في طرق المواصلات ليست بأهون ولا أسهل استدراكا من اصاباتها في سائر الاغراض . لان الاذاعة الالمانية أخذت تردد في الاسبوع الاخير من الشهر الماضي نداء بعد نداء الى الشعب أن يجعل سفره على السكك الحديدية مقصورا على المهام الضرورية التي لا يستغنى عنها بوسائل اخرى ، وان السفر على هذه السكك لن يسمح به بعد الان لغير أصحاب

الاعمال التي يتبين لزومها أشد اللزوم . ولن تخفف هذه القيود المشددة حتى في يوم العيد وما يتلوه من الآحاد .

ومن الواضح أن الشعب الذي يحال بينه وبين السفر بالسكك الحديدية هو الشعب الذي حيل بينه وبين السفر بالمواصلات الاخرى ، وهي السيارات التي يملكها الاغنياء أو القادرون على تسييرها ... هذا أو يكون الاغنياء والفقراء سواء في هذه المحنة لصعوبة الحصول على الزيوت والمطاط وما الى ذلك من أدوات الانتقال بالسيارات ، وعلى كلتا الحالتين لا يخلو الامر من دلالته على الشدة والضيق .

فالحصار البحري الذي هزم المانيا في الحرب الماضية قد زيد عليه اليوم عبء جديد من حصار الهواء ، وستظهر الايام فوق ما اظهرت حتى الساعة ان عبء الحصارين ليس بالخطب الذي يهون احتماله ويطول الصبر عليه .

نعم ان المانيا النازية تضرب المصانع البريطانية بالطيارات وتضرب السفن البريطانية بالغواصات ، وتفتن في حصر الجزر البريطانية بكل ما في مقدور العلم والصناعة والمجازفة والاستيئاس .

ونعم ان الجزر البريطانية تعتمد على الواردات الخارجية اكثر من اعتماد البلاد الالمانية عليها .

ولكن الجزر البريطانية مع هذا وذاك تستطيع الشيء الذي لا تستطيعه البلاد الالمانية، تستطيع التعويض والاستعاضة بمن يبذلون المعونة وهم راضون مثابرون ، غير ملحين في طلب الجزاء العاجل ، ولا مضمرين السوء لمن يأخذون منهم ما هم باذلوه .

فالسفن التي أغرقها النازيون كثيرة العدد نفيسة الحمولة، غير ان السفن التي استفادها الانجليز من هولندة والنرويج وبلجيكا ومما يبنونه في أحواضهم أو يبني لهم في الاحـواض الامريكية ، كفيلة بالتعويض وتنظيم المواصلات ، وعندها من وسائل الحراسة ما يزداد ولا ينقص على الايام ، ولا سيما بعد اشتراك الاسطول الاميركي في حراسة السفن الامريكية الى أمد بعيد .

والطيارات التي تغير على المصانع الانجليزية تنال منها اكبر منال ، غير ان المصانع الانجليزية ليست هي المستودع الوحيد لما يحتاج اليه الانجليز ، وليست باقية في المستقبل على ما هي عليه الان من الاستهداف للخطر والتهديد ، لان ازدياد الطيارات التي يخرجها الانجليز أو يخرجهـا الامريكيون خـير رادع للطيارات النازية المغيرة ، وخير واق للاهداف المقصودة ، وخير جزاء يقابل الضربة بالضربة والتهديد بالتهديد .

والغواصات النازية كثيرة تتمكن بالمجهود اليسير ان تحدث الضرر الكبـير ، غير ان المحيط الاطلسي والمحيط الهادي والمحيط الهندي والمسالك البحرية والبرية فيما بينها أوسع جدا من ان تملأها الغواصات ولو بلغت عدة مئات ، وسهولة الاصابة بالغواصة تقابلها صعوبة الاختفاء عن اعين الطيارات وآذان الصاغيات ، وصعوبة المدد الدائم من الرجال — المدربين على استخدام هذا السلاح الذي يطول تدريب العاملين فيه وتقل السلامة من اخطاره ومزعجاته .

وقد مر الاسبوعان المنصرمان بأحدث التجارب في ميادين الماء والهواء • ورأينا بدعا من اقدام النازيين على مهاجمة جزيرة

كريت بالطيارات لاحتلال المواقع البرية فيها . فثبت من التجارب في ميادين الماء ان الامم الديمقراطية سيدة البحار ، ولم يثبت من التجارب في ميادين الهواء ان النازيين سادة الهواء ، اذ ليس كل هجوم جوي سهلا كالهجوم على كريت ، وليس كل دفاع مستعصيا كالدفاع عنها . وقد كانت للنازيين غارات جوية على الجزر البريطانية أكبر من غاراتهم الجوية على جزيرة كريت ، فلم يحتلوا هنالك شبرا من الارض كما صنعوا في الجزيرة اليونانية ولن يحتلوه ، ولم يفصموا حلقة من حلقات الحصار ولن يفصموها ، وسيبقى ذلك شأنهم في ادوار الحرب الباقية الى نهايتها ، وسيرى من يعيش .

***

الحصار من طريق البحر والهواء

المقال الثاني

بين الكراسات القيمة (١)، المعروفة باسم كراسات أوكسفورد عن الشؤون العالمية كراسة عن الحصار البريطاني يقول مؤلفها المستر كلارك ما فحواه ان احتلال النازيين للاقطار الاوربية التي دخلوها مهم من جهة الضرر الذي ينتظر أن ينالهم منها. لانها كما يقول المؤلف : « ناقصة في مواد الخامات التي تحتاج اليها المانيا وايطاليا على وجه التقريب ولا سيما النفط والمعادن ما عدا الالومنيوم وركاز الحديد ثم المنسوجات والمطاط ، أما الاطعمة فالاقطار المحتلة أفقر فيها من المانيا وايطاليا . ومن هنا تواجه المانيا من الحصار مشكلة محيرة ، لان النازيين مضطرون الى اختيار أمر من أمرين : فاما ان يدمروا ثروات تلك الاقطار الاقتصادية واما ان يحافظوا على تلك الثروات مع حرمان أنفسهم من أزوادها التي تزداد ندورا يوما بعد يوم . فاذا اختاروا هذه الخطة الاخيرة فذلك خليق ان يعجل باليوم الذي يحسون فيه الفاقة والنقص في مقدورهم الحربي ووسائلهم العسكرية ، واذا اختاروا الخطة الاولى اسقطوا بأيديهم تلك الدعوة التي يسمونها

---

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣٢٨ ـ ٢٨ يونيه (حزيران) ١٩٤١ .

بالنظام الاوربي الجديد ويحاولون بها أن يؤلبوا القارة الاوروبية بحذافيرها على بريطانيا وأمريكا، واسقطوا معها الامل في الانتفاع بالمزايا الصناعية والزراعية من الأقطار المحتلة . ويبدو الآن انهم ينوون هذا . ولكنهم يؤدون ثمنه فادحا لانه وشيك ان يبعث في أوربا الغربية قوات سياسية واجتماعية لا طاقة حتى للجستابو والجيش الالماني بالسيطرة عليها » .

قال المؤلف بعد ما تقدم وهو ختام رسالته النفيسة : «ويبدو انه من المحقق ان حالة النفط في المانيا وايطاليا ستتحرج كثيرا أو قليلا خلال السنة المقبلة ، وان موارد البلاد المحتلة على اختلاف الخطط التي يتبعونها فيها سيعتريها نقص في مواد النحاس والمعادن المدخولة والمنسوجات والمطاط يعقبه تأثير هام في النشاط الصناعي والكهربائي ووسائل المواصلات ، وفي القدرة على تزويد الناس بالادوات المستخرجة منها اثناء الشهور الثمانية والعشرة التالية ، وكلما تعزز الحصار بضرب الطائرات بادرت هذه المصاعب بالظهور ، ويرجح ان حالة الاطعمة ــ أو الحبوب خاصة ــ ستظل مكفولة الى حين ، ولكن الضغط على موارد الدهون وأقل من ذلك اللحوم ، مع استمرار نقص المنشطات الخفيفة كالشاي والقهوة سيكون من شأنه ان يزيد وجبات الطعام شظفا على شظف ، حتى يصير الى حالة لا تلائم اناسا مرهقين بالجهد مهددين على الدوام بالقلق العصبي من الغارات الهوائية » .

ثم ختم المؤلف قائلا : « إن الحصار بطيء في عمله وان كان في الوسع استحثاثه ومضاعفة أثره باغارة الطائرات . الا اننا نتبين على ما هو ظاهر لنا ان عوامل ضعف مكشوفة ستأخذ في

التطور من صيف سنة ١٩٤١ ثم تشتد عند أوائل السنة التالية اشتدادا يتيح للقوات البريطانية بما يعززها من المدد المتواصل من الولايات المتحدة واجزاء الامبراطورية ــ ان تشرع في العمل الهجومي على نطاق حاسم كبير . ويومئذ تضطر المانيا الى مجهود عظيم لاستبقاء المغانم التي غنمتها بأعمال الفرق الآلية المدرعة. وانما تقوم مهمة الحصار على الحيلولة بينها وبين الاقتدار على النهوض بذلك المجهود العظيم » .

***

في هذه الخلاصة التي أوجزها مؤلف الرسالة ، تقدير صحيح متئد لا مبالغة فيه لما ينتظر ان ينشأ عن الحصار في هذه السنة والتي تليها ، ولعل هذه التطورات قد ظهرت فعلا في الصيف الذي نحن فيه ، كما انبأ المؤلف . لان الاخبار التي ينشرها الثقات العائدون من المانيا تدل على حالة سيئة تتفاقم وتتأزم ولا يتوقع لها انفراج . فالمستر كارل وول يكتب منذ ايام في صحيفة امريكية ان الوهن والغم قد تسربا الى نفوس الالمان من جراء الغارات الجوية ، وانهم لا يصدقون من يقول لهم ان أهل لندن ينامون في أثناء الغارات ، لانهم هم لا يذوقون النوم في اثنائها ، وعلى كثرة ما يشاع عن الاهتمام البالغ من قبل الزعماء النازيين بالمخابىء ووسائل الوقاية يقول هذا الكاتب بأنه لم ير ولم يسمع أيام مقامه بالعاصمة الألمانية الا عن أماكن ثلاثة لا غيرها يصح ان تسمى مخابىء واقية . ومنها المخبأ الذي أعده هتلر لنفسه .

وربما ذكر حضرات السامعين ما رواه مستر وليام بايلس

في مجلة المركيوري الامريكية حيث قال : انك تسأل التاجر الالماني : كيف تسير أعمالك ؟ فيجيبك : احسن من الاسبوع المقبل ، وهو جواب فيه من المرارة اضعاف ما فيه من الفكاهة ، ودلالته الواضحة أن الأحوال هناك تنتقل من سيىء الى أسوأ وأن الناس لا يلمحون امامهم بارقة رجاء في تحسن تلك الاحوال .

وتعلم المذيعون النازيون كيف يصرخون من وقع الغارات الجوية ، وكيف يستنكرون ما يدعونه من ضرب الانجليز للاهداف العسكرية وغيرها بلا تفرقة ولا هوادة ، كأنما النازيون أنفسهم لا يصنعون هذا الصنيع الذي يستنكرونه ثم يعلنون اغتباطهم بنجاح الغارات التي من هذا القبيل ، كما فعلوا بعد غارات الاسكندرية .

ومن المحقق أن الحصار سيدفع بالنازيين الى مآزق سياسية وخيمة العاقبة ، ولا يقتصر ضرره على اضعاف عدتهم العسكرية وكفايتهم الحربية . وقد اندفعوا على ما يظهر في مأزق من تلك المآزق الوخيمة عليهم بوقوفهم من الروسيا موقف التهديد في الاسبوعين الاخيرين . فحشدوا الجيوش على حدودها وابلغوها على ما يقال مطالب لا تستريح الى قبولها ولولا افتقارهم الى القمح والنفط والخامات الصناعية لما فكروا في مخاشنة الروسيا وهم لا يأمنون شرها ولا يطيقون غدرها . فمهما قيل عن خوف الروسيا من الحرب أو تفضيلها الاذعان على المقاومة ــ فالذي لا شك فيه انها قادرة على الاساءة الى النازيين متى ساءت نيتها وتوجست من عدوانهم عليها ، وانهم حتى لو حاربوها وانتصروا عليها لا يزالون في قلق من أمر اخضاعها وتبديل نظامها وصيانة الامن في أرجائها .

وتضيق هذه المآزق التي يندفع اليها النازيون كلما اشتد تضييق الحصار ، وهو مشتد لا محالة .

فالطيارات البريطانية والامريكية آخذة في الزيادة المطردة شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة . وهي أجود صنفا وأبلغ فتكا وأبرع قيادة من نظائرها النازية .

والمطاردة في البحار جادة في تطهيرها من المغيرات النازية ، ومن اليأس الذي يدل على الضيق لا على القدرة ان يجازف النازيون بعد اليوم بارسال سفينة اخرى الى البحار العالمية بعد ما أصاب سفينتهم بسمارك ومدرعة الجيب وأختها السابقة جراف سبي ، وغيرهن من سفن التموين والاغارة .

اما الغواصات فهي قد تغرق السفن البريطانية او الامريكية ولكنها لا تنجي السفن التي تحاول الوصول الى المانيا والاقطار التي تسيطر عليها ، ويفهم من أحدث المعلومات ان ـ المخترعين الامريكيين والانجليز لن يعييهم طويلا أن يفلوا هذا السلاح ، أو يخففوا من أضراره ، وان الامم الديمقراطية لن تعيى على أية حال بتعويض الخسائر التي تصيبهم بها غواصات النازيين .

ومتى اجتمعت للامم الديمقراطية عشرات الالوف من الطيارات التي تعمل في بنائها الان فالامر لا ينحصر يومئذ في الحصار ولا في ضرب المراكز العسكرية والصناعية ، بل يتعداه الى استخدام السفن والطيارات معا في الهجوم على مقاتل النازيين في بلادهم أو في البلاد التي يحكمونها . وقد كانوا يظنونها أو يوهمون رعاياهم المخدوعين انها بمأمن من كل هجوم .

ونحن لا ننسى ان النازيين يبنون الطيارات كما يبنيها

الديمقراطيون ، ولكننا اعتقدنا دائما ان قدرة النازيين على بناء الطيارات مبالغ فيها ، وان الذي عندهم منها أقل مما اشاعوه في احصاءاتهم التي لا يوثق بها، واستدللنا على اعتقادنا بان النازيين لم يستخدموا طياراتهم قط في حملات بعيدة عن مراكزها، وجاءت حملتهم الجوية على جزيرة كريت بعد احتلال اليونان فأيدت هذا الاعتقاد وأثبتت انهم يتعمدون اختيار المسافات القريبة في جميع حملاتهم الكبرى ، مما يسوغ الظن بانهم يستخدمون عددا من الطيارات دون الذي أشاعوه بكثير ، فيعوضون كثرة العدد بكثرة الذهاب والاياب من مكان قريب .

وقد اطلعنا منذ أيام على رأي كهذا الرأي لخبير في فنون الطيران يكتب الى صحيفة التيمس المشهورة ، فاذا به يرجح مبالغة النازيين ويستند في ترجيحه الى التفوق الموضعي الذي أحرزه سلاح الجو البريطاني أثناء الجلاء عن دنكرك ، فقد كانت الطيارات الانجليزية هناك اكثر من الطيارات النازية ، ولو كان عند النازيين ما يزعمون لاغتنموا هذه الفرصة وقضوا على سلاح الجو البريطاني وهو في مهده ، فشلوا حركة الدفاع عن الجزر البريطانية .

وكيفما كان التقدير الصحيح فالنازيون لم يبلغوا مآربهم من الجزر البريطانية وهم متفوقون ، وهذا وزير الطعام الانجليزي يقول منذ يومين ان حالة الطعام في بريطانيا بعد واحد وعشرين شهرا من بداية الحرب لا تقل عما كانت عليه بعد التسعة الشهور الاولى ، وهذا وزير العمل يقول ان اليوم الذي ينام فيه اهل هذه البلاد آمنين ليس ببعيد . فقد جعلنا قتال الليل عظيم التكاليف على الاعداء وطفق العلماء والصناع

يصوغون لهذه البلاد درع الدفاع عنها في الظلام . وكلا القولين صريح في اخفاق النازيين وهم متفوقون ، فاذا انقلبت الآيــــة وتفوق الديمقراطيون غـــدا فليس هذا مما يبشر النازيين بالنجاح ، ولا هو مما يضمن لوزرائهم أن يطمئنوا أمتهم كمــا يطمئن الامة الانجليزية هذان الوزيران المسؤولان .

فالحصار الالماني قد أتى بأقصى ما لديه ولم يحرم الانجليز جيد الطعام وليس بسالبهم غدا طيب المنام. اما الحصار البريطاني فقد صنع كثيرا وهو في البداية ، وسيصنع الاكثر فالاكثر متى انتهى الى أقصاه . ومتى انتهى الى أقصاه فتلك هي نهاية الدولة النازية . وهي نهاية لا نشك فيها كما لا نشك في طلوع الشمس كل صباح .

***

الحصار من طريق البحر والهواء

المقال الثالث

من حين الى حين ترد الينا الانباء البرقية ، ببيان يلقيه (١) وزير انجليزي مسؤول ، عن الخسائر التي اصابت الجزر البريطانية في الارواح والاموال ، من جراء غارات الهواء التي يشنها النازيون على تلك البلاد .

ومن حين الى حين ترد الينا الصحف البريطانية المصورة ، أو الصحف التي تقرن اخبارها بالصور ، فاذا هي حافلة بصور الخرائب الكثيرة التي خلفتها غارات النازيين على لندن وغيرها من المدن الكبرى .

وننظر في الصور المتحركة حينا بعد حين أمثلة شتى من آثار التخريب والاتلاف ينشرها الانجليز انفسهم ولا ينتظرون حتى ينشرها اعداؤهم الذين لا يصلون الى تصويرها على هذا النحو الواضح الشامل لو تعمدوا عرضها على أنظار العالم .

في هذه البيانات جميعا ، وفي هذه الصور كافة ، لا تهوين ولا اخفاء ، بل لا محاولة للتهوين والاخفاء ، بل يخيل الى الناظر ان المحاولة مقصودة لاظهار الخطر في صورته الكاملة على أهول وأعظم ما يكون . فلا كتمان لعدد البيوت التي دمرت ويئست الحكومة من اصلاحها ولا لعدد الانفس التي زهقت أو مني

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣٢٩ ـ ٥ يوليو (تموز) ١٩٤١ .

أصحابها بالعجز والتشويه ، ولا كتمان مع هذا وذاك لشأن الاماكن التي نزل بها الخراب ، سواء كان منها قصر الملك أو دار البرلمان أو متاحف الفنون ومعاهد العلوم .. لا يكتم شيء من ذلك على الاطلاق الا لغرض عسكري يستدعيه تضليل الاعداء أو اتقان الدفاع . اما كتمان الاخبار والكوارث خوفا على الناس من الفزع والنكوص فليس من اغراضهم التي يقصدونها او يحمدونها ، ومن كتمها لهذا السبب فهو عندهم معرض للسؤال والحساب .

ان اخلاق الانجليز كلها تتجلى في هذا المسلك العجيب النادر بين مسالك الشعوب ، وان هذا المسلك ليجمع في دلالته على الاخلاق بين ثلاث صفات هي أغلى ما يعتز به قبيل من الناس ، وهي الطبع المتين والحرية الرشيدة ، والفطنة الدقيقة الى أسرار النفس الانسانية ، من غير تعمل ولا حذلقة ولا احتيال .

فمتانة الطبع ظاهرة في مواجهة الخطوب على حقيقتها التي لا يغطيها خداع ولا اغضاء ولا هرب من الواقع .

والحرية الرشيدة ظاهرة من قيادة الشعب للحكومة في هذه المواقف الحاسمة ، فليس هو بالشعب الذي يقاد في هذه المواقف وهو معصوب العينين جاهل بما يصيبه من البلاء وما يفرض عليه من الضحايا والاعباء ، ولكنه هو الشعب الذي يثابر على الحرب عالما بما فيها مقتدرا على أهوالها معينا حكومته على تدبير أمورها والثقة من تأييد رعاياها ، وهكذا يكون الحكم الحر في بلاد الاحرار حكما يتولونه جميعا متفاهمين متآزرين ولا تنفرد به عصبة تحجب أسراره وتخفي أضراره ليسهل احتماله على المضللين المسخرين ، الذين ينقادون راغمين أو طائعين لانهم في الحالتين لا يعلمون .

اما الفطنة الدقيقة الى أسرار النفس الانسانية فهي شيء يصل اليه الانجليزي بالبداهة ولا يصدرون فيه عن دراسة ولا حذلقة علمية ، لانه مستقر عندهم على الفطرة التي توجههم في المشكلات توجيه الغرائز للاحياء .

فقد أثبت الاطباء النفسانيون في احدث التجارب العصرية ان النفس لا تضطرب من شيء ، كما تضطرب من المخاوف المكتومة والاوهام المحبوسة ، فاهتموا أشد الاهتمام بسؤال المريض عن الوقائع القديمة التي من شأنها ان تورثه خوفا مكتوما أو وهما مجهولا في اعماق السريرة ، وتحقق لهم في حالات لا تحصى ان بدء الشفاء هو انكشاف ذلك السر القديم واطلاع المريض على ما كان يجهل من علل الاضطراب والوسواس .

فالمخاوف المستورة بلاء عظيم اذا بقيت مستورة تتسرب من جانب في النفس الى جانب آخر كالحية السامة التي لا تبصر العين مسراها في جحورها .

والمخاوف المستورة بلاء عظيم اذا انكشف دفعة واحدة لمن كان يجهلها ويصبر عليها لجهله بحقيقتها .. فهي اذا فاجأته مرة واحدة نزلت عليه نزول الصاعقة التي لا تبقي له بقية من الحزم والروية . وهذه هي العاقبة التي يتقيها الانجليز بداهة وارتجالا باعلانهم المصائب وتصويرهم الخرائب ونقلهم الخوف من عالم الاسرار والاوهام الى عالم الابصار والافهام . فلا يصبح الخطر مرضا دخيلا يسري سريان السم المجهول ، بل يصبح عدوا مشهورا معروف المداخل والمخارج يحاربه الانسان وهو عالم بما يصنع مستعد له بما يطيق .

ومن الطبيعي جدا أن يكون النازيون على نقيض الانجليز في هذا المسلك المشبع بالحرية والحكمة العملية . لان اخفاء

الحقائق عن الشعب أول وسيلة من وسائل الاستبداد ، ولم يوجد قط استبداد في التاريخ القديم أو الحديث أطلع المحكومين على جميع الحقائق وانذرهم بجميع الاضرار ، فاذا كان الانجليز يعلنون كل ضرر أصابهم من الغارات الجوية فالنازيون على نقيض ذلك يكتمون كل ضرر اصابهم من تلك الغارات ، ولا يعلنون الا الضرر الذي استغنى عن الاعلان لظهوره ظهورا لا يقبل الكتمان.

قال جورنج قبل الحرب الحاضرة « انني أقنعت نفسي رأي العين بمناعة الوسائل التي اتخذت لوقاية وادي الرور من الغارات الجوية . فلن نعرض وادي الرور لقذيفة واحدة يلقي بها الاعداء عليه » .

هذا العهد القاطع الذي أرسله جورنج بغير تحفظ ولا تحقيق ـ هو العهد الذي يناسب التضليل ويجري مع نية الاخفاء والطمأنينة الكاذبة ، لان الرجل الذي يضمن الصدق وينوي اطلاع الشعب على الواقع لا يستبعد القاء قذيفة واحدة على مكان واحد في الارض ، بالغا ما بلغ من الحصانة والامتناع .

وقد اطلعنا على الخريطة التي تنشرها وزارة الاستعلامات البريطانية مسجلة فيها مواقع الغارات على وادي الرور ، فلم نر فرقا بينها وبين الخريطة التي رسمت عليها مواقعه الصناعية والحربية . فكل موقع من تلك المواقع قد أصابته قذيفة أو أكثر من قذيفة ، ولم تبدأ هذه السنة التي نحن فيها حتى كانت الغارات على ذلك الوادي المنيع قد جاوزت ألفا وأربعمائة ، وحتى كانت الغارات الموفقة منها لا تقل عن الخمسمائة ، كل غارة معناها اتلاف مصنع من مصانع التموين أو الذخيرة ، أو منجم من المناجم التي يزودون منها مصانع التموين والذخيرة .

ووادي الرور ـ كما لا يخفى ـ على مدى ثلثمائة وخمسين

ميلا من العاصمة الانجليزية . الا ان الغارات الجوية قد تجاوزته الى ما وراءه من المراكز الصناعية الهامة ، فلم تسلم منها الصناعات الكيمية ومعامل تكرير النفط التي يكتظ بها اقليم مانهيم Mannheim على مسافة مائة ميل وراء مصانع الرور ، واصابت مانهيم وحدها أربع وثلاثون غارة . بل تجاوزت الغارات اقليم مانهيم أيضا الى ما وراءه شرقا في انحاء ليبرج التي تعمرها مصانع النفط الطبيعي والنفط المحلل المستخرج من الفحم الرديء في مناجم سكسونيا . ومن هذه المعامل معمل لونا Leuna المشهور الذي يستخرجون منه نحو نصف مليون طن في السنة ، ومعمل ماجديبرج Magdeburg الذي يعد بين اشهر هذه المعامل في ألمانيا ، وعلى هذه المعامل الكبرى تعويل الطيارات والغواصات فيما تحتاج اليه من وقود الزيت ، ولا سيما اللازم منه لآلات الديزل ، وهو ضروري للغواصات .

وقد تكررت الغارات على بوليتز وبرلين وهما تكلفان الطيارة مسيرة الف وثلثمائة ميل في الذهاب والاياب ، ولم يكن الغرض المقصود بالاغارة على برلين مجرد المباهاة بتهديد العاصمة الالمانية ، لان السلاح الجوي البريطاني لا يعنى بمجرد التهديد الذي لا تقترن به اصابة حربية تتمشى مع الخطة المرسومة لجميع غارات الهواء .

ويجب ان نعيد الى الذاكرة ان الخطة المرسومة لغارات الهواء البريطانية تتوقى أمرين موافقين للسياسة الديمقراطية على الاجمال : وهما القصد في الجهود الحربية والاقتصار فيها على الغرض المفيد ، ثم رعاية القواعد الدولية في اجتناب المساس بالرعايا الآمنين لغير ضرورة قاهرة ، ولهذا يقصرون غاراتهم على الاماكن التي تمس الحرب من قريب كأحواض السفن

ومعامل الوقــود ومصانع الطيارات والاسلحة عــلى إختلافها ومخازن التموين وثكنات الجيوش ومجامع السكك الحديدية وما اليها من الاهداف . ويخرج الطيار من مطاره وعنده رسالة معينة يؤديها ولا يلتفت إلى غيرها ، ثم يبلغ نتيجة عمله فيما يتعلق بهذه الرسالة فلا يقبل منه رؤساؤه ان يصيب حيث يصيب . خلافا للطريقة التي يجري عليها النازيون من الضرب في كل مكان واصابة الاهداف العسكرية مصادفة واتفاقا لانها بعض الاماكن التي يحوم عليها الطيارون .

ولا حاجة بنا الى التمثيل بما يحدث في البلاد الانجليزيـــة ففي الغارات الاخيرة على الاسكندرية مثل قريب يغني عن التمثيل البعيد . فهم قد جرحوا وقتلوا مئات من الابرياء معظمهم من الفقراء والضعفاء ، وهم قد هدموا البيوت الآمنة على أهلها المساكين ، لينالوا هنا أو هناك موقعا من المواقع التي يعنى بهـا الحربيون ، ولو حكمنا على غاياتهم من اعمالهم لجاز لنا ان نفهم انهم يسعون الى تكذيب دعواهم بأنفسهم وينقضون بأيديهم ما يزعمونه في دعوتهم ، ويسبقون اعداءهم الى اضرام نار البغض والسخط عليهـــم في نفوس الشرقيين عامة والمصريين عــلى الخصوص . وساء ما يسعون اليه ان كان مسعاهم الى أشباه هذه الغايات .

ولا بد من نتيجة لهذا الفرق بين الطريقتين في الغـارات الجوية : طريقة الجهود الجامحة والاصابات الطائشة ، وطريقة الجهود المحفوظة والاصابات السديدة . ولا يصعب علينـــا ان نتخيل هذه النتيجة متى تم للامم الديمقراطيـــة عدد الطيارات الذي تريده ، وتسنى لها ان تصيب كل ما يهمها ان تصيبه من الاهداف ، ولعل هذا اليوم غير بعيد .

الحرب الروسية الألمانية
وعلاقتها بالشرقين الأدنى والأقصى

المقال الاول

في مثل هذه الايام من السنة الماضية (١) ، أعلنت الحكومة اليابانية تطبيق مذهب مونرو على آسيا الشرقية وبحارها الجنوبية ، وفسرت ذلك بأنها تعتبر هذه الاقطار وحدة جغرافية وجنسية وسياسية واقتصادية تتولاها اليابان برعايتها وسيطرتها ، ولا تسمح للامم الغربية بالتعرض لشؤونها .

وفي شهر يوليو من السنة الماضية استطاعت اليابان ، ان تحمل حكومة فيشي الفرنسية على التسليم لها في الاشراف على الهند الصينية ، واقامة المفتشين اليابانيين بتلك البلاد مقام الرقابة على أعمال حكومتها . وتدرجت من ذلك الى المطالبة باحتلال المطارات والقواعد البحرية والبرية ، فأجيبت الى مطالبها بشيء لا يقدم ولا يؤخر في النتيجة العملية .

وفي السابع والعشرين من شهر سبتمبر ، أذيعت خلاصة الميثاق بين اليابان والمانيا وايطاليا ، فاذا هي تتضمن اعتراف اليابان بحق المانيا وايطاليا في انشاء النظام الاوربي الجديد ، واعتراف ألمانيا وأيطاليا من جانبهما ، بحق اليابان في انشاء النظام الاسيوي بالشرق الاقصى أو الرقعة الاسيوية الكبرى . وختم الميثاق بتصريح يقال فيه « ان هذا الاتفاق لا يغير شيئاً

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣٣٣ ـ ٢ أغسطس (آب) ١٩٤١ .

من الحالة السياسية الحاضرة بين الدول الثلاث وروسيا السوفيتية » .

وكان واضحا من البداية ان هذا الميثاق انما هو اتفاق بين الدول الثلاث على تقسيم آسيا وأوربا ، ومنها البلاد الروسية التي كانت صديقة لهن في ذلك الحين . وقد فسرناه على هذا الوجه في الحديث الذي عقبنا به عليه منذ اعلانه .

فاستيلاء المانيا وايطاليا على أوربا معناه اخراج الروسيا من الحظيرة الاوربية . واستيلاء اليابان على الشرق الاقصى معناه تهديد الروسيا في سيبيريا وتخوم الصين .

بقي الجانب الغربي من آسيا لم يذكره الميثاق بنص صريح، فمن الذي يستولي عليه ؟

اليابان تستولي على آسيا الشرقية فمن الذي يستولي على آسيا الغربية وما جاورها ؟

لم يكن في وسع الدول الثلاث أن تعلن في ذلك الحين أن آسيا الغربية مع أوربا من حصة الالمان وأتباعهم الايطاليين ، لان ذلك بمثابة اعلان الاستيلاء على روسيا في أوربا وآسيا ، حتى لا تبقى بقية في القارتين لغير الدول الثلاث ، او هو بمثابة اعلان الحرب فورا على روسيا التي لم تكن المانيا مستعدة لحربها في تلك الايام . فسكت الميثاق الثلاثي عن آسيا الغربية لتتوهم روسيا أنها من حصتها اذا طاب لها ان تسترسل مع الاوهام . وكانت المغالطة في ذلك ممكنة قبل هجوم المانيا على روسيا منذ أسابيع . فأما بعد هذا الهجوم فقد أصبح الغرض من الميثاق الثلاثي واضحا على النحو الذي فسرناه به عند اعلانه : أصبح واضحا جدا ان اليابان والمانيا وايطاليا ـ ان صح أن تذكر ايطاليا أيضا ! ـ قد اتفقت على تقسيم آسيا بينها الى قسمين :

فالشرق الاقصى من حصة اليابان ، والشرق الادنى من حصة النازيين وأتباعهم الفاشيين ، ولا يخفى ان الشرق الادنى يتناول الجانب الاسيوي وما يليه من بلادنا الشرقية العربية ، ولو كانت في القارة الافريقية .

فالحرب الروسية الالمانية كشفت هذه الحقيقة كشفا لا تجوز المغالطة فيه ، وأثبتت مرة أخرى بعد عشرات المرات ، أن النازيين يطمعون في بلادنا نحن أبناء الشرق القريب أو ابناء الشرق العربي على التخصيص ، وهم لا يطمعون في الشرق العربي ليصادقوه ويصونوه فانهم لا يعاملون أحدا في الدنيا معاملة الصديق حتى من جيرانهم الاوربيين، وانما يطمعون في هذا الشرق العربي ليستعبدوه ويسخروه ويحرموه الامل في الحرية والثروة والتقدم ، وليجعلوه ذنبا لاوربا وهي ذنب لهم كما يريدون . فنحن في تقديرهم ذنب الاذناب .

ويلاحظ ان المطامع اليابانية هدأت بعض الهدوء في أوائل هذه السنة حتى بدأ الهجوم الالماني على الارض الروسية فعادت مطامع اليابان الى نشاطها في السنة الماضية ، ولا مناص لهذا النشاط من الاتجاه في الطريق الذي انتحاه منذ بداية الحرب أو منذ هزيمة فرنسا على الخصوص .

فلما حدثت الازمة الوزارية الاخيرة في اليابان تساءل الناقدون عما وراءها وتفاءل بعضهم بظهور الاميرال تويودا Toyoda في الافق السياسي لانه كان ملحقا بحريا لدولته في العاصمة الانجليزية سنتين بعد الحرب العظمى ، وكان من أقطاب المؤتمر البحري الذي انعقد بتلك العاصمة سنة خمس وثلاثين. واشتهرت عنه ميول انجليزية .

على أن الازمة الوزارية اليابانية التي جاءت بعد هجوم

الالمان على روسيا لا تحتمل الخلاف الكثير ولا تنطوي على شيء من الغموض ، فهي لا يمكن ان تكون الا خطوة في طريق تنفيذ الميثاق ، أو خطوة في طريق توزيع الحصص بعد أن مد الالمان أيديهم الى حصتهم المشتهاة من الارض الروسية وما يتطلعون اليه وراءها ، وليس ظهور الاميرال تويودا الا دليلا على متابعة الخطوات الاولى في هذا الاتجاه . فان المعروف إن العسكريين مسيطرون على سياسة اليابان ، ولكنهم فريقان يختلفان في اسلوب التوسع والاستعمار وان اتفقا على مبدأ التوسع والاستعمار . فقواد الجيش يفضلون غزو الصين وسيبيريا لانه عمل يقوم به الجنود البريون، وقواد الاسطول يفضلون غزو الجزر والقواعد البحرية والتوسع في بحار الجنوب لانه عمل يقوم به البحريون . وليس للجيش البري حركة مباشرة الآن في سيبيريا الى أن ينجلي الموقف بين الروس والالمان ويطمئن اليابانيون الى مصير سيبريا التي يجوز ان تتراجع اليها قوات روسية كبيرة فضلا عن قواتها المحلية التي تصعب مقاتلتها كما يجوز ان تقع غنيمة باردة ان شاع الفشل في الحكومة الروسية . واذا لم تكن للجيش البري في اليابان حركة مباشرة فالحركة المباشرة اذن من نصيب البحريين ، واتجاه هذه الحركة انما يكون في البحار الجنوبية والهند الصينية ، ولليابانيين أن يطمعوا هنا في تأييد النازيين لهم وضغطهم على حكومة فيشي التي استكانت الى التسليم في السنة الماضية . ولا يصعب عليها المضي في هذا التسليم .

وقد يخطر لبعض الغافلين أن ينفض يديه من الشرق الاقصى وتقسيماته وتقلباته ومصير شعوبه وحكوماته . ولكن الغفلة لا تبلغ بأحد أن ينفض يديه من الشرق الأدنى الذي نحن فيه ،

وأن يجهل معنى الميثاق الثلاثي بالنظر اليه . فقبل هجوم النازيين على روسيا كان الجائز أن يقال ان آسيا الغربية وما جاورها متروكة للروسيين ، وكان من الجائز ان يقال ان الروسيين لا ينوون غزو هذه البلاد بالسيف لانهم ينتظرون ان ينشروا دعوتهم بغير سلاح بعد شيوع الخراب وظهور الاعياء والتضعضع في الشعوب الظافرة والمخذولة على السواء ، ولكن هجوم النازيين على روسيا قد كشف القناع عن جميع الخبايا وملأ لنا الجانب الذي كان فارغا في ميثاق الدول الثلاث ، فانكشف المقصود بآسيا الغربية كما انكشف المقصود بآسيا الشرقية ، ووجب ان نعلم اليوم ان النازيين لا يتمنون هزيمة روسيا ليقفوا عند القفقاز . ولا يتجاوزون القفقاز ليرفعوا أيديهم عن أبناء الشرق والامم العربية دون سائر العالمين . بل هم ناظرون الى الرقعة المتوسطة بين آسيا وأوربا وأفريقيا لانها الرقعة التي تجتمع فيها مسالك الشرق والغرب ومفارق القارات الثلاث . ولانهم عقدوا النية على سيادة العالم وتقسيمه كما تتقسم الاسلاب ، وليس فيهم ولا في حلفائهم الا من يدين للعسكريين ويحكم الناس في وطنه فضلا عن الاوطان الاخرى حكم الفاتحين المتغطرسين ، والا من يعتبر كل مطلب غنيمة حرب تؤخذ بالسلاح وتحفظ بالسلاح وتجري على شريعة السلاح ، فليس لاحد ان يتوقع له رأيا معهم غير الخضوع والاذعان ، ولا معاملة عندهم غير معاملة السادة للعبيد .

***

بدأنا بحديث اليوم سلسلة الاحاديث عن الحرب الروسية اليابانية وعلاقتها بالشرقين الادنى والاقصى ، وهو موضوع

متشعب الاطراف يسوقنا الى الكلام على أحوال شتى وأمم مختلفة لها اتصال به من قريب أو بعيد ، وسنحاول أن نبرز في الاحاديث التالية ما يستحق الابراز والتعقيب مما له مساس بنا وبعواقب الحرب الحاضرة .

ولكننا لا نختم حديث اليوم دون أن ننبه الى العبرتين البالغتين اللتين تستدعيان منا تكرار التنبيه كلما سنحت فرصة وعرضت مناسبة .

وأولى هاتين العبرتين أن المسافات بين الاقطار والحوادث ينبغي الا تقاس في العصر الحديث بمقياس الفراسخ والساعات ، فانما تقاس على الوجه الصحيح بمقياس الاجسام الحية التي تتداعى أجزاؤها جميعا لما يصيب جزءا منها ، فلا يقال ان اتفاقا بين برلين وطوكيو بعيد عن القاهرة وبغداد وأنقرة والخرطوم ، لانه في الواقع غير بعيد كما رأينا من حركات الحرب والسياسة في الشهر الاخير ، وفيما قبله من شهور .

أما العبرة الثانية فهي ان المعتدي عدو لبني الانسان جميعا وليس بالعدو للمعتدى عليه وحده . وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا » وهي حكمة عالية تنطبق كمثيلاتها من الحكم العلوية على الدول انطباقها على الافراد . لان المقصود هنا بالحذر هو القتل والاعتداء قبل الرجل الذي يقتل أو الرجل الذي يعتدي ، ولا شك في ان الاعتداء عدو لبني الانسان جميعا سواء كانوا دولة أو أحدا من سواد الناس ، ولا حدود للاعتداء يقف عندها غير العجز وصدق المقاومة .

ولو تنبهت الامم الى هذه الحقيقة لما تمكن النازيون من العدوان عليها واحدة بعد واحدة وهي تنتظر دورها في جمود

واستسلام ، فمن اللحظة التي تمت فيها نية الزحف على النمسا تمت فيها نية الزحف على روسيا وعلى كل قطر آخر يستطاع العدوان عليه ولو كان في زمرة الاصدقاء والحلفاء . اذ ليس للاعتداء صديق ولا حليف .

وقد أذاعت الانباء البرقية ان النازيون يحملون معهم في زحفهم على روسيا خرائط للمواقع التركية التي يهددونها . ولا يجوز لاحد أن يستغرب هذا فان الغريب حقا أنهم لا يفعلونه ولا يضمرون السوء لمن يجاملونه ويسالمونه . فما شأن تركيا أو غيرها من أمم الشرق والغرب الا كشأن الامم التي أصابها شرهم حتى الان ، ولا وجه للتمييز بين سابق ولاحق في هذا المجال .

من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن اعتدى على أمة فكأنما اعتدى على جميع الامم ، وهذه حقيقة يا ويل الامم ان نسيتها بعد الان ، ويا حسن العاقبة ان ذكرتها بعد طول ما تقدم من النسيان .

* * *

الحرب الروسية الألمانية
وعلاقتها بالشرقين الأدنى والأقصى

المقال الثاني

من النتائج الكبرى التي نجمت (١) عن هجوم النازيين على روسيا ان السياسة الروسية دخلت في دور جديد يخالف سياسة القياصرة ويخالف سياسة الشيوعيين وهم بعيدون من ميدان القتال .

ويستدعي بيان هذه السياسة الجديدة ان نعود الى السياسة الروسية المعهودة في طورها الاخير .

فقد كان الشيوعيون ينهجون في علاقاتهم الخارجية على نهجين قد يتفقان أو يفترقان على حسب الحوادث .

فالنهج الاول هو نهجهم في سياسة الدولة الروسية وهو لا يختلف في كثير عن نهج القياصرة من أيام بطرس الاكبر على الخصوص ، وخلاصته ضمان الحدود والنزوع الى الامتداد من ناحية البحر البلطي ومن ناحية البحر الابيض المتوسط ، ومن ناحية البر في القارة الاسيوية .

والنهج الثاني هو نهج الحزب الشيوعي وهو غير الدولة والحكومة وان قام بعض رجال الحزب بالاعمال الحكومية . فان الحزب يرمي الى نشر المبادىء الشيوعية واتباع السياسة الخارجية التي تقترب به من تحقيق هذه الغاية ، ولو اصطدم

---

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣٣٦ ـ ٢٣ أغسطس (آب) ١٩٤١ .

بمصالح الدولة في بعض الاحيان، وربما صح ان يقال ان سياسة الحزب كانت غالبة على الشيوعيين في السنوات الاولى حتى استقر الامر لستالين وأعوانه فجنحوا مضطرين الى تغليب مصالح الدولة على الدعوة الحزبية ، أو الى تأجيل الدعوة الحزبية الى الحين الذي تختمر فيه عوامل الاضطراب في أوربا بعد انتهاء أزماتها وحروبها الى أقصى نهاياتها .

فاليوم تتغير هاتان السياستان معا لأنهما لا تنفعان روسيا ولا تتيسر لها أسباب الأخذ بواحدة منهما : فلا مطامع القياصرة في الحدود تصلح للتنفيذ أو تجلب لها الاصدقاء ، ولا الدعوة الحزبية تتاح لها أو تضمن لها السلامة . وانما تصلح لها اليوم سياسة واحدة قد تقترب بها من سياستيها السابقتين أو تبتعد بها عنهما جد الابتعاد ، ونعني بها سياسة الدفاع الحربي الى نهاية الحرب الحاضرة ونهاية آثارها وعقابيلها التي تشغل روسيا بعقر دارها ودخائل شؤونها .

ومن أمثلة الفرق بين الدفاع الحربي وبين سياسة القياصرة أو سياسة الدعوة الحزبية ان الدفاع الحربي يضع أيدي الروسيين في يد كل من يقاوم النازيين ، ويجعل عوامل الميدان مقدمة على مطالب الدولة والمطالب الحزبية . فانتصار الديمقراطية الان قد أصبح في طليعة الاغراض التي يرحب بها الزعماء الروسيون ، وقد كان فشلها وفشل النازية معها أمنية ينتظرونها متفائلين أو مطمئنين .

وسياسة الدفاع الحربي تجعل روسيا حريصة على تأمين الطريق الى الهند ومصر في وجه النازيين ، وقد كان اضطراب هذا الطريق لا يعنيها الا بمقدار ما تترقب الخراب من جراء اضطرابه لكل من الفريقين المتقاتلين .

كذلك تقضي سياسة الدفاع الحربي ، عند الضرورة ، بالجد في مساعدة الصين وتقويتها على مصابرة اليابان وصدها عن المواقع التي وصلت اليها، وقد كان الروسيون يمدون الصين بمقدار ما تتعب اليابان وتعاني هي التعب الذي يضنيها ويسوقها الى الفوضى . لان روسيا لم تنس ان زعماء الصين قد أحبطوا الثورة الشيوعية منذ سنوات وكانت قسوتهم عليها أعنف من كل قسوة مني بها الشيوعيون في البلاد الاخرى . فاذا وجب اليوم ان يتعاون الروسيون والصينيون في وجه اليابان ودول الميثاق الثلاثي ـ فلا نظن ان الروسيين يدخرون وسعا في هذه المعاونة نظرا الى الماضي أو الى مآرب الدعوة الحزبية التي كانوا ينظرون اليها قبل اشتباكهم في الحرب الحاضرة .

أما بعد نهاية الحرب ، فالحكومة الروسية المسؤولة ـ أيا كان لونها ـ ستجد امامها الشاغل الاعظم الذي يشغلها عن سياسة القياصرة وسياسة الدعوة الحزبية الى زمن طويل ، وهو شاغل التعمير والترميم واستئناف الاحوال الطبيعية وتنظيم الخلل في المسائل الداخلية أو المسائل الخارجية ، ولا غنى لها في هذه وتلك عن التعاون بينها وبين الامم التي سيؤول اليها الامر في ذلك الحين ، ولا يختلف هذا التقدير إلا على احتمال واحد نستبعده ونرجو ان يصدق حدسنا في استبعاده ، وهو ان تشيع الفوضى في العالم كله شيوعا لا ينضبط له عنان ، وهي كارثة والعياذ بالله ينفلت عنانها من أيدي الروسيين والنازيين، كما ينفلت من أيدي الأمم أجمعين .

***

لقد كانت سياسة الدفاع الحربي في رومنيا مقدمة صالحة

لذلك الميثاق الجليل الذي أبرمه في عرض البحر ذانك الرجلان الرئيسان روزفلت وتشرشل ، وكتبا به في تاريخ بني الانسان صفحة رجاء ، ليست ولا ريب كتابة على الماء .

وأوجز ما يقال في هذا الميثاق الجليل انه العهد الذي أخذت به الديموقراطية على عاتقها أمانة الحرب وأمانة السلم بعدها ، وتقدمت الى حمل هذه الامانة في الوقت الذي ظهر فيه ان مستقبل العالم لن يكون مرهونا بنظام النازية ولا بنظام الشيوعية ، ولا بأي نظام شبيه بهما في تقييد العالم بفكرة مرسومة لا محيد عنها كفكرة العسكريين البروسيين ، أو فكرة الماركسيين وأشباه الماركسيين . وانما مستقبل العالم مرهون بحرية كل أمة في اختيار حكومتها بغير عدوان على غيرها ، وحق كل أمة في خيراته ومسالكه واستخراج النافع من قواه ومكنونات أسراره ، ومعنى ذلك ان مستقبل العالم مرهون بالديمقراطية التي ترجمها رئيس أمريكا ووزير بريطانيا العظمى في بضعة أسطر أو بضعة أصول ، لو تمت لهان في سبيلها ما خسره الناس في الحرب الحاضرة وفيما تقدمها من حروب .

فالنظام الذي يفرضه النازيون على العالم يتحول به الى معسكر مخيف يتقلدون هم سلاحه ويسخرون أبناءه جميعا في تزويدهم بمعدات ذلك السلاح .

والنظام الذي يفرضه كارل ماركس على العالم انما هو نظام طبقة واحدة اذا أمكن تنفيذه ، وليس هو في الواقع بممكن التنفيذ لمصلحة طبقة أو طبقات .

أما النظام الذي يليق بالعالم ان يعقد رجاءه عليه فهو النظام الذي يمشي به في طريق الحرية على اختلاف مناحيها : حرية الفكر وحرية المعاملة وحرية الحكومة ، ولا نزعم ان

الديمقراطية تعطيه هذا كله على أثر انتهاء الحرب الحاضرة ، ولكننا نزعم ونحن على يقين مما نزعم انها هي المذهب الوحيد الذي يمشي به في هذا الطريق ، ويرجى بعد التجارب الكثيرة ان يمشي به مشيا حثيثا الى غاية أكرم من كل غاية يسعى اليها دعاة الطغيان والاستبداد .

***

جاءت سياسة الدفاع الحربي في أوانها فوضعت روسيا بين الدول المتقاتلة في وضعها الصحيح على الرغم من المذاهب الاجتماعية والحيل السياسية والمناورات التي حسب الوزراء والرؤساء انهم يغيرون بها مجرى الامور ويحولون بها طبائع الاشياء .

ففي الحرب الماضية كانت روسيا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة في معسكر واحد يحارب العسكرية البروسية ومن يدينون لها بالطاعة أو الولاء . ومهما يكن من شأن الفوارق بين المانيا التي كان يحكمها آل هوهنز لرن والمانيا التي تحكمها الآن عصابة هتلر ، فالحقيقة التي لا مراء فيها هي ان العسكرية البروسية هي التي تغير وتعتدي في الحالتين ، وهي التي تتابع الان تقاليدها منذ مئات السنين من الغدر والعدوان على الجيران والحلفاء . وليس لروسيا سياسة رشيدة حيال هذه العسكرية البروسية غير سياسة المقاومة والحذر والمعاونة على اضعافها اتقاء لضررها جهد ما تستطيع .

وقد نسيت روسيا هذه الحقيقة في الحرب الحاضرة وظنت أنها قادرة على الروغان منها بالحيلة والمداراة . فلم تلبث أن عادت بها الحقيقة الى وضعها الصحيح الذي تقرر لها بحكم الجغرافيا وبحكم التاريخ ، وها نحن أولاء نسمع أنباء المفاوضات

والمؤتمرات التي تنعقد في العاصمة الروسية ، أو في غيرها من العواصم ، لتبادل المعونة مرة أخرى بين موسكو ولندن ونيويورك . وسنسمع من أمثال هذا التصحيح لمواقف الدول السياسية ما هو أعجب من مفاجآت الشيوعيين والنازيين . فمن الاوضاع الطبيعية والمواقف الصحيحة ان تكون فرنسا وايطاليا في الجانب الذي يقاوم النازيين أو يقاوم كل دولة تحاول السيطرة على القارة الاوربية وعلى العالم بأسره من ورائها . ويبدو لنا ان الحرب الحاضرة لن تبلغ ختامها الا على هذا الوضع الصحيح . فينعقد مؤتمر السلام والنازيون وحدهم في جانب والدول المسالمة كلها في الجانب الآخر ، ويبدأ التفاوض والتآزر في توطيد السلم وتعمير الدنيا على هذا الاساس .

ونحن نلقي كلماتنا هذه والانباء تتعاقب من الميادين الروسية بزحف الالمان هنا وتراجع الروسيين هناك . فيخطر لبعض المتعجلين ان يسأل : وما فائدة السياسة الجديدة ــ سياسة الدفاع الحربي ــ في روسيا ان كان النازيون متقدمين في ذلك الميدان ؟ وما الفرق بين السياسة القيصرية أو سياسة الحزب الشيوعي أو سياسة الدفاع الحربي على هذا الاعتبار ؟

فنحن نتجاوز المتعجلين في تعجلهم ونفرض ان الروسيين لم يزالوا يتراجعون وان النازيين لم يزالوا يتقدمون الى ما وراء القارة الاوربية . فكل أولئك لا يمنع روسيا ان تسيطر على سيبريا وتخومها الاسيوية ، وان تسيطر على شواطىء المحيط الهادىء التي تهدد اليابان ، وان تحتفظ بجيش كبير موفور الذخيرة والسلاح يحسب له كل حساب في طريق الهند ومصر .

وفي التعاون بينها وبين الانجليز والامريكيين وسائر الحلفاء ، كل أولئك لن يعطي النازيين القدرة على الاضطلاع

بأعباء النظام والتموين والدفاع في قارة يشيع فيها القلق والضنك وتأبى لها جميع الاوضاع الطبيعية ان تظل حبيسة في قبضة النازيين .

ولقد مضى بين ميثاق المستبدين وميثاق الديمقراطيين سنة كاملة يتباين نظر الناس الى ما حدث فيها من الحوادث ، وما تم فيها من الخسائر والارباح .

أما نحن فنحسب هذه السنة غنيمة للحرية ونكبة على الطغيان والاستبداد . لان الحرية خرجت منها وفي صفها صديقان قويان هما روسيا والولايات المتحدة ومن معها من الأمريكتين ، وخرج الاستبداد وله عدوان قويان لا تحسب عدواتهما في كفة الغنائم والفتوح ولو انتصر من يحاربهما في عشرين مدينة واحتل مئات الفراسخ والاميال .

وستنقضي السنة المقبلة وأنصار الحرية في ازدياد ، ويوم السلام والخلاص ان شاء الله في اقتراب .

***

الحرب الروسية الألمانية
وعلاقتها بالشرقين الأدنى والأقصى

المقال الثالث

بحديثنا هذا (١) نختتم سلسلة الاحاديث عن الحرب الروسية الالمانية وعلاقتها بالشرقين الادنى والاقصى ، وخلاصة ما يقال في هذه العلاقات انها متصلة بكل قطر من اقطار الشرق قاصيه ودانيه ، وانها الى جانب ذلك متصلة بكل قطر من اقطار العالم من شرق وغرب ، وشمال وجنوب .

فالحرب الروسية الالمانية لها علاقة بآسيا الشرقية وآسيا الجنوبية لانها حركت مطامع اليابان وعلقت مصير آسيا كلها بمصير الدولة الروسية في الحرب الحاضرة .

ولها علاقة بالشرقين الاوسط والادنى لانها المرحلة التالية أمام النازيين بعد الغزوة الروسية . فاذا انتصر النازيون على روسيا فهم لا يقفون عند الحدود الروسية كما يقف المارد في الخرافات عند الخط المرصود ، بل سيتجاوزونها لا محالة الى العراق وايران ، والى سورية ومصر ، والى كل مكان تمتد اليه مطامعهم وبرامج سياستهم ، وهي ممتدة الى كل مكان .

للحرب الروسية الالمانية علاقة بالبحر الابيض المتوسط ، لان هذه الحرب كانت فاتحة البحث في امر المستعمرات الفرنسية على شواطىء أفريقيا الشمالية ، فضلا عـن شواطىء فرنسا

---

(١) مجلة الراديو المصري ــ العدد ٣٣٧ ــ ٣٠ أغسطس (آب) (١٩٤١) .

نفسها وما يجاورها من الجزر المطموع فيها .

ولهذه الحرب علاقة بحالة الامن في القارة الاوربية ، لان فشل النازيين في الميدان الروسي يثير عليهم جميع الامم المغلوبة التي لا تجسر الآن على الثورة . أما نجاحهم في ذلك الميـــدان فيضطرهم الى ابقاء عدد عظيم من عسكرهم في الارجاء الروسية لمكافحة العصابات وتوطيد النظام ، ويضطرهم كذلك الى زيادة الجهد في تموين القارة الجائعة المحصورة ، وكل أولئك من شأنه اثارة القلاقل وتحريض المتحفزين للانتقام .

وللحرب الروسية الالمانية علاقة بمصير الاصلاح الاجتماعي في أمم العالم قاطبة ، لان سياسة روسيا الاجتماعية سوف تتبدل بعد الحرب الحاضرة وفقا لما يشغلها من أعباء التعمير والتجديد ، ودواعي التعاون بينها وبين الدول التي سيكـون لها الرأي في مؤتمر السلام .

على ان العلاقات التجارية والاقتصادية التي تمسها هـذه الحرب ليست بأقل من العلاقات السياسية أو العسكرية . فلا ريب ان ضغط الميدان الروسي وضغط اليابان على الشواطىء الاسيوية سيؤديان الى تجديد الطريق القديم في آسيا الوسطى، لان تعويل روسيا على موارد الشرق وتعويل الصين على موارد الغرب سيفتحان من مسالك آسيا الوسطى ما كان مغلقا أو مهملا في الازمنة الحديثة ، وهي الطريق التي لا يخفى ما كان لها من الشأن التاريخي في قيام دول وسقوط دول ، بل في تحويـل التاريخ الاوروبي وتاريخ الحضارة عامة كرات متعاقبات فـي خلال عشرات القرون .

الا اننا نريد في حديث اليوم أن نقترب بتلك العلاقات حتى

نصل بها الى التربة المصرية ، والى فأس الفلاح ومحراثه وهما يعملان في تقليب أرضه وتحصيل قوته .

فالفلاح المصري يزرع القمح والقطن وكلاهما من المحصولات التي ستؤثر فيها الحرب الروسية الالمانية أكبر تأثير .

فأما القمح فهذه البطاح الاوكرانية التي كان تغذي روسيا وجاراتها بالحبوب قد خربت وتعطلت فيها وسائل العمل الزراعي والصناعي ووسائل النقل المنتظم في الموسم القادم . وزادها خرابا على خراب تحطيم القناطر والخزانات وتدمير المدن والقرى وحركات الجيوش بين كرها وفرها واغتصابها وانتقامها ، ويزيدها خرابا فوق هذا وذاك أن أهلها يهجرونها ويرتدون عنها الى ما وراء خطوط القتال . فلا يقيم فيها من كانوا يزرعونها وهي صالحة للزرع مستقرة في ظلال السلم والطمأنينة .

ومهما يكن من غلبة النازيين على البطاح الاوكرانية ، أو بقائها في ايدي الروسيين فالمحصول الذي كانت تثمره مهدد بالنقص والتلف معرض للنكاية من الفريقين . واذا خرجت أوكرانيا من أيدي الروسيين فهم سيحتاجون في الموسم القادم الى الحبوب وسيعتمدون في توريد الضروري منها على الموارد التي تأتي عن طريق الحلفاء .

وعلى هذا يجوز لنا أن نعتقد أن محصول القمح المصري رابح في الموسم القادم ، وأن زيادة الارض التي نزرعها قمحا قد تجيء في الوقت اللازم وفي الظرف الملائم ، وان محصول الحبوب المصرية اذا حسن تسميده وسقيه والقيام عليه كفيل بأن يعوض تعب الفلاح خير تعويض .

أما القطن فالمرجح ان المقدار الذي كانت تشتريه اليابان من القطن الهندي أو القطن الامريكي سيبقى في أسواقه ويحال بينه وبين المصانع اليابانية . اما على سبيل القصاص الذي يفرضه البريطانيون والامريكيون على اليابان ، واما على سبيل العجز والتعطيل الذي يصيب وسائل النقل والمبادلة التجارية المنتظمة في البحار الاسيوية .

فاذا حدث هذا الذي نتوقعه مرجحين فمن الخير والحكمة أن نلتزم بمحصول القطن المقبل حدود الرواج المنظور وأن نجتنب به أزمات الكساد والبوار ، ويجيء النقص في زراعتنا القطنية والزيادة في زراعتنا القمحية على وفاق الحاجة في مصر والحاجة في الاسواق العالمية .

ولا عجب في وصول الحرب الروسية الالمانية الى فأس الفلاح المصري ومحراثه ، والى المحصول الذي يزرعه في أرضه . فقديما كانت الحرب بين الولايات الامريكية سببا لتأسيس الزراعة القطنية في بلادنا حتى كدنا أن نعول عليها وحدها دون سائر الزراعات . لان الحرب بين ولايات امريكا الشمالية وولاياتها الجنوبية عطلت زراعة القطن فيها وحولت صناع المنسوجات الى بلادنا وغيرها من البلاد .

وهكذا تعلمنا الحوادث سنة بعد سنة ويوما بعد يوم ولحظة بعد لحظة أن الحروب العالمية ليست بالمسألة المحلية التي يجوز لمصري أن ينفض منها يديه ، أو ينظر اليها كمن يقولون انها قضية لا ناقة لنا فيها ولا جمل !

لأنها ، سواء شئنا أو لم نشأ ، قريبة من مركزنا وآمالنا الوطنية ، قريبة من ثروتنا العامة وثروتنا الخاصة ، قريبة من

حدود كل مزرعة ومن منبت كل شجرة ، ولا نقول انها قريبة من تخوم القطر وكفى .

***

ذلك اجمال العلاقات الكثيرة التي تربط الحرب الروسية الألمانية بأقطار العالم كله ولا سيما الشرقين الادنى والاقصى .

ولكنها لا تقف عند موقفها التي انتهت اليها حتى الساعة ، فان من أطوارها الجائزة ـ بل من أطوارها المتوقعة ـ أن تشتبك اليابان في حرب مع الدول الديمقراطية والولايات المتحدة في مقدمتها .

فاذا وقعت هذه الواقعة فماذا تكون العاقبة ؟ وما أثر هذا الطور الجديد من أطوار الحرب في عوامل النصر والهزيمة ؟

أما رأيي وايماني معا فهما يوحيان الى أن الديمقراطية منتصرة لا محالة ، وأن عوامل التداعي والانهيار في الدول المستبدة أقوى وأفعل من عوامل الثبات والانتصار .

فاليابان دولة قوية لها جيش باسل وأسطول عظيم ، ولكنها امتحنت في غزوة الصين امتحانا دل على مبلغ ما عندها من السطوة وأساليب النجاح ، مع ان الصين قريبة ضعيفة قليلة المال والسلاح .

وقد كان لاسطولها البحري قبل عشر سنين خطر أكبر من خطره في الحرب الحاضرة ، لان قواعد الاسطولين الامريكي والانجليزي كانت بعيدة من البحار اليابانية ، ولم يكن في الوسع حصر المواصلات الى اليابان من قواعد قريبة في آسيا الشرقية أو في أمريكا الغربية وما اليها من الجزر . أما اليوم فالامر مختلف من هذه الوجهة بعد انشاء قاعدة سنغافوره وانشاء القواعد

الامريكية المبثوثة في أرض الولايـات المتحدة وجزرهـا ، وبعد انضمام « فلادفستوك » الى القواعد التي تشترك في الاغارة على اليابان من طريقي البحر والهواء .

ولليابان طيارات كثيرة ولكنها على ما يقول الخبراء ضعيفة الآلات معظمها مصنوع في المعامل الفرنسية وعلى رسوم الهندسة الاجنبية ، وكل ما اعتمد فيه اليابانيون على صناعتهم وهندستهم فهو من قبيل « اليابانيات » التي شاعت شهرتها في أنحاء العالم بسرعة العطب وقلة الدوام .

وهذا الى ضيق الموارد اليابانيـة واعتمادها عـلى الاسواق الخارجية وعلى جلب الخامات من القارات الاخرى ، وهي محصورة المواصلات في أيدي الدول الديموقراطية .

فاشتراك اليابان في الحرب قلما ينفع النازيين ، واشتـراك الولايات المتحدة ومعها الامم الامريكية الجنوبية ينفع الديمقراطية ولا مراء ، وليست هناك مقارنة بين قدرة الفريقين على الثبـات تخرج باليابان في جانب التفوق والرجحان .

***

كنت منذ أيام أقرأ تاريخـا للسياسة الدوليـة في الشرق الاقصى فاستوقفتني كلمة غليوم الثاني التي نادى فيها بتأييد روسيا القيصرية في مطامعها الاسيوية ، وأعلن باسم المانيا أن روسيا لا يمنعها مانع ان تفتح « بكين » الا أن تتم الاهبة لغزوة الصيـين .

طرفة من طرف القول الشائعة أن التاريخ يعيد نفسه !

فلم تمض فترة وجيزة على كلمة غليوم حتى كانت جيوشه تحارب روسيا تلك التي كان ينادي بتأييدها ويمنيها بالغنائـم

والفتوح ، ولم تمض فترة وجيزة على صداقة النازيين للشيوعيين حتى كانت جيوش المانيا تزحف على الارض الروسية من كل صوب .

ويقابل هذا أن الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وقفتا في وجه اليابان بعد حربها مع روسيا لتحولا بينها وبين استغلال النصر في اكتساح الصين وسيبريا ، وادراك ما لم تدركه روسيا القيصرية هناك .

ثم مرت فترة من الصداقة والمجاملة بين الدول الثلاث ـ بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان ـ ولكنها صداقة لم تكن قائمة على أساس عميق القرار .. فما هو الا أن بلغت الامور الى قرارها حتى عادت هذه الدول الى مواقفها التي وقفتها في مؤتمر واشنطون قبل ست وثلاثين سنة ، لانه هو الموقف الصحيح وهو الموقف المعقول .

فمن أغتر بالعوامل الطارئة والدواعي الموقوتة فهذه الحرب الروسية الالمانية قد جاءت في أوانها ، بما لها من العلاقات المتشابكة والملابسات المتناقضة ، لتعيد الامور الى نصابها ، وتؤكد سلطان القوانين الطبيعية التي تقول قولها ويقول غليوم وهتلر وستالين وساسة الانجليز والامريكيين ما يشاءون ، فاذا هي القائلة النافذة المقال ، واذا كل ما عداها خيال لا يتماسك أمام النظر ، وارتجال لا يستقر على حال .

***

النازيون وحلفاؤهم الضعفاء (١)

في الانباء التي ترد من الساحات الروسية معرض للكثير من العبر والملاحظات .

ومن ذلك أنباء الخسائر التي يصاب بها الجيش الروماني، أو انباء الخسائر التي تصاب بها موانىء رومانيا على البحر الاسود ، وآبار الزيت وغيرها من المرافق الرومانية .

ويسأل القارىء : وما شأن رومانيا في الحرب بين الروس والالمان ؟ ولماذا يخسر الرومانيون في هذه الحرب ما يخسرون من أموال ورجال ؟

فاذا سأل القارىء هذا السؤال لم يعدم مجيبا يجيبه فيقول: ان الرومانيين يحاربون الروس لان هؤلاء قد أخذوا منهم أقاليم كانت تابعة لهم وكان الروس يدعون الحق فيها من أيام الحرب الماضية ، فلهذا يحارب الرومانيون اليوم ليستردوا من الروس تلك الاقاليم .

لكنه جواب لا يحتمل التمحيص الطويل ، لانه محض تعلل أو تعليل .

فالروسيون لم ينفردوا في العهد الاخير بأحد الاقاليم من رومانيا ، وانما كان لهم نصيب منها الى جانب النصيب الذي

---

(١) مجلة الراديو المصري ـ العدد ٣٤٣ ـ ١١ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٤١ .

أخذه المجريون والنصيب الذي أخذه البلغاريون وكان النازيون هم الذين أكرهوا الحكومة الرومانية على قبول التسليم فيأجزائها المختلفة لخدمة السياسة النازية على حسب الظروف .

فالسياسة النازية اذن هي التي حكمت على رومانيا بالامس أن تفقد أقاليمها ، وهي التي حكمت عليها اليوم أن تحارب في صفها لخدمة مآربها لا لخدمة المصالح الرومانية . وهي التي تتحكم في الشعوب الضعيفة التي تحالفها على حسب ما تريد ، في كل ظرف من الظروف .

وليست رومانيا الا دويلة واحدة من دويلات البلقان وأوربا الشرقية . فاذا كان حظها من محالفة النازيين أسوأ من حظوظ غيرها فسبب ذلك أن النازيين سيطروا عليها أشد من سيطرتهم على غيرها . فلم تساعدهم أحوال المجر والبلغار على التمكن من هاتين الامتين كما تمكنوا من الامة الرومانية ، ولم يكن لهم في بودابست وصوفيا حزب قوي كالحزب الذي كان لهم في بوخارست . فكانت تلك هي جريمة رومانيا الكبرى : جريمتها الكبرى ان نفوذ النازيين فيها كان أعظم من نفوذهم في الامم البلقانية الاخرى .

وليس معنى هذا ان بلغاريا ــ مثلا ــ أسعد حظا من رومانيا أو ستكون في المستقبل أسعد حظا منها . لان المسألة هنا مسألة أدوار ومراحل تتعاقب واحدة بعد واحدة . وسيجيء دور بلغاريا حين يلتفت النازيون الى البلاد التركية التي هي أقرب الى الحدود البلغارية ، وحين يحتاج النازيون الى التغرير بالبلغاريين والى تسخيرهم في خدمة المطامع التي هم أصحابها وهم المنتفعون منها والمسيطرون عليها .

فالسياسة النازية مع حلفائها الضعفاء هي سياسة تسخير على حسب الظروف : يطمع النازيون في البحر الاسود فيسخرون أبناء البلاد الواقعة عليه في القتال وفي استخراج الموارد المعدنية والزراعية وفي ارضـاء المنافسات السياسيـة ، وهم الفائـزون بالغنيمة كلها في خاتمة المطاف .

ورومانيا اليوم تفقد رجالها وأسلحتها ليصل النازيون الى البحر الاسود من جميع جهاته ، وبالامس فقدت أقاليمها لارضاء الروس تارة وارضاء المجر والبلغار تارة أخرى . ولماذا يرضون الروس والمجر والبلغار عـلى حساب رومانيـا أو عـلى حساب غيرها ؟ يرضونهم للوصول الى البحر الاسود أيضا .. فاذا جـاء الوقت الذي يسخطونهم فيه لتحقيق هذه الغايـة لم يترددوا في اسخاطهم لحظة واحدة . كما صنعوا بالروسيين اذ حاربوهم بعد ان كانوا لهم حلفاء أو أصدقاء !

سياسة تسخير واستغلال ، لا تقف عند سلب الاموال بل تتعداه الى سلب الكرامة والاستقلال .

وقد تواترت الانباء بأن النازيين يطلبون للساحة الروسية عمالا وجنودا من حلفائهم الطليان ، وعمالا وجنودا من أمـم البلقان ، وعمالا وجنودا من الفرنسيين ، وما لم يدركوه بالطلب أدركوه بالغصب والارهاب كما يصنعون في البلاد التي احتلوها كالبلاد البولونية والتشيكية والنمسوية ، وما يصنعون غدا في كل بلد وصلوا اليه .

قال هتلر في أحاديثه مع الدكتور راوشننج Rauschning « ان الطبيعة قاسية وينبغي لنا نحن كذلك ان نكون قساة .. فاذا أنا دفعت بزهرة الشباب الالماني الى جحيم الحرب ، غير مشفـق أقل اشفاق على ما يسفكون من دم نفيس ، فمن حقي لا جرم ان

أزيل الملايين من الاجناس التي تتكاثر بالنسل كما تتكاثر الهوام والديدان » .

قال هتلر للدكتور راوشننج ولم تكن به حاجة لان يقوله لان أعماله قائلة ما يغني عن الحديث والرواية ، ولم تكن بالدكتور راوشننج حاجة الى اثباته لانه سبق برواية الكلام وتلاه هتلر بالعمل الذي يقطع لسان الجدل والمحال .

فالملايين المحشودة من الرومانيين وأمثالهم ان هي الا بعض الهوام التي لا تستحق عند هتلر نعمة البقاء، ومصير تلك الملايين التي تنجو من الحرب ان تبيد بالتعقيم وتحريم النسل أو منعه بالوسائل العلمية والسياسية ، وفي ذلك يصرح هتلر بما ترجمته : « انني على سبيل التمثيل سأفصل بين رجالهم ونسائهم سنوات ، وسألجأ الى وسائل منظمة أقل ايلاما ولا داعي فيها لسفك الدماء . وما أكثر الوسائل التي تعين على فناء الاجناس التي ليس لها فائدة ! »

وعلى هذا تتسع الارض للجنس الآري الرفيع ، ولا يبقى من الاجناس الاخرى الا العدد اللازم لخدمة الآريين ، على نحو ما تستبقى قطعان الحيوان لما تعطيه من لحوم وألبان .

ونحن نذكر النازيين ولا نقصد بذلك ان احتقار الدماء والحقوق بدعة طارئة نشأت مع النازية في البلاد الالمانية ، فالواقع ان النازيين يجرون في احتقارهم دماء الناس وحقوقهم على سنة العسكريين البروسيين في كل حرب وفي كل جيل . ففي هذه الحرب الحاضرة أعلن النازيون بغير حياء ولا اكتراث لمخالفة القانون الدولي أنهم ساقوا خمسمائة ألف من السكان البولونيين غير المحاربين الى الاسر والاستعباد في مصانع المانيا غير مفرقين بين الرجال والنساء ولا بين الكبار والصغار . وفي الحرب الماضية

وقف الجنرال فون شتين وزير الحرب الالماني يرد احتجاج المحتجين على نقل السكان من البلاد المحتلة لتسخيرهم في مصانع المانيا فقال : « ان حرب اليوم ليست حرب جيوش تواجه جيوشا بل هي حرب شعوب في نضال شعوب . وليس في وسعنا أن نترك بين أعدائنا عمالا يوالون خدمة الزراعة ومعامل الذخيرة لاستمرار القتال . ونحن لم نقتصر في البلاد المحتلة على نقل البنات وكفى كما يقول المحتجون بل نقلنا معهن كل صالح للعمل من السكان . »

وخلاصة الرأي عند العسكريين البروسيين ان الحقوق الانسانية هي المطامع البروسية . فاذا اختلفت حقوق الناس ومطامع العسكريين فليست هناك حقوق لعدو ولا لصديق ، وعلى هذه القاعدة يجوز تسخير الرومانيين الاصدقاء كما جاز تسخير البولونيين الاعداء .

ولقد روعيت مبادىء القانون الدولي في الزمن الاخير بعض المراعاة ، ولكن العسكرية البروسية لا تزال على مبادئها المعهودة تصر عليها كل الاصرار وتتجاهل غيرها من آداب العرف والشريعة كل التجاهل . فهتلر والنازيون لم يتقدموا خطوة واحدة بعد الماريشال هندنبرج حين قال : « ان المرء لا قبل له بادارة الحرب على سنة العاطفة ، فكلما خلت الحرب من الرحمة كانت أقرب الى الانسانية في الحقيقة ، لان القسوة كفيلة أن تعجل بانتهائها » .

والمارشال هندنبرج كذلك لم يتقدم خطوة واحدة بعد كلوسفتز Clausewitz امام العسكرية البروسية الذي تقدر بنحو قرن كامل حين قال : « ان القيود التي يفرضها المقاتل على نفسه شيء لا يقبل التصور وقل ان يستحق الالتفات » .

فهم اليوم واقفون حيث كانوا في ظلمات القرون الوسطى : ان ساروا مع الزمن فانما يسيرون معه لتسخير العلم في الاستعانة بضروب من التدمير والتفظيع لم يقدر عليها ابنــاء الظلمات في عصور الجهالة ولعلهم نقلوا الان مبادىء القسوة من العسكريين الى غير العسكريين ، بل نقلوها الى قلب المرأة الالمانية عــلى مــا توافرت به بعض الروايات ، وآخر ما وقفنا عليه من ذلك حديث الكاتب الامريكي جوزيف هايش Joseph Haisch في صحيفة بوستون المحترمة « كرستيان ساينس منتور » Christian Science Monitor حيث كان بعد نشوب الحرب الحاضرة يزور برلين فتحدث في موضوعها الى كثيرين وكثيرات ، وممن تحدث اليهــن سيدة مثقفة متدينة كانت تستشيط غضبا من روايات الصحف الالمانية عن فظائع البولونيين . فلما ذكر لها الكاتب ما كان يصنعه الالمان بالقرى البولونية يومذاك أجابته على التو وبغير انتباه : « وماذا في ذلك ؟ انهم بولونيون ! » ... أي ان تعذيب البولونيين عمل سائغ لا يدخل في حساب المنكرات ولا يحق لاحد أن يغضب منه ولو كان من البولونيين المعذبين !

***

ان الحرب الروسية قد كشفت الجانب الاكبر من الغطــاء الرقيق الذي كان يحجب نيات النازيين عن أعين المخدوعين ، فهم قوم لا أمان لهم ، ولا خفاء بسوء نيتهم ، ولا اعتماد على وعودهم ، ولا يحق لاحد أن يركن اليهــم أو يغتبط بمحالفتهم ومسالمتهــم ولو كان من الاقوياء فضلا عن الضعفاء .

فدولة الروس صديقة قوية فانقلبوا عليها بين ليلة ونهار ، ودولة رومانيا صديقة ضعيفة فاستباحوا مواردهــا ومزقــوا

أجزاءها وداسوا استقلالها واسقطوا حكومتها وساقوا جيشها ليبيد في حرب هم الغانمون منها والدافعون اليها .

ومطامعهم هي القانون الوحيد بينهم وبين الاصدقاء والاعداء على السواء ، وكانت هذه المطامع كلاما يقال فأصبحت اليوم عملا يعمل ويقترب منا نحن الشرقيين خطوة بعد خطوة .

كان هتلر يقول : « نحن في حاجة الى مسافة واسعة نستقل بها عن كل تألب وكل محالفة . وأمامنا في الشرق أن نسيطر على القفقاز وايران . وفي الغرب أن نسيطر على شواطىء فرنسا وان نملك الفلاندرز والارض الواطئة .. وعلينا أن نحكم أوربا أو نسقط من حساب الامم » .

فهذه المطامع وما وراءها كانت نية فأصبحت كلاما مبهما أو صريحا ثم أصبحت على مسمع ومشهد منا عملا يغني عن مراجعة النيات والتصريحات ، ولم يبق لأحد ان ينتظر من النازيين دستورا غيرها في المعاملات بينهم وبين أعدائهم أو بينهم وبين القوي والضعيف من حلفائهم ، فربما كان نصيب الاصدقاء أسوأ من نصيب الاعداء ، وتلك عبرة الرومانيين الذين أصيبوا كما أصيب البولونيون ، فكان مصابهم على قدر التمكن منهم ، وكان التمكن منهم على قدر موالاتهم واستعدادهم للموافقة والقبول . فلا فرق بين الصديق والعدو ولا حقوق لهؤلاء أو لهؤلاء اذا اصطدمت الحقوق بمطامع النازيين ، ومن نسي هذه العبرة فقد نسي نفسه وحق عليه النسيان .

***

على مصباح ديوجين

.. رجلان

على غلاف العدد الماضي (١) في « آخر ساعة » صورة رمزية تمثل روسيا في شخص ستالين والمانيا في شخص هتلر وقد وطىء الاول بقدمه على ظهر الثاني والتفت الثاني اليه وهو ملقى على الارض يتوعد بسحق الجيش الروسي في الربيع القادم .. أو الربيع الحاضر الذي بدأ في الحساب الجغرافي منذ اسبوع .

هذه الصورة تلفت النظر الى ناحية تستحق الالتفات في الحرب الالمانية الروسية ، بل هي من أحق نواحيها بالالتفات الطويل ، ونعني بها ناحية الصراع بين الالمان والروس من حيث هو صراع بين رجلين اثنين : أحدهما هتلر ولقبه عند قومه الفوهرر والآخر ستالين ولقبه عند قومه الرفيق .

والواقع أن الحرب الالمانية الروسية هي حرب بمعناها الصحيح ، أو حرب « بحق وحقيق » كما نقول في لغتنا العامية . لانها جمعت من صنوف العداء ما يندر أن يجتمع في حرب واحدة أو في معسكرين متقابلين .

فالمتحاربون بالمعنى الصحيح ، أو المتحاربون « بحق وحقيق» هم الاضداد الذين يقف كل منهم في طرف بعيد عن الاخر ،وهؤلاء هم الالمان والروس في الحرب الحاضرة على الخصوص .

(١) مجلة آخر ساعة ـ العدد ٤٤٣ ـ ٢٨ مارس (آذار) ١٩٤٣ .

وقد يتحارب جيشان بينهما عداوة واحدة أو عداوات قليلة كما حدث في هذه الحرب أو كما حدث في حروب كثيرة ماضية . أما الحرب الالمانية الروسية فهي حرب العداوات كلها من حيثما نظرت اليها أو هي ولا ريب حروب متعددة في نطاق حرب واحدة .

هي حرب بين عنصرين قوميين هما عنصر السلاف وعنصر الجرمان ، وبين هذين العنصرين عداء قديم يرده بعضهم الى ما قبل التاريخ المعروف ، ولا يزال هذا العداء محفوظ الاثر في سجلات التاريخ منذ سمع العالم باسم الجرمان واسم السلاف.

وهي حرب بين مذهبين اجتماعيين أو سياسيين بينهما أشد ما يكون من البغضاء واللدد في الخصومة ، وهما النازية والشيوعية ، وحسبك من هذه البغضاء بين هذين المذهبين أنهما اذا اجتمعا في أمة واحدة فرقاها الى معسكريين لا يتهادنان ولا يتقاربان ولا يقف أحدهما في قتال الآخر دون سحقه والقضاء عليه ، كما حصل أحيانا بين هذين المعسكرين في ايطاليا واسبانيا والنمسا وحصل كذلك فترة من الزمن بين الروس والالمان .

وهي ، اذا نظرت الى المذهب الديني ، حرب بين أمة يدين الاكثرون منها بدين الكنيسة الارثوذكسية وأمة يدين فريق منها بالكثلكة وفريق بالبروتستانتية ، ولا تعرف الارثوذكسية فيها على الاطلاق .

وهي حرب بين موقعين جغرافيين بكل ما في الموقعين الجغرافيين من الاختلاف الذي يؤثر في الطبائع الفردية والاحوال الاجتماعية ، وخلاصة هذين الموقعين أن أحدهما هو أوربا الشرقية وأن الاخر هو أوربا الوسطى. وأنهما لا يزالان يشعران بمضايقة كل منهما للاخر حيث تحرك هذا غربا أو تحرك هذا

شرقا في ظرف من ظروف الحرج أو ظروف الغليان .

وقد ظهر أثر الخلاف بين الموقعين الجغرافيين في الحـــرب الحاضرة ظهورا ملحوظا جدا في خطط القتال وفي القدرة عليه . فخطة العرقلة التي أفادت هتلر في فرنسا ضاعت أو كــادت أن تضيع في مسافات روسيا الشاسعة ، وطاقة الالماني على الثبات والجلد قد تضاءلت أمام طاقة الجندي الروسي كلما أقبل الشتاء وحارب فيه كما تعود أن يحارب في الجليد منذ الوف السنين .

وهكذا تكون الحرب بمعناها الصحيح . الحرب مائة في المائة بغير خليط يشوبها من اخلاط المودة والسلام .

وماذا يقول القائل في هذا الباب أكثــر مما قــال الرمزان القديمان اللذان يمثلان الدولتين ؟

ألا يمثل لنا هذان الرمزان حربا بين الدب ألصق سبــاع الارض بالارض ، وبين النسر الاسود ألصق سبــاع الفضــاء بالفضــاء ؟

فهي حرب بين نوعين من المخلوقات اذا نظرنا الى الرمزين ، وليس أبعد من هذا أبعادا بين الخصوم والاضداد .

***

وكأنما هذا الخلاف كله لا يكفي ولا يحقق العداوة اللازمة بين المعسكرين حتى يظهر من باطنه خلاف آخر بين الزعيمــين كأبعد ما يكون الخلاف بين مخلوقين من أبناء آدم وحواء . فــأي مزاج انساني يخالف مزاج هتلر كما يخالفه مزاج ستالين ؟ وأي رجلين يتضادان كما يقف هذان الرجلان موقف الضدين ؟

اذا قلت انهما شركسي ونمسوي يتقابلان لم تقل الا شيئا يسيرا من ضروب الخلاف هنا وهناك . وقد يتشابه الشركسي والنمسوي بعض الشبه وان اختلف العنصران والخلقان .

ولكنهما في طبائع الناس نموذجان أو نوعان ، يدل النظر الى وجهيهما على مبلغ التفاوت بينهما ، فضلا عن النظر الى السيرة أو النظر الى الاخلاق .

هتلر حماسي مندفع في غرور الحماسة ، يحلو له أن يخدع نفسه كما يحلو له أن يخدع غيره ، ويرضيه أن يتمثل للناس مبعوثا من السماء أو أقنوما من الاقانيم الالهية . فهو «الفوهرر» المعبود أو هو لسان القدر يخاطب العالم من وراء الغيب كما يقول هو أو يقول المشعوذون باسمه .

وستالين لا شيء من ذلك على الاطلاق : ستالين رجل أرضي لا يفارق الارض ولا يحب أن يفارقها . وليس فيه من الغرور الحماسي كثير ولا قليل .

وقد شاءت المقادير أن يبدأ أحدهما حياته نقاشا فيطمح الى مرتبة العبقريين من أهل الفنون ، وأن يبدأ الاخر حياته اسكافيا صانعا بيديه ، فيظل صانعا لا يحسب ان الطموح يخرج به من عداد الصناع .

هتلر يحب الظهور وينتزع لنفسه أكبر المظاهر والالقاب .

وستالين لا يظهر يوما اذا تيسر له الاحتجاب ، وقد لبث من أيام موت لنين الى الايام الاخيرة وهو قانع بوظيفة « سكرتير » الحزب غير متخذ لنفسه صفة علنية من صفات الوظائف الحكومية ولولا ضرورات الحرب في العهد الاخير لظل كما كان منزويا وراء الستار .

هتلر رجل مبتور في حياة الاسرة أو حياة القرابة . لم يشعر قط شعور الاب أو شعور الزوج أو شعور الابن البار بأمه وأبيه .

وستالين أب وزوج وابن وقريب ، ومنذ عهد قريب بعد

وصوله الى منزلته الحاضرة رأينا صحفيا ظريفا يتحدث الى أمه فاذا هي تحدثه عن « سوسو » وطفولة « سوسو » وأقوال « سوسو » عن القديسين ورجال الدين ومنهم القديس يوسف الذي سمي باسمه .

وسوسو هذا هو يوسف الذي لقبوه فيما بعد بستالين ، أي الحديد الصلب لشدة صلابته ومضائه فيما يقدم عليه .

وقد عاش هذا « الحديد الصلب » وهو يشعر أنه هو « سوسو » الصغير عند انسان عزيز عليه ، وهو أمه التي لم يتغير اسمه عندها منذ درج من مهده الى أن جاوز الستين ، ولا تغير اسمه عندها منذ كان تلميذا هاربا من المدرسة الى أن قبض بيديه على مقاليد الامر والنهي في مائة وسبعين مليونا من الآباء والامهات والابناء والبنات .

***

هتلر مغامر ولكنه ليس بشجاع ، ولم يكن للشجاعة الشخصية قط شأن في مغامراته التي صعد بها الى كرسي الحكم في الامة الالمانية ، ولم يتعرض قط لخطر شديد على حياته أو على جوارحه الا افتضح جبنه الدفين وعمد الى الفرار ..

وستالين مغامر ولكنه توسل كثيرا بالشجاعة الشخصية في مغامراته الاولى ، ولا سيما أيام الشباب ، فهجم على القوة المسلحة مرات ، واقتحم طريق الهرب من جليد القطب الشمالي مرات ، وأقام في روسيا مهددا بالقبض عليه ، مهددا بالموت عدة سنين ، ولم يصبر هتلر قط على تهديد خطير كهذا التهديد .

« الفوهرر » يريد عبادا يحيطون بمحرابه ، والرفيق يكفيه أن يكون له رفقاء يطيعونه ، ولا يعنيه أن يطيعوه ، جهرا أو سرا طاعة العباد للأرباب .

« والفوهرر » ذكي لا شك في ذكائه ، والرفيق لا يضارعه في ذكائه ولكنه يفوقه بالدأب والاتزان والسيطرة على الاعصاب .

هذا ابن حاضرة تعوزه المتانة .

وهذا ابن الجبل والريف تعوزه رفاهة الحواضر ويعوضه منها البناء الركين والتكوين المتين .

نموذجان من أبناء آدم وحواء ، بينهما اختلاف عنصرين واختلاف نظامين واختلاف مناخين ، وبينهما بعد ذلك كله ــ وليس هو بالقليل ــ اختلاف مزاجين وطبيعتين .

لو تقابلا في الحياة وجها لوجه لكان الغلب لستالين على هتلر في نهاية الاشواط ، اذا التبس الامر بينهما في أول الشوط .

لان الرجل الذي لا ينخدع يغلب الرجل الذي ينخدع ولو أكسبه الخداع قوة .

ولان الرجل الذي يملك أعصابه يغلب الرجل الذي يفلت منه زمام أعصابه .

ولان الرجل الذي يكمن في الزاوية المستورة يتمكن من مقاتلة الرجل الذي تسلطت عليه الانوار الكشافة .

وقد تغلب ستالين على تروتسكي وهو شبيه بهتلر من بعض الوجوه .

فالرفيق الشركسي من الطراز الذي يغلب الفوهرر « النمسوي » وجها لوجه وندا لند لو تقابلا متنافسين في معترك الحياة .

ولكنهما تقابلا الآن على رأس دولتين، بل على رأس عنصرين ونظامين وجيشين ، فأي الرجلين له الغلب الاخير على صاحبه في هذا النضال ؟

الراجح حتى اليوم ان ستالين هو صاحب الغلب الذي نال من خصمه ولم ينل منه خصمه ولا يلوح حتى الساعة انه ينال منه في الشوط الاخير .

والذي نرجوه في الاشواط المقبلة أن يستمر هذا الغلب حتى تنهزم النازية وتخرج الشيوعية من النضال وقد أدركت من التجارب ، ولحق بها من التعديل والتنقيح ما يسمح بالتعاون الوثيق بينها وبين شعوب الحضارة على تعمير العالم واصلاح ما فات .



لو كنت القائد العام..

عيون الملايين تتطلع الى الافق ٠٠ أين يقع الهجوم القادم (١)، هجوم الحلفاء المنتظر ٠ وأين ومتى يخطو الحلفاء خطوتهم الثانية في الشوط الاخير نحو النصر الذي لا شك فيه ٠

وقلنا للاستاذ عباس محمود العقاد : لو ان الحلفاء عهدوا اليك بمنصب القائد العام لجميع قواتهم فماذا تفعل وكيف تقود المعركة ؟

وقال الاستاذ العقاد : وكم من الوقت تمهلونني لوضع الخطة العسكرية اللازمة ؟

قلنا : ٢٤ ساعة ٠٠٠ فنحن ننتظر المقال غدا صباحا !

***

منذ أسبوعين ــ لا أكثر ــ سألني محرر أديب في آخر ساعة هل تحققت كل أماني شبابك ؟

فقلت له فيما قلت : انني في مبدأ حياتي عندما كنت في الثامنة من عمري كنت أتمنى أن أكون قائدا حربيا يشرف على ميدان القتال .. في فناء المدرسة أو في الحارة التي أسكن فيها والحارات المجاورة ، ومع هذا لم تكن ميولي العسكرية الا فرصة لانشاد بعض أبيات من الشعر على طريقة عنترة في مبارزة الخصوم .

ويظهر أن الصديقة الوفية ــ آخر ساعة ــ حسبت لي هذه المدة الطويلة خدمة عسكرية كافية فرشحتني بعد أسبوعين فقط

(١) مجلة آخر ساعة ــ العدد ٤٥٣ ــ ٦ يونيه (حزيران) ١٩٤٣ ٠

لمهمة من أكبر المهام الحربية في العصر الحاضر وفي جميع العصور، وهي مهمة وضع الخطط الحاسمة للقضاء على قوات المحور في جميع الميادين ، وتنفيذ الرأي الذي اتفق عليه أقطاب الحلفاء بمؤتمر واشنطون ، قبل أن أطلع عليه .

شكرا لهذه الثقة الكريمة ، وردا لجميلها المشكور أبادر الى الدفاع عنها فأقول ان الزميلة الوفية لا تتهم بالمحسوبية والمحاباة من أجل هذا الاختيار الموفق ، وانها لم تخالف المعهود من السوابق التاريخية القريبة أو البعيدة بتعيين رجل « ملكي » لهذه المهمة العسكرية الكبرى . فان الشواهد كثيرة على نجاح « الملكيين » في هذه المهمة بعض الاحايين ولم ينقض ربع قرن بعد على الحملات التي قادها تروتسكي وستالين فغلبا بها القواد المدربين من أمثال فرانجل ودنيكين ، ولا يجهل الناس أن جيوش الثورة الفرنسية غلبت جيوش الدول المتحالفة بقواد لم يمارسوا فن القيادةوجنود لم يشهدوا قبل ذلك ميدانا من ميادين القتال .

ومكيافيلي المشهور ..

مكيافيلي الذي اشتهر بتعليم السواس فنون الدهاء وهو في حياته الخاصة خلو من الدهاء !

مكيافيلي الذي تتلمذ له فردريك الكبير فألف كتابا عجيبا في الرد عليه وأثبت بذلك أنه أبرع تلاميذه على الاطلاق وانه أقدر رؤساء الدول على العمل بنصائحه والاستفادة من دروسه .

مكيافيلي هذا ألم تكن له دروس عسكرية وفنون حربية يستشهد بها الى الان أبناء الفن الاصيل ورجال السيف والمدفع على أصول علم الحرب الحديث .

صحيح ان « قيصر بورجيا » وهو المثل الاعلى للرئاسة عند

مكيافيلي كان يسخر من ذلـك الفيلسوف المسكين ويعرضـه للضحك والمجانة بين أتباعه المتهتكين .

وصحيح ان الفيلسوف المسكين لم يفلح في تنظيم صف واحد من الصفوف التي كان يذكرها في دروسه ويقوم ويقعد بالدعوة الى اقتباسها منه وتدريب القواد على « تركيبها » بين يديه .

لكن ما لنا نحن ولهذا .. وصح هذا أو لم يصح فأي حـرج علينا منه في المهمة الملقاة على عواتقنا ؟

اننا لا نخاف « توريطة » خبيثة كالتوريطة التي وقع فيهـا مكيافيلي حين دعاه الامير الى تنظيم الصفوف أمامه بدلا من الكلام الكثير والالحاح عليه بالتنبيه والتذكير .

فالمسألة لا تتعدى الورق ولا نسمح لها نحن بأن تتعداه .

ـ وفي هذا الميدان ـ ميدان الورق ـ لا تزال العواقب سليمة على كل حال ، ولا تزال « آخر ساعة » بريئة من تهمة المحسوبية والمحاباة . لان الضرر مأمون بحمد الله ، سواء صح تقديرنـا أو طرأ عليه قليل من الخطأ أو كثير .

***

أما تقديرنا الذي نرجو أن يكون صحيحا فخلاصته أن هزيمة المحور مكفولة بالخطة الآتية ، أو بخطة لا تخرج عنها في جملتها :

« أولا » غارات جويـة متواليـة تقوم بها ألـوف الطيارات وتنصب قذائفها قبل كل شيء على وسائل المواصلات ومراكـز حشد الجيوش ثم على المصانع ومخازن التموين .

« ثانيا » تستمر الغارات الجوية فترة وجيزة قبل فتح الميدان الثاني من طريق البر ، ويترك هتلر خلال هذه الفترة حائـرا في تخميناته وتقديراته عن المكان الذي تختاره الجيوش البريـة

للنزول على أرض القارة الاوربية ، مضطرا الى توزيع قواته في كل مكان يتوقع فتح الميدان الجديد فيه ، ويزيده اضطرارا الى هذا التوزيع الذي يضعف قواته انــه لا يستطيع ان يعتمد عـلى النقل السريع بعد تخريب مواصلاته وتسليط الغارات الجوية على بلاده .

« ثالثا » اذا فعلت هذه الفترة فعلها وبلغت ما ترمي اليه من تفكيك الاوصال وتحطيم الاعصاب بدأت حركة النزول الى البر من مكان واحد في الهجمة الاولى مع استمرار المناوشات والمغامرات التي يقوم بها الفدائيون في الوقت نفسه على الشواطىء المختلفة كما صنعوا في ديب Deppe منذ بضعة شهور .

ويجب تفضيل المكان الأول الذي يبدأ منه الهجوم بمزايـا كثيرة تتوافر له ولا تتوافر لغيره .

منها موافقة الظروف المحلية التي نلاحظ فيها ميول السكان ومواقع الرجعة و « حماية الظهر » عند الاقتضاء .

ومنها اتساع الشواطىء المقابلة لحشد الجيوش وسهولـة نقلها بعيدا من مراكز الدفاع الرئيسية عند الالمان والطليان .

ومنها اختيار المكان الذي يمكن أن تتقارب فيه قوات الحلفاء لتشترك في ميدان واحد بعد نجاح الهجوم .

ومنها موافقة الظروف السياسية التي تهم الحلفـاء وتهـم أصحاب البلاد التي يقع الهجوم فيها .

والذي نعتقده نحن أن بلاد البلقان وما جاورها هي أصلح المواضع لتحقيق جميع هذه الشروط .

فمن جهة الظروف المحلية يمكن أن يقال ان الامم البلقانية تتحفز للثورة على النازيين والفاشيين عند أول هجمة فان لـم تسرع الى الثورة فهي على الاقل في حالة من الفتور والاعياء وخيبة

الامل في انتصار الالمان والطليان تمنعها ان تقابل جيوش الحلفاء بالمقاومة العدائيـة . ويرى الخبيرون بشعوب تلـك البـلاد ان الشعب البلغاري أول من يشايع الحلفاء اذا تسلل الى حـدوده جماعة من ضباط الروس على الخصوص ، وان اعتماد النازيين والفاشيين على قواتهم وحدها لصد الهجوم المنتظر لا ينفعهم الى زمن طويل فلا بد لهم من معاونة الشعوب البلقانية وهي مشكوك فيها حتى الآن .

أما الشواطيء المقابلة التي تتخذ قاعـدة لحشد الجيـوش وامدادها فهي أوسع ما تكون على مقربة من البلقان لانها تمتد من سورية الى افريقية الشمالية ولا يخشى على الحلفاء عداء من ناحية الشواطيء التركية الباقية ، ان لم نستطع الان أن نقول أكثر من ذلك .

وفي البلقان يمكن أن تتعاون جيوش الدول الديمقراطيـة وجيوش الروس متى تقدم الهجوم من الشرق والجنوب وشايعه على التقدم شيوع الانتقاض والتمرد في أوربا الشرقية الجنوبية وأوربا الوسطى ولا يوجد موقع في القارة كلها هو أولى بالاضطراب وأقدر عليه من هذا الموقع الذي تدرب على الثورة والانتقام منذ عهد بعيد .

أما الظروف السياسية الملائمة للحلفاء جميعا ولتركيـا والشعوب البلقانية معها فهي في اعتقادنا تقضي من الآن بمنـع الدسائس والمنازعات التي يحتمل أن تخلفها الدعاية النازية كلما طال مقام النازيين في تلك البقاع المعرضة للفتن وتعدد الاغراض.

فاذا حفظت تلك البقاع بين أيـدي الحلفـاء جميعا الى أن يتقرر مصيرها في مؤتمر السلام على حسب النظام الجديد فذلك أسلم من تركها زمنا آخر في أيدي الالمان والطليان .

لهذا نفضل الابتداء بفتح الميدان الجديد في البلقان على فتحه أول الأمر في الشواطىء الاوربية الاخرى .

ومتى اقترنت الهجمة الاولى بالنجاح فمن الواجب أن تتبعها من الغرب هجمات اخرى هنا وهناك يتركز أهمها وأعظمها على أقرب مكان من الحدود الالمانية نفسها ، ويحين أوانها كلما بدرت من البلاد المحتلة في أوربا الغربية بوادر الثورة والتخريب وتحقق الالمانيون أنفسهم من ضياع الامل وتفضيل التسليم على المقاومة التي لا يجنون من ورائها غير البلاء المضاعف والقصاص العنيف .

***

كل خطوة من هذه الخطوات ممكنة ومعقولة من وجهة الفن العسكري بغير خلاف .

فقد كان الخلاف كبيرا بين النقاد العسكريين الى سنة مضت على امكان فتح الميدان الجديد .

وكان أناس من المفتونين بالعسكرية البروسية يظنون أن نزول الجيوش المغيرة على البر من طريق الماء وطريق الهواء مجازفة نادرة يحتكرها النازيون لقلة اكتراثهم بالارواح والمعدات الحربية ، ولا تقوى عليها الجيوش الاخرى .

وكان أولئك المفتونون يعتقدون بعد احتلال كريت أن الالمان يأخذون بهذه الوسيلة ولا يؤخذون بها فمن الجائز في رأيهم ان ينتزع الالمان مكانا بانزال الجند من السفن والطائرات، ولكن ليس من الجائز أن يعسكروا في ذلك المكان زمنا ثم يجليهم المغيرون من طريق الماء والهواء .

لكنه وهم كسائر الاوهام التي راجت بعد انتصار النازيين

الاول ثم أخذت في التبدد والتهافت بعد هزيمتهم ـ أو ركودهم ـ في جميع الميادين .

وقد سقطت هذه الخرافة سقوط الابد يوم انتزع الروسيون شبه جزيرة كيرش من قبضة الالمان باقتحام الموقع من البحر بمعاونة قليلة من ناحية الهواء .

ولا شك أن الالمان يستطيعون تحصين شواطىء البلقان بأقوى من تحصيناتهم التي دافعوا بها عن شبه الجزيرة ، ولا يمكن أن يقال أن السفن التي تيسرت للجيش الاحمر في البحر الاسود لا تتيسر للجيوش المتحالفة حول الشواطىء البلقانية .

فلا خلاف في امكان فتح الميدان الذي تتولى فيه الهجوم قوات من الدول الديمقراطية وتتولى فيه الدفاع قوات من الالمان والطليان .

وعندنا نحن أن امكان ذلك أيسر وأقرب الى تحقيق الغرض الحربي والسياسي من جانب الشواطىء البلقانية على أن تتبعها هجمات ومناوشات على كل شاطىء يتأتى النزول فيه .

***

ومع هذا أرجو للقائد الذي يفضل أن يقهر المحور بخطة هجومية غير هذه الخطة توفيقا خالصا لا يشوبه حسد الزمالة وتنافس الآراء .

وأرجو أن يعلم القراء أن المراجع التي ندبتني لقيادة الغزوة لم تمهلني أكثر من أربع وعشرين ساعة.. وهي عشر المدة التي قضاها أقطاب الانكليز والامريكيين والروس في مؤتمر واشنطون قبل التفاهم على قرار ، فمن الانصاف ألا يفوتهم هذا الفرق في التحضير .

مُوسُولِيني

سقط موسوليني (١) ..

سقط في امتحان الحقائق الخالدة .

أو نقول باللغة التي كان يحبها أنه سقط في امتحـان القوة الصحيحة ، لانه كان يتحدث باسم القوة ، ويؤمن بدين القوة ، ويملأ الآفاق دويا ثم لا ترى له طبولا يدق عليها غير طبول القوة.

فلما وجب أن يكون قويا حقا اذا هو من القوة خواء خلاء ، واذا هو « فزاعة » تخيف الناظر من بعيد ، وكل ما فيها على القرب خرق وهلاهيل .

سقط موسوليني في امتحان القوة الصحيحة .

وقديما كان نجاحه كله في امتحان المظاهر الكاذبة ،والظروف العارضة ، والمصـادفات المرهونة بأوقاتهـا ، حتى أصبح هو نفسه مصادفة مرهونة بوقت من الاوقات ... فلما جاء الوقـت الذي هو مرهون به سقط الى الهاوية .. وكان سقوطه عظيما .

بل كان سقوطه حقيرا ...

***

وكان يقال ان موسوليني وصل الى مناصب الحكم ليدفـع الخطر الاكبر عن بلاده ، وهو خطر الشيوعية بعد الحرب العالمية الماضية .

---

(١) مجلة آخر ساعة ـ العدد ٤٦١ ـ أول أوغسطس (آب) ١٩٤٣ .

وهذه اول اكذوبة من الاكاذيب الجوفاء التي عاش بهـــا موسوليني ، أو عاش بها نظـام موسوليني ، الى أن مات بها في الحرب الحاضرة .

فالشيوعية لم تكن خطرا كبيرا في البلاد الايطالية يوم وصل موسوليني الى مناصب الحكومة .

بل كانت خطرا يزول ويوشك أن يسلم النفس الاخير .

وكان الشيوعيون الذين استولوا على المصـانع يتركونها مصنعا بعد مصنع ويعلنون عجزهم عن ادارتها .

وكانت الحالة العامة تميل الى الهدوء والاستقرار ، وكانت الوزارة تطلب من الملك اعلان الاحكام العرفية لتصفية الموقف كله ببعض الاجراءات الاستثنائية التي لا بد منها للانتقال من حالة القلق والاضطراب الى حالة النظام والسكينة .

فعلم موسوليني ان الفرصة ضائعة منه « الى الابد » اذا هو لم يسرع الى انتهازها .

وان الحالة اذا هدأت واستقرت فقد زالت حجته التي يعتمد عليها وأصبح من المشـكوك فيه جدا أن يظفـر بحجة مثلها في فرصة قريبة .

فوثب الى كرسي الحكم ، ووصل اليه ، وما زال متربعا عليه حتى دفع بايطاليا الى الخطر الاكبر الذي لا ريب فيه ، فتركها وهي بغير طرابلس وبغير ارتريا وبغير الصومال ، بل تركها وهي مهددة في عقر دارها تنتظر قضاءها على أيدي الاصدقاء وعلى أيدي الاعداء .

ولم يكن كافيا أن يطمع موسوليني في الحكم ليصل اليه .

وانما هي مصادفة أخرى من مصادفات الحوادث خدمتــه وعجلت بوصوله الى مناصب الحكومة .

فان الشيوعيين كانوا ــ برعونة تدبيرهم ــ قد أغضبوا الملك وأغضبوا الجيش وأغضبوا الكنيسة بغير فائدة مرجوة ولغير حكمة معقولة ، فضلا عن اغضابهم الطبقات العليا والطبقات الوسطى التي يعلنون الثورة عليها .

دخل الملك الى البرلمان ليحضر جلسة الافتتاح فوقف النواب الشيوعيون والاشتراكيون جميعا يهتفون بنشيدهم المعروف ثم خرجوا واحدا واحدا من قاعة البرلمان والملك واقف بالانتظار .

فغضب الملك .

وعاد الضباط من ميادين الحرب فتلقاهم الشيوعيون في الطرقات ينتزعون من صدورهم الاوسمة ويرمون بها في التراب، وينكسون الاعلام المرفوعة ثم يمزقونها ويطأونها بالاقدام ، وتعزف الموسيقى بالاناشيد الوطنية فيقابلونها بالاناشيد التي تحقر الوطن وتنكر كل مقدس فيه .

فغضب الجيش .

وأصبح القسس عرضة للاهانة في كل طريق ، وأصبحت المعابد عرضة للهجوم عليها في المواسم والاعياد ، وأصبحت العبادة جريمة لا يأمن جانبها من عقاب أولئك الشيوعيين .

فغضبت الكنيسة .

واذا غضب الملك ، وغضب الجيش ، وغضبت الكنيسة ، ووقف الشعب محايدا على أقل تقدير ، فلا حاجة بموسوليني الى قوة خارقة لانتهاز هذه الفرصة والانتفاع بهذه المصادفة .

وقد كان ، وانتفع بهذه المصادفة وبما تلاها من المصادفات، وتخايل بمظاهر السطوة حتى انخدع فيه من ينخدعون بكل ظاهر وتردد على ألسنة السخفاء في كل أرض أن الفاشية هي أحدث

«المقويات» القومية ، وانها علاج للشعوب الضعيفة ليس مثله عــلاج .

فاليوم ما هي الفاشية في امتحان الحقائق الخالدة ؟

هي فشل في القوة العسكرية لأن جنودها يهربون قبل اللقاء، وفشل في القوة السياسية لانها تركت ايطاليا شرا مما كانـت عليه ، وفشل في القوة الاخلاقية لانها سلبت الشعب حقــوق التفكير والانتقاد وعودته الخنوع والاستسلام .

وهي أكذوبة جاءت بها مصادفة وذهبت بهامصادفة ،وبقيت مرهونة بوقتها الموعود حتى حان ذلك الوقت الموعود : وهو وقت القوة الصحيحة .. فاذا هي من القوة الصحيحة خواء وخلاء .

امندولا المنتظر

لما طالعتنـا الصحف في صبـاح الاثنين الماضي باستقالـة موسوليني لم تفاجئنا بخبر رائع غير منظور .

وانما كانت المفاجأة كلها أن الخاتمة المنظورة تقدمت بعض الاسابيع أو بعض الايام .

لان موسوليني كان ساقطا ساقطا لا تنجيه من السقــوط حيلـة .

وكان نظامه على سرير الموت في مرض الوفاة ، فاذا مات اليوم أو بعد أيام فالفرق في الحالتين غير بعيد .

وقرأت الخبر الذي توقعته منذ قامت الفاشية الايطاليـــة قومتها الاولى .

فوالله ما اتجه ذهني الى موسوليني وهو كاسف مكروب ، ولا الى العاصمة الرومانية وهي قائمة قاعدة بين الدولتين ، ولا الى العالم وهو يشيع ذلك الشيطان الرجيم باللعنات ويطيـــل

الحديث في تأويل هذا الحادث الذي له ما بعده . وما بعده مجال متسع للحديث .

كلا ! لم يتجه ذهني الى شيء من ذلك وأنا أقرأ أخبار هذه الخاتمة المنظورة .

وانما اتجه ذهني الى بقعة مهملة في مكان مهجور ،ومن يدري ماذا أصابه الآن وماذا حل به على أيدي موسوليني وأتباعه وهم ما هم من حثالة الخلق التي لا تتورع عن نذالة ولا تعرف حرمة قط لقداسة من القداسات ؟

اتجه ذهني الى بقعة مهملة في مكان مهجور عند شاطىء مدينة « نيس » الفرنسية التي احتلتها الجيوش الايطالية .

الى قبر « امندولا » العظيم .

الى قبر البطل الذي تغلب عليه موسوليني كما يتغلب الانذال على الابطال .

لقد كانت يد موسوليني حمراء بدم « ماتيوتي »يوم كان امندولا Amendola يجترىء على سلطانه ويستهزىء بجنوده وقمصانه ، ويعلم انه ميت في عنفوانه .

وكان امندولا هذا خطيبا جريئا وكاتبا أديبا ووزيرا سابقا للمعارف في عهد الحكومة النيابية ، فوقف لموسليني كالشوكة في حلقه لا يخضع للقوة ، ولا يذعن للاغراء ، ولا يرجع عن النقد والتشهير .

فأرسل اليه موسوليني طائفة من أتباعه يعتدون عليه وهو وحيد ، وظفروا به متفردا فضربوه وما زالوا يضربونه حتى ظنوا انهم قضوا عليه . فتركوه ليموت .

وكانوا قد برحوا به حقا ولكنه لم يمت في يوم الاعتداء عليه ، بل لبث بعد ذلك حتى استطاع الفرار الى فرنسا ،ومات

في أثر الجراح التي نزفت والضربات التي حطمت ضلوع صدره .

وكان آخر ما أوصى به أن يكتبوا على قبره هذه الكلمات الحية التي لا ينساها من عرف قصتها :

« هنا يعيش امندولا .. منتظرا »

أي نعم منتظرا يعيش في قبره ، ويا له من انتظار طال ،ولكن الى مآل .

اتجه ذهني الى ذلك « المنتظر » لانه أولى الناس أن يذكره الذاكرون وقد حانت اللحظة المنظورة منذ عهد طويل .

لو نهض ميت بخبر من الاخبار لكان « امندولا » اليوم أول الناهضين ومعه كثيرون .

معه كل قتيل مظلوم ، وكل معذب في ظلمات السجون . وكل ميت في دار غربة وكل حر كريم مات وهو كظيم ، وكل ضحية من ضحايا الطغيان الذي خيل الى الناس أنه لن يزول .

وقد زال !

أي والله يا امندولا العظيم

لقد انتظرت ، ولقد انتصرت حيث انهزم العادون عليك ، وآية انتصارك انك لا تبادلهم ما يلقونه الان من غصص الخيبة ولعنات الافواه .

انك ودعت الحياة وأنت تنتظر شيئا تعيش به في ظلمات القبور .

فماذا ينتظر اليوم موسوليني وهو بقيد الحياة ؟

لا شيء .. قط لا شيء

وكل ما هنالك فراغ بعده فراغ ، ويأس بعده يأس ،وحياة خير منها القبر ، وقبر خير منه الجحيم .

السراب !!

في مثل هذه الايام من السنة الماضية كان موسوليني يحوم على أطراف الصحراء المصرية كما تحوم الضبع على أطراف الخراب .

كان ينظر من السلوم الى ربوع الاسكندرية ، ومآذن القاهرة ، ويمني النفس بالدولة الرومانية .

سراب . سراب !

بل أعجب سراب شهدته عين انسان على رمال تلك الصحراء ، لانه السراب الذي غرق فيه ، فخدعه في الشراب ولم يخدعه في الغرق وهو حقيق منه بذلك الخداع وحقيق منه بهذا الصدق الذي لا خداع فيه .

وليس أليق من السراب بخاتمة دجال .

وليس في الدنيا كلمة واحدة نشيع بها اسم موسوليني تشييع الصفة للموصوف هي أصدق وأعدل من هذه الكلمة .

فموسوليني الطاغية وصف صحيح ولكنه ظلم للطغيان لأن الطغيان لا يخلو في بعض حالاته من بأس نافع ونية محمودة .

وموسوليني الداهية وصف صحيح ، ولكنه ظلم للدهاء لأن الدهاء قد ينطوي على الصدق وسلامة المقصد وحسن التدبير .

وموسوليني المغامر وصف صحيح ولكنه ظلم للمغامرة لأن المغامرة لا تستلزم الضرر والاساءة وتسخير الناس في غير جدوى .

أما الكلمة الواحدة التي تصف موسوليني وصفا لا نقص فيه ولا تعقيب عليه فهي كلمة التاريخ التي لا فرار منها ، هي

الكلمة التي ستقال على ممر الاجيال ، فيعرف بها « موسوليني الدجـال ! »

والان الى أين قبل مرحلة التاريخ ؟

الى اعتقال يتلوه تسليم ، وتسليم تتلوه محاكمة انسانية تشترك فيها « الحرية الايطالية » يوم يكون لهذه الامة نصيب من الحريـة .

أما مصير ايطاليا نفسها فمن المحقق عندنا أن موسوليني لم يعتزل الحكم لانه كان عقبة في طريق الحرب ، ولكنه اعتزل لانه كان عقبة في طريق السلام .

فالسلام هو المقصود .

ومعنى اعتزال موسوليني أن الحكومة الايطالية الجـديدة تنوي أن تعرض التسليم على الحلفاء ، ولا خلاف في هذا عـلى فرض من الفروض المعقولة .

وانما الخلاف في موقف الالمان من الحكومة الجديدة اذا هـي تقدمت بطلب الصلح في الآونة الحاضرة .

فهل يمنعونها ويقبضون على زمام الحكومة الايطالية علانية كأنها دولة ملحقة أو ولاية محمية .

أو هل يتركونها تطلب الصلح وينسحبون من الميدان ؟

وان لم يصنعوا هذا أو ذاك فماذا ينتظرون وأي أمل لهم في الارجاء والتسويف ؟

أما الذي يصنعه الالمان فلايزال مجهولا ولا يبعد ان يرتكبوا فيه الخطأ ولا يسلكوا فيه المسلك القويم الذي تشير الحـوادث اليـه .

فكل ما عندنا من وسائل النظر الى المستقبل أن نسأل عن

العواقب في كل حالة من هذه الحالات ، ونهتدي من هذه العواقب الى الخطة التي يختارها الالمان لو سلكوا في سياستهم مسلك الصواب .

فالقبض على أزمة الحكومة الايطالية يخلق للالمان تعقيدات سياسية وادارية يصعب عليهم حلها والخلاص منها ، ويجعل البلاد الايطالية ميدان قتال جديد يحاربهم فيه الشعب الايطالي والجيش الايطالي وقوات الحلفاء التي تغير على البلاد بمساعدة أهلها ، وأقل ما يستلزمه ذلك ان يشغل من الجيوش الالمانية ثلاثة ملايين مستعدين للمقاومة في جميع انحاء البلاد .

أما التخلي عن الميدان الايطالي فجأة فهو تضييع للجنود الالمانية التي لا تزال هناك أو في ألبانيا وما جاورها من بلاد اليونان والبلقان .

فأسلم الخطط المفتوحة بين يدي الالمان هي خطة التسويف الى أن يتاح لهم سحب جنودهم وتحصين حدودهم واستبقاء صداقتهم للحكومة الجديدة ليأمنوا غدا أن تغدر بهم وتعلن الحرب عليهم ، ولن يطول أجل هذا التسويف أمام ضغط الحوادث المتوالية من الخارج والداخل ، لان الموقف يستدعي البت السريع بين سياسة التخلي عن ايطاليا وسياسة القبض على زمام الحكومة فيها .

ويبدو لنا ان الحكومة التي تقوم اليوم في ايطاليا ستفسح الطريق لحكومة غيرها من العناصر الديمقراطية ، ولم يحن الآن وقتها لأن قيامها سيعتبر على الأثر قطعا للعلاقات بألمانيا وتمهيدا لاعلان الحرب عليها .

لقد كان موسوليني في الثالثة عشرة من عمره مدرسا في

احدى القرى فكتب الى مدير الاقليم يقول له انه يحفظ النظام بين التلاميذ بالاساليب الادبية « لان كل نظام يفرض قهرا غير حقيق باسم النظام » .

ولولا ان الكذب طبيعة في هذا الدجال لآمن بتلك الحقيقة فسلم من هذه العاقبة وسلم العالم منها ، ولم يكتب عليه ان يضرم كل هذه الحروب ويسفك كل هذه الدماء ليقيم البرهان على كلام عرفه — وهو دون العشرين — بغير برهان .

***

هتلر .. وجحا

قنبلة هتلر الأخيرة(١) لا يبعد أن تكون أكذوبة موقوتة باليوم والساعة والدقيقة ، لانها جاءت كأنها « موصى عليها » تحت الطلب في ساعة الحاجة اليها .

ولكنها على كل حال دخان بنار ، بل دخان يخفي من اللهب الساطع ما يخجل البراكين .

ويدعونا الى الشك في « صحتها » انها تعطي النازيين كل المعاذير التي كانوا ينتظرونها في الاونة الحاضرة ، وانهم كانوا لا يستطيعون بغيرها ما يستطيعونه الان .

فقد كانوا يشعرون بروح التمرد التي تسري في الجيش وفي الشعب من ورائه ، ويعلمون ان بقاء المشكوك فيهم بين ضباط الجيش مع اقتراب الروسيين من بلادهم وضغط الحلفاء عليهم، خطر كبير يهددهم بين لحظة وأخرى ، فمن اللازم الضروري لهم أن يخترعوا الذريعة العاجلة للتخلص من أولئك المتمردين ومن كل انسان يشكون فيه ولا يضمنون اخلاصه « مائة في المائة » .

وهذه القنبلة تعطيهم الذريعة المطلوبة في أوانها المقدور ، ولهم سوابق مثلها من بداية حكمهم لا تغيب عن الذاكرة ، ويكفي أن نذكر منها حريق الريشستاج وحمام الدم الذي قتل فيه ألوف من النازيين المقربين .

---

(١) مجلة آخر ساعة _ العدد ٥١٢ _ ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٤٤ .

ولهم فائدة أخرى من هذه المناورة ــ ان صح انها مناورة ــ وهي اغراء الحلفاء بالتواني في تحضير السلاح والذخيرة وتدبير خطط القتال اطمئنانا الى قرب العاقبة في المانيا واحتمال تسليمها السريع ، فلا موجب اذن لتجديد التوصيات بصنع السفن والطيارات والدبابات وغيرها من أدوات النصر التي يخافها النازيون ، وقد فطن الروسيون لهذا الغرض فبادرت صحيفتهم «برافدا» تقول : « ان مصير ألمانيا يكتب في ميادين القتال .. وان كان الصراع من أجل الحكم في ألمانيا يعجل بالكارثة ويدني أجل انتهاء مقاومتها » .

ومن الفوائد التي يجنيها النازيون بأمثال هذه المناورات انهم يضعفون الحماسة في الولايات المتحدة لاعادة انتخاب روزفلت وابقاء حزبه في مناصب الحكومة ، لان الحجة الكبرى التي يحتج بها دعاة انتخابه ، ان قيامه برئاسة الجمهورية لازم ما دامت الحرب قائمة ، وتضعف الحاجة اليه اذا دخلت الحرب في دورها الاخير .

وهذا كله عدا الاستطلاع واختبار مجرى التيار في بلاد الحلفاء وبلاد العالم أجمع مما يقال أو يكتب فيها على أثر هذه المناورة ، وعدا الفرصة التي تتاح للفوهرر وأذنابه للتحدث عن العناية الالهية ورعايتها « لمبعوثها المختار » في أحرج الاوقات « وتفاهمها » معه على الانقاذ والنجاة من هذه النكبة ومن كل نكبة يخشاها الفوهرر ويخشاها الريخ المقدس بعد الان .

فاذا بلغ النازيون هذه الاغراض جميعا بقنبلة ــ ذات ميعاد ــ فالقنبلة حاضرة ولو قتل بها عشرات من الابرياء ،ولكنها مع هذا لم يقتل بها غير اثنين أو ثلاثة لا يبالون بهم أقل

مبالاة ، وهو أمر عجيب يدعو الى مزيد من الشك والسؤال .

وسواء كانت هذه القنبلة من تدبير الفوهرر لاغتيال اعدائه أو من تدبير أولئك الاعداء لاغتياله فها هي الهرة قد فغـــرت فاها لتأكل أبناءها ولا تشبع من هذه الوجبات المشؤومة ، حتى تقع في الانشوطة التي لا محيص لها عنها ، وستقع فيها لا محالة عما قريب .

وهذه هي عبرة الطغيان وأعوانه في كل زمان ومكان .

لا بد أن يلقى جزاءه على يديه وعلى يدي أقرب الناس اليه، ولا بد ان ينقلب على نفسه كلما تمادى في القوة والجبروت .

كم من الديمقراطيين والاشتراكيين قتل النازيون ؟

كثير أو قليل .. ولكن الامر الذي لا شك فيه انهم قتلوا من أعوانهم وسيقتلون منهم بعد اليوم اضعاف اضعاف من قتلوهم من الديمقراطيين والاشتراكيين .

فلا حاجة لاشباع أولئك الموتى بالتحفز لانتقام أو قصاص، فان الاحياء من أعدائهم النازيين ساهرون في خدمتهم ومتكفلون بتقدير العقوبة على قدر الجناية وبترتيب الجناة واحدا بعـد واحد في الآجال والاهوال .

وليس نصيب هتلر وجورنج وجوبلز وريبنتروب وهملـر بأسعد من نصيب زملائهم وشركائهم في جريمتهم الكبرى .

انما اللاحقون شر في هــذه القسمة مــن السابقين لانهــم يحملون أعباءهم واعباء السابقين أجمعين .

وهكذا يسلط الله هتلر على نفسه وعلى أقرب الناس اليه ، بعد أن سلطه على « كرة أرضية » تموج بالمغفلين والسخفاء ، لان قيام معتوه كهذا على سلطان طويل عريض يسوق بهالشعوب على الشعوب ويضرب بــه الجيوش بالجيوش لــن يتأتى بغــير

التغفيل والسخف في « كرة أرضية » أو في ألعوبة شيطانية تستحق ما أصابها من جزاء .

ابقوا أيها المغفلون والسخفاء على متن هذه الكرة الارضية التي يلعب بها أمثال هتلر المعتوه وجوبلز المشوه وجورنج معاقر الافيون والمورفين .

ابقوا على متنها معشر المغفلين والسخفاء .. فوالله ليخيل الينا انها لو طرحت عنها حمولتها من أولئك المغفلين والسخفاء لخفت وزنا وطارت من الخفة في أجواز الفضاء .

فكم من هؤلاء كانوا على متن الارض يؤمنون ايمان الاعمى الاصم أن هتلر لا يفوته شيء ، وأنه قد حسب الحساب لكل شيء ، وأنه بحسابه هذا الذي لا يخطىء فتيلا ولا قطميرا قادر على كل شيء ؟

فماذا حسب هتلر من الحساب لمصيره في هذه الايام ؟

ماذا حسب لنفسه ؟ وماذا حسب لحزبه ؟ وماذا حسب لالمانيا والالمان ؟ وماذا حسب للعالم وبني الانسان ؟

حساب جحا بغير خلاف كبير

ــ الى أين انت ذاهب يا جحا ؟

ــ الى السوق .

ــ لماذا يا جحا ؟

ــ لشراء حمار

ــ قل ان شاء الله يا جحا ..

فغضب جحا وقال : ولماذا « ان شاء الله ؟ » الثمن في جيبي والحمار في السوق .

وضاع الثمن الـذي في الجيب ، وبقي الحمار في السوق ،

ورجع جحا بمفرده ولكنه لم يرجع بغير حمار ..

وهكذا حسب هتلر في أيام حكمه حساب كل شيء ، فالدبابات والطيارات في الجيب والعالم موجود ، فما الذي يحول بينه يا ترى وبين السيادة عليه ؟

لا شيء « في حساب » هتلر

وكل شيء في حساب القدر وحساب العقلاء .

والعجيب ان هتلر هذا الذي « يحسبه » المغفلون والسخفاء معجزة الحساب الصحيح في تقدير الامور هو في الواقع أفشل الساسة حسابا لكل أمر خطير .

فحسب ان الانجليز لا يحاربون ولا يصمدون فحاربوا وصمدوا وهو محوط بمن يطلبون التسليم .

وحسب أن الامريكيين بمعزل عن الطامة الاوربية فاذا هم أصحاب أكبر الجيوش فيها .

وحسب أن دخول اليابان في الحرب يفيده فاذا هو أكبر الكوارث عليه ، بما ساق اليه من عداوة الامريكيين والصينيين .

وحسب أن غزوة الروسيا رياضة شهرين أو ثلاثة أشهر فاذا هي قاصمة الظهور .

وحسب أن الحرب تكون « خاطفة » باختياره فاذا هو يتمنى الان ان تطول أكثر من خمس سنوات ، أو يخرج منها بجلده وهو غير مخطوف .

وحسب أن الديمقراطية نظام شائخ يتداعى من الوهن عاما بعد عام فاذا هي نظام وليد ناشىء ينمو مع الأيام وينتقل من نطاقه المحصور الى نطاق العالم الواسع الرحيب .

وحسب أن سيادة العالم وراثة دولة عن دولة فاذا بالحاضر

والماضي معا يؤكدان له ـ ان كان يفقه التوكيد ـ ان سيادة العالم لم تكتب قط لدولة من الدول في عهد من العهود .

فلا المصريون ولا البابليون ولا الرومان ولا الفرس ولا العرب سادوا العالم يوم كان العالم شاطئين حول بحر الروم ، ولكنهم كانوا ينقسمون على أنفسهم اذا سلموا من عداوة الاجانب والغرباء . فسيطرة الالمان أو السكسون أو الصفر أو السمر أو البيض على عالمنا الحديث الذي يجمع البحار والقارات هو حلم معتوه ضاق به المارستان واتسعت له دار الحكم في برلين .

مسكين هتلر فاتح باريس ..

ومسكنته على أبواب باريس أعظم من مسكنته وهو يتسكع على الابواب في فينا ليملأ وعاءه من حساء الكرمب والخبز الاسود في مطاعم الصدقة .

لانه مقامر غامر بكل شيء وأفلس من كل شيء في مدى بضع سنوات ، وكم من مقامرين عاشوا العمر قبل أن يصلوا الى هذا الافلاس .

والرجل الذي وضع رأس ماله كله في القنابل سعيد والله لو استبقى له من كل رأس المال قنبلة واحدة تطير به جدا أولعبا من هذه الدنيا ، كما طارت ببركته اشلاء الالوف والملايين .

***

السلام العالمي

يتحقق السلام العالمي (١) اذا تحققت قبلـه مصلحة عالمية مشتركة وكانت الحـرب ـ وان ضـاق نطاقهـا ـ مضرة بهذه المصلحة ضررا تشعر به كل أمة قريبـة أو بعيدة من ميادين القتـال .

وفي إعتقادنا أن هذه المصلحة العالمية آخذة في التحقق عامـا بعد عام ، ومن مظاهرها البارزة تبادل الصادرات والواردات بين أبعد الامم بعضها عن بعض ، وتوقف الصناعات في أمـة على الخامات في أمم أخرى ، وارتباط العملة بين الدول برباط وثيق قد جعلها قابلة للتأثر صعودا وهبوطا بمؤثرات واحدة ، وهذا مع اشتباك المواصلات البرية والبحرية والهوائية في كل قطـر وفي كل قارة ، الى غير ذلـك مـن العوامـل الادبيـة والنفسية التي أوشكت أن توحد بين أبنـاء العالـم الانساني في الشعور كما وحدت بينهم في وجهات المصلحة والسياسة .

ومن دعائـم السلام العالمي في اعتقادنـا شيوع الحكـم الديمقراطي بين الامم الكبيرة على التخصيص .

لان الحكم الديمقراطي ينزع السلطان من الافراد الطامعين ويرده الى الشعوب أو يجعل لهذه الشعوب رأيا لا يمكن اغفاله

---

(١) مجلة روز اليوسف ـ العدد ٨٤٧ ـ ٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٤ .

قبل اعلان حرب من حروب العدوان ، وليس من عادة الشعوب أن تخف الى الحرب كما يخف اليها جبابرة المطامع وطلاب المجد الكاذب بسفك الدماء واستباحة حقوق الضعفاء .

وتتجلى هذه الحقيقة الهامة أوضح جلاء في مراجعة تواريخ الحروب الكبرى في القرن الماضي والقرن الحاضر . فانها على اختلاف البلدان قد نشبت جميعا بفعل الدول الدكتاتورية وتدبيرها الخفي أو الصريح ، ونذكر منها حرب روسيا واليابان وحروب نابليون وحروب المانيا في عهد بسمارك وحروبها في عهد فردريك الكبير ، وجميع الحروب التي نشبت في أوربا الشرقية بين الروس والترك والنمسويين .

فانتشار الديمقراطية « مصل واق » من الحروب أو مخفف للاصابة بها ولو بعض التخفيف ، وشيوعها في العالم ينصف الامم الضعيفة كما ينصف الافراد الضعفاء .

ومن دواعي السلم العملية ارتفاع مستوى المعيشة في بلاد العالم بأسره سواء منها القوي والضعيف .

لان هبوط مستوى المعيشة في بعض البلاد سبب منأسباب الاستعمار والاحتكار ، اذ يرى أصحاب الاموال في الدول الكبرى مجالا لاستغلال أموالهم في البلاد التي يقنع فقراؤها بالقليل من الاجور ويستكينون الى معيشة الكفاف ، أما البلاد التي يتقاضى عمالها الاجور الحسنة فليس فيها مطمع للمستعمرين ولوضعفت عن حماية نفسها بقوة السلاح .

ولا بد قبل استقرار السلام العالمي من فتح جميع الاسواق على السواء لجميع الصادرات بغير تمييز بين بضاعة وبضاعة الا بمزية الجودة أو رخص الاثمان .

فمناطق النفوذ التجارية ضريبة على السلم العالمي لا يسلم

منها فترة من الزمن حتى ينكب بها نكبة فجائية تمحو أثر السلامة الى زمن طويل .

وقد يتبين بالاختبار لاصحاب الصناعات الذين يميلون الى احتكار الاسواق أن الحروب التي يؤدي اليها ذلك الاحتكار تجر عليهم من الخسائر الفادحة ما يربى على كل ربح يطمعون فيه من وراء تغليب النفوذ السياسي والحربي على ميادين التجارة والأخذ والعطاء ، وأن تغليب هذا النفوذ يجني عليهم في النهاية لانه يقعدهم عن تجويد مصنوعاتهم والتفوق على غيرهم بالاتقان والمزية الفنية فلا تغنيهم القوة القاهرة طويلا ولا يلبثون أن يخسروا السوق متى زالت عوامل الاكراه ، ولا بد أن تزول يوما من الايام .

***

أما الاداة العالمية التي يتحقق على يديها تقرير السلم بين الامم فالخلاف عليها كبير .

بعض المفكرين يقترح تعميم نظام الاتحاد الدولي على مثال الاتحاد القائم في الولايات المتحدة الامريكية .

وبعضهم يقترح جيشا عالميا كبيرا يتولاه قواد مسئولون بين يدي عصبة الامم ليفرض العقوبات فرضا على كل دولة تبادىء غيرها بالعدوان .

وبعضهم يقترح تعزيز هيئات التحكيم على مثال محاكم السلام التي عرفت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وكل هذه المقترحات فيما نرى قاصرة عن بلوغ الغرض المطلوب ، لان اتحاد أمم العالم جميعا على النحو المعروف في الولايات

الامريكية أمر بعيد ، واذا وجد في العالم اتحادان أو ثلاثة أو أربعة فليس وجودها على هذه الصورة مانعا أن تقع بينهما الخصومات والمنازعات التي تؤدي الى الحروب ، وكل ما يتأتى تحقيقه من هذا القبيل ان تتألف في العالم هيئة دولية تقوم بتنظيم المسائل المشتركة التي تقبل التنظيم على هذا المنوال ، كمسائل العملة والمواصلات وحدود التسليم وقواعد التصدير والتوريد، وهي ولا ريب عظيمة الاثر في منع القتال وتوطيد السلام .

أما تزويد عصبة الامم بجيش كبير يطيعها ولا يطيع الدول التي ينتمي اليها رجالها فليس بالمعقول ولا هو بالقابل للتنفيذ ، ما دامت الاوطان قائمة وما دام الناس يلوذون بأوطانهم ويطيعون حكوماتهم قبل أن يطيعوا عصبة الامم وينفصلوا في سبيل طاعتها عن روابط الوطن والآل والعصبية الجنسية .

وأما هيئات التحكيم فهي نافعة لا ضرر فيها ، فان لم تمنع الحرب فهي على الاقل تقيم الحجة على المعتدين وتضعف أعذار المخالفين ، واذا تولاها قضاة من أمثال القضاة الثقات الذين اشتهروا في محاكم الغنائم الانجليزية على الخصوص ، فهي كفيلة باعلان الحق وفصل الخطاب بين المنصفين والمبطلين لان القضاة في محاكم الغنائم قد بلغ من عدلهم أحيانا أن يدينوا حكومتهم ويفرضوا الغرامات عليها اذا استخدمت القوة العسكرية في مصادرة سفينة أو بضاعة أجنبية ، ولو كانت ملكا لأمة ضعيفة أو لافراد مجهولين .

ولكن هيئات التحكيم كائنا ما كان شأنها تساعد على فض الخلاف ولا تحسمه كل الحسم في جميع الاحوال . فهي في الواقع مظهر الرغبة العالمية في منع الحروب وتغليب السلام وليست هي سبب تلك الرغبة التي يخلقها خلقا من حيث لا تكون .

انما يتحقق السلام العالمي اذا صدقت الرغبة فيه بين أمم العالم أو بين معظمها اذا تعذر الاجماع على تحقيقه .

وانما تصدق الرغبة في السلام العالمي اذا كان ضرر الحروب بجميع المشتركين فيها أعظم من فوائدها ، وقد عاشت الحروب ألوف السنين لانها كانت محصورة الضرر في أقوام دون أقوام ، وكانت لها فوائد محسوسة لمن يتغلبون فيها . أما اليوم فلا طاقة للانسانية باحتمال الحروب بعد الحروب كما احتملتها من عشرة آلاف سنة ، لأن الحرب الواحدة في عصرنا بمثابة مائة حرب متعاقبة في التاريخ القديم ، سواء من حيث عدد القتلى أو عظم الخسائر أو سعة الميادين . فلا مناص من أحد حالين اثنين : اقامة حد لتكرار الحروب أو ذهاب الحضارة وانقراض بني الانسان.

وأيا كانت الأداة التي يختارها بنو الانسان لانفاذ رغبتهم في السلام العالمي فهناك أداة واحدة لا غنى عنها في سبيل هذه الغاية ، وهي الأداة القضائية العادلة التي تحاكم المسؤولين عن كل حرب فتحكم عليهم بالموت أو بالنفي أو بالسجن كما تحكم القوانين المعهودة الان على أصغر المجرمين . وان الرقبة الواحدة التي يقصفها الجلاد اذن لتحمي لبني الانسان مليون رقبة من رقاب الضحايا التي كانوا يطيحون بها وهم آمنون .

***

موقف مصر من الحرب *

سألني قلم التحرير في « آخر ساعة » ان أشرح بعض الشرح رأيي في موقف مصر من الحرب وآراء بعض الساسة والزعماء الذين كانت لي بهم صلة من طريق الصحافة أو الزمالة البرلمانية .

وقلم التحرير لا ينتظر مني بالبداهة تفصيل البيان عن هذه المسألة العالمية في حيز المقالة أو المقالات الصحفية . فهي لا تستوفى تفصيلها في أقل من كتاب كبير يدور فى خاطري من اليوم أن أكتبه بعد نهاية الحرب وجلاء المراجع وارتفاع القيود .

فلا مناص من الاكتفاء هنا بما يتسع له مقال الصحيفة ، وفيه الكفاية ـ أو بعض الكفاية الى حين .

كنت أدعو الى المحالفة العسكرية قبل الحرب بأربع سنوات ، وكنت أعنى بها أن تستعد مصر للدفاع عن حوزتها ولا تعتمد على الحليفة في الحرب العالمية الا على سنة المبادلة والمساواة ، منعا لدعوى الحماية أو الحاجة الى الحماية في يوم من الايام ، وتسويغا لطلب الجلاء الذي يتحقق به معنى الاستقلال .

ومضت أربع سنوات وشاعت أراجيف الحرب في العالم

---

* مجلة آخر ساعة العدد ٥٢٦ الخامس من نوفمبر ١٩٤٤ .

بأسره ، فكان رأيي من اللحظة الاولى أن مصلحة مصر في جانب الديمقراطية وان انتصار الدول الديمقراطية على الدول الفاشية أو النازية نتيجة محققة لا ريب فيها ، وان جاز أن تظفر النازية بالغلبة في بعض المعارك شهورا أو سنوات .

وفي التاسع عشر من شهر يوليو سنة ١٩٣٩ ـ أي قبل بداية الحرب بستة أسابيع ـ كتبت هذا الرأي في صحيفة الدستور التي كنت أكتب فيها يومئذ فقلت بعد تمهيد قصير :

« من البداءة الاولى ان النصر أقرب ضمانا الى المعسكر الذي تتوافر له كثرة العدد وكثرة المال والموارد وكثرة الانصار والعاطفين والاطمئنان الى أحوال الامم الداخلية .

« وفي هذه جميعا نحن في الجانب الراجح لا في جانب المرجوح ، لاننا في جانب الديمقراطية أو في جانب المعسكر الذي توافرت له جميع تلك المميزات .

« ان المعسكر الذي يشتمل على بريطانيا العظمى وفرنسا وبلجيكا وبولونيا ورومانيا وتركيا ومن يحالف هذه الامم أو يتبعها من الاملاك والمستعمرات هو صاحب الكفة الراجحة في عدد السكان ، اذا دخلت اليابان الحرب فلا نقول ان الروسيا تضاف الى هذا المعسكر لاننا لسنا على يقين اليوم من هذه الاضافة ، ولكننا نقول أن عدد أهل الصين وأهل الجزر التابعة لانجلترا وهولندة وهم يعدون بعشرات الملايين يدخلون في جملة الجيوش الديمقراطية التي لا تحتاج الى غير السلاح وهو غير قليل ، أما كثرة الاموال والموارد فرجحان الديمقراطية فيها ظاهر لا يحتاج الى مزيد من الاظهار ، واذا انضوت الولايات المتحدة الى هذا الفريق كما هو المنظور فالرجحان فوق المقارنة

بأمد بعيد ... وهذا كله على احتمال أن الروسيا ستظل في الحرب المقبلة خارج الميدان محافظة على الحيدة الصحيحة بين المعسكرين ، فاذا اختلف الاحتمال وانساقت الروسيا الى محاربة الدكتاتوريين فالخذلان لهؤلاء الدكتاتوريين حتم لا يقبل الجدال » .

ثم اقتربت نذر الحرب في الثامن من شهر أغسطس سنة ١٩٣٩ فكتبت في الدستور مقالا عن الدفاع ونفقاته أقول فيه :

« منذ سنة ١٩٣٥ ونحن ننادي بوجوب استقلال مصر بالدفاع عن نفسها في هذه الازمات العالمية ، ومن أجل هذا حملنا على الوزارة النسيمية وعلى مصطفى النحاس باشا ودعونا الى المحالفة العسكرية وفحواها أن يكون لنا جيش تبلغ عدته مائة الف جندي وان تقرر المحالفة بيننا وبين بريطانيا العظمى :

« أولا » ان مصر مستقلة في الدفاع عن نفسها وتقرر « ثانيا » حدود الاشتراك بين القوات المصرية والقوات البريطانية التي تتعاون في الحرب المنظورة لاننا مطالبون بعد فترة وجيزة بالدفاع عن قناة السويس وعن الحدود الغربية وعن سائر الحدود المهددة على حسب الحوادث السياسية الحاضرة أو على حسب الحوادث التي تتمخض عنها الايام .

ولما نشبت الحرب فعلا ظللت على هذا الرأي ولم اتحول عنه على قلة الجيش المصري قبل خمس سنوات لان الفرق بين العدد الموجود والعدد المطلوب ليس هو الفرق الذي يعول عليه في انتصار الدول الديمقراطية على الدول الدكتاتورية ، ولكن الفرق في موقف مصر من الدول الديمقراطية هو الذي يعول عليه في تدعيم حجة الاستقلال .

وكنت أكتب هذا الرأي وأدعو اليه وأناقش فيه المخالفين من النواب والصحفيين والادباء ولا علم لي برأي الزعماء السعديين في ذلك الحين . فلم اعلم ان لهم في هذه المسألة رأيا يقارب ما دعوت اليه الا يوم عرضت المسألة على مجلس النواب ودار فيها الجدال العنيف في احدى الجلسات .

في تلك الجلسة وقف بعض النواب فقال بعد كلام طويل :

« علينا أن نذود عن حياد مصر »

فناديته من كرسي : بالضاد يا باشا ..

وأردت أن نذود عن « حياض » مصر لا عن حيادها وكفى .

فاحتدم الجدال بين أصحاب الرأيين وفارق الخطيب المنبر محنقا وصاح بي أحد المحسوبين عليه : انك مأجور !

فملكني الغضب أن أجزى هذا الجزاء على فتح العيون وهداية العقول ، وقلت له وأنا أمشي اليه : « لو كنت مأجورا لاشتريتك واشتريت سيدك شراء العبيد »

وتدخل النواب فخرجوا بصاحبنا من القاعة وعاد النظام الى الجلسة الهائجة المائجة بعد قليل .

في تلك الجلسة وضع رأي الزعماء السعديين الذي يسجل لهم في تاريخ مصر ما بقى للحرب العالمية ذكر في ذلك التاريخ .

وعلمت اننا تلاقينا بالرأي قبل المباحثة فيه ، ولم يكن الخلاف من أحد هؤلاء الزعماء ، بل كان من أناس هنا وهناك من جميع الاحزاب والهيئات .

ومما يريحني ولا ريب انني لم أقصر في الدعوة الى رأيي بوسيلة من وسائل القلم أو اللسان فكتبت المقالات وأذعت المحاضرات وناقشت من ناقشت في البرلمان وغير البرلمان ، وزدت

على ذلك فطبعت على نفقتي كتابا كبير التكاليف ، هو كتاب « هتلر في الميزان » .

وأحدوثة هذا الكتاب هي الاحدوثة الظريفة التي أبسطها للقراء في هذه المناسبة ، لانها لا تخلو من فكاهة وجد واعتبار .

فما صدر الكتاب حتى تلقيت عشرات الكتب والزيارات ممن يتشفعون بي في مصالحهم الى بعض السفارات .

فكانت دهشتهم البالغة تنم على الشك ، بل على التكذيب ، حين أوكد لهم أنني لا أتصل بأحد قط في سفارة أجنبية وانني أدافع عن الديمقراطية منذ نيف وثلاثين سنة لانني مؤمن بها لا لان الاخرين بها مؤمنون ؟

فاليوم فليعلم الملأ كله حقيقة هذا الكتاب : كتاب هتلر في الميزان ، وهي حقيقة لا تخفى على من يطالبها ويبحث عنها على مدى خطوات .

فقد طبعت هذا الكتاب واشتريت ورقه من مكتب المسيو « هراري » المشهور في شارع المدابغ ولم أطلب ورقة واحدة لطبعه من جهة من الجهات .

ولما تم طبعه لم أطلب الى جهة من الجهات شراء نسخة واحدة منه ، بل خاطبني الاستاذ فؤاد مغبغب بالتليفون لشراء ثلثمائة نسخة بثمنها فترددت في تلبية الطلب بضعة أيام ، ولم أتردد لان بيع هذه النسخ في نظري منتقد أو معيب ، فلا عيب فيه ولا انتقاد ولا غرض لي من طبعه الا أن ينشر في كل مكان وعلى كائن من كان ، ولكني ترددت لانني سمعت أن بعض الكتب التي تشترى على هذه الصورة توزع بالمجان وقد يكون في ذلك أضرار بالمكتبات التي اشترت منه مئات النسخ لتبيعها بالاثمان ، فلما مضت أيام

ولم أرسل النسخ المطلوبة كلمني الضابط الاديب شوقي عبد الرحمن بك ــ وكان يومئذ ضابط اتصال في وزارة الدفاع ــ فقال لي ان النسخ المطلوبة ستوزع في خارج القطر وستشترى من المكتبات إن لم أسمح ببيعها ، والنتيجة واحدة في الحالتين .. فأرسلت النسخ مع صديق أديب بعد هذه الوساطة ، ولم أرسل بعدها نسخة واحدة لغير المكتبات .

ولا تنتهي أحدوثة « حتلر في الميزان » عندما تقدم •

فقد اضطررت بعد ذلك الى شيء من المال في وقت لا يتيسر فيه ، فبعت كثيرا من النسخ الباقية بتكاليفها لمكتبتين مشهورتين في القاهرة ، وهما المكتبة التجارية بشارع محمد علي ، ودار الكتب الاهلية بجوار دار الاوبرا الملكية .. والمكتبتان لا تبخلان ببيان الحقيقة على من يسألون .

وأرجو بعد هذا البيان ألا أتلقى وساطة لهذه السفارة أو لتلك من قريب ولا بعيد .

علام بنيت هذا اليقين بانتصار الديمقراطية مع توالي الهزائم عليها في أيام الحرب الاولى ؟

على أسباب قدمت بعضها في هذا المقال ، وجعلت بعضها فى المحاضرات والفصول المختلفة وبعضها في كتاب « هتلر في الميزان » .

وكل تلك الاسباب حسابية أو سياسية أو فنية عسكرية جهد ما أفهم من تلك الفنون .

ولكن السبب الذي هو أجل عندي من جميع هذه الاسباب لا يرجع الى الحساب ولا السياسة ولا الفنون العسكرية . بل يرجع الى فلسفة التاريخ ، الى الايمان •

فما من مسألة عالمية يصدق الحكم عليها بغير الرجوع الى تاريخ العالم من قديم عصوره .

وتاريخ العالم من قديم عصوره يشير الى وجهة واضحة لا تضل عنها البديهة الصادقة وهي وجهة « المسئولية الفردية » .

منذ عرف الانسان دينا من الاديان السماوية عرف المسئولية الفردية أو عرف « أن كل نفس بما كسبت رهينة » ثم سار على هذه الوجهة مع الحركات العالمية جميعا من نهضات وثورات وفتوح وكشوف ، يتوالى بعضها وراء بعض على هذا السنن المستقيم .

والديمقراطية تجارى تيار التاريخ ، بل هي تياره الذي يمتد ويزخر ويتدفق مع الزمان .

والطغيان يقاطع ذلك التيار الخالد ، ولن يتقدم سابح يقاطع ذلك التيار القدير .

***

لو قبل ثلاث سنوات *

اعلان مصر للحرب خطة حكيمة ــ بل خطة ضرورية ــ يظهر بعض نتائجها النافعة في الوقت الحاضر ولا يظهر نتائجها جميعا في وقت واحد ، بل يمتد ظهورها مع الزمن كلما طرأت المناسبات الدولية التي نشعر فيها بثمرات هذه الخطة أو نشعر فيها بالخسائر المحققة التي كانت وشيكة أن تلحق بنا لو انتهت الحرب العالمية دون أن نقدم عليها .

وقد كان من رأينا ان نعلن الحرب منذ بدايتها ولم يكن من رأينا ان يتأخر اعلان الحرب بعد دخول ايطاليا فيها ولا سيما بعد هجوم جيوشها على الحدود المصرية ،واعتداء طائراتها على الاسكندرية وغيرها من المواقع التي خلت من كل « أهمية عسكرية » من كل أهمية تتعلق بالتموين والتجارة .

وليس من الخير اليوم ان نقول لماذا كان دخول الحرب يومئذ خيرا لنا وأجدى .

ولكننا نستطيع ان نقول ما نشاء في تفنيد آراء القائلين بأن دخول الحرب يومئذ كان شرا علينا ، وكان خليقا ان يصيبنا «بويلات» أشد وأقسى من الويلات التي احتملناها باختيارنا أو بغير اختيارنا .

---

* مجلة روز اليوسف العدد ٨٧٢ أول مارس ١٩٤٥ .

فقد كان بعض المنكرين لدخولنا الحرب قبل ثلاث سنوات يعتقدون ان الالمان والطليان أحجموا عن اضرار كانوا يستطيعون ان يلحقوها بالديار المصرية ، وانهم يحجموا عن الحاق هذه الاضرار بها الا لانهم اعتبروا ان مصر واقفة منهم موقف الحيدة ولم تشترك في قتالهم بارادتها .

وكان هؤلاء المنكرون يحسبون ان تخريب القاهرة كان أيسر الامور على الطائرات الالمانية والايطالية ، ومنهم من كان يخشى على خزان أسوان وخزان اسنا وخزان أسيوط وغيرها من بنايات الري الكبرى ، ويتوقع أن تهدمها الطائرات بعد اعلاننا الحرب فتغرق البلاد المصرية ويختل نظام الري فيها .

وكل هذا في اعتقادنا كان افراطاً في الخشية لا تسوغه الوقائع التي لا تقبل الشك والاختلاف .

فليس مما يقلل الشك والاختلاف مثلا ان الالمان والطليان كانوا يحاولون أن يصيبوا كثيرا من المواقع العسكرية فلم يصيبوها وكانت لهم أغراض حربية تسمح لهم بها قوانين الحرب فلم يصلوا اليها .

كانت أمامهم على شاطىء البحر الابيض معسكرات انجليزية معروفه بمواقعها واعلامها ، مزدحمة بالجيوش الانجليزية التي تقاتلهم ويقاتلونها .. ولكنهم لم يصيبوها قط بما يضيرها ويعطل أعمالها ثم عدلوا اخر الامر عن محاولة الوصول اليها .

وكان أمامهم خط المواصلات الذي يستخدم في الصحراء الغربية لنقل الجند والذخيرة ونقل الطعام والماء في كثير من الاحيان فلم يفلحوا في ضربه ولم يلحقوا به من العطل أكثر مما يلحق السكك الحديدية في أيام السلم بغير حرب واغارة ، ولو

أنهم استطاعوا أن يعطلوه كل التعطيل أو يعطلوه الى وقت طويل لما كان أنفع لهم ولا أضر على خصومهم من هذا العمل الذي لا لا يحرمه عليهم شريعة الحرب ولا المعاملات الدولية .

وقد كان أمامهم فيأيام العلمين ـ وقبل أيامالعلمين ـ غرض لا يفوت أحدا من المحاربين ولا يحجم عنه أحد من المحاربين كلما استطاعه واستطاع أن يحاوله مرة بعد مرة ، وان أخفق فيه مرات .

كان أمامهم نسف مخازن الذخيرة والاسلحة وراء خط النار في ميدان العلمين ، وهي المخازن التي بيدهم نسفها من جهات عدة تساوى مشقة المجازفة لاجلها عشرات المرات ، لان نسف الذخيرة والسلاح تعجيز للجنود المقاتلة التي لا تعمل بغيرهما ، فضلا عن التقتيل والتجريح الذي ينجم عن نسف هذا المقدار العظيم من المادة المفرقعة أو المادة التي تقبل الالتهاب والاحراق ، ومما لا شك فيه ان الفجوات التي تحدث من فرقعتها تقلب أوضاع الميدان وتؤدي الى تعويق الحركة في الطريق وتذهب بتعب الالوف أياما طوالا فى حفر الخنادق واقامة المتاريس وبناء العقبات ومد الشباك والاسلاك .

وكان أمامهم في مصر ـ مما يدخل في أغراض المحاربين ـ أن ينسفوا القناطر التي تمر بها القطر في كل يوم من السويس وبور سعيد وفيها المدافع والذخائر والاسلحة والجنود فلم يتمكنوا من نسف قنطرة واحدة أيام الحرب كلها ، مع ان تعطيل المرور على كل قنطرة من هذه القناطر يوما واحدا قد يغير نتيجة المعركة أو نتيجة الحرب كلها في بعض مراحل القتال بميادين الصحراء .

وقد كان أمامهم ولا ريب غرض لا يتورعون عنه ولا يكنون

عن محاولته لو استطاعوه ، وهو تدمير الاساطيل الحربيــة في الموانىء المصرية ، بل تدمير الموانىء نفسها ما دامت تأوى اليها الاساطيل المقاتلة ، لو انهم وجدوا السبيل اليها .

وندع مصر الى الاقطار القريبة منها .

فقد كانت فلسطين من البلاد التي يكثر فيها اجتماع الجنود وتدريبهم للقتال وكانت سورية وكريت في أيديهم على مسافــة قريبة جدا لقاذفات القنابل وغيرها من الطائرات الثقال والخفاف وكان يرضيهم ولا شك ان يعصفوا بمدينة تل أبيب وهي قريبة على شاطىء البحر لا يحميها المعاقل أو الحصون ، فلم يصيبــوا الانجليز ولا الجنود المقاتلــة من الامــم الاخــرى في معسكرات فلسطين ولم تكن غاراتهم التي شنوها عليها مما يزعج أو يضير .

ومن قال ــ بعد هذا كله ــ أن الالمان والطليان يحسبــون لقانون الدولة هذا الحساب أو يصدهم عن هدم الخزانات لسبب من الاسباب لو مكنوا منها وأفلحوا من جــراء هدمها في اغراق بعض البلاد المصرية واتــلاف ثمــرات الزرع ومصــادر الغذاء والتموين التي يضير الجيوش المقاتلة اتلافها كما يضير ابنـــاء البــلاد ؟

فالواقع ان الالمان والطليان لم يحجموا عن شر استطاعوه في هذه البلاد ، وانهم اذا امتنعوا عن الاضرار بها فانما كان المانــع لهم سببا لا يرجع الى ارادتهم ولا يرجع الى موقف الامة المصرية من الحرب العالمية كائنا ما كان .

ويلخص هذا السبب في أمرين : أحدهما خــوف القصاص ومقابلة العمل بمثله اذا أوقعوا الضرر بمدينة القاهرة ، فقــد كان مفهوما ومقررا عندهم أن ضرب القاهرة يتبعه ضرب رومــا وضرب غيرها من المواقع التي كانت في متناول الطائرات ، وكانت

معفاة من الضرب لعلة من هذه العليل المتفق عليها .

والامر الآخر أنهم كانوا في ميادين مصر أضعف من خصومهم في سلاح الطيران ، وكانـوا يجمعون في الميادين الروسية أو الاوربية على الاجمال كـل طائرة يستغنون عـن استخدامها في الميادين الخارجية للضرورات القصوى .

وقد ظهر هذا النقص كل الظهور أيام العلمين حيث كانـت الطائرات الالمانية تصاب ولا تصيب وقلما تفارق الميدان الـى هدف بعيد ، وكانت الطائرات الانجليزية والامريكية تغـرق سفن التموين والوقود والجيوش الالمانية على أشد الحاجة اليه فلم يكن في وسع طائراتهم أن تحمى تلك السفن في المضيـق الصغير الذي تعبره بين ايطاليا وتونس وبرقة ، ولو كان ذلك في وسعهم لما أهملوه طرفة عين ، ولكان جمع الطائرات لهذا الغرض أنفع لهم من جمعها وتوجيهها الى هذا الخزان أو ذاك .

لا . لم يكن اعلان الحرب قبل سنوات ثلاث شرا من اعلانها الآن .

بل كان ذلك خيرا وأولى ، وكان أعظم عاقبة وأجدى .

ونحمد الله اننا تداركنا الامر قبل فوات أوانه الاخير ،وان الفرصة سنحت والحجة قائمة لسنوحها .

فمن المعلوم أن هيئة سياسية كبيرة في مصر كانت على هذا الرأي منذ سنوات ثلاث ، فلا يقولن قائل من الاجانب عن مصر ان اعلان الحرب اليوم عمل غريب يحتاج الى التساؤل والتعليل. فانما تعليله ان الحـرب أعلنت في أول فرصـة سنحت للساسة المصريين الذين كانوا يرون اعلانها ، وانها خطة تيسرت لهـم اليوم فمضوا فيها مع زملائهم في الرأي ، ووافقت مرحلة مـن مراحل السياسة العالمية يرتضونها .

أين انهزمت ألمانيا ..؟*

انهزمت ألمانيا في المكان الوحيد الذي تنهزم فيه الامم قبل كل مكـــان .

انهزمت في أدمغة قادتها وأبنائها ، ومتى حلت الهزيمـــة في أدمغة القادة على الخصوص فمن فضول القول اطالة البحث عـــن هزيمة الطيارات في مكان من الهواء أو هزيمة الدبابات في مكان من الارض أو هزيمة الغواصات في مكان تحت الماء أو فوق الماء .

ومما لا شك فيه عندنا ان المانيا دخلت الحرب بعقول كتبت عليها الهزيمة التي لا مناص منها .

فلولا العقول المهزومة لما صدقوا زعماءهم حين قالوا لهـــم انهم لم ينهزموا في الحرب العالمية الماضية ، وانهم قد أوشكوا أن ينتصروا لولا طعنة من الخلف طعنهم بها الاشتراكيون واليهـــود والديمقراطيون .

ولولا العقول المهزومة لما صدقوا ان هتلر منتصر على العالم كله لا محالة لانه اقتحم حوض الســـار ، وضـــم اليـــه النمسا ، واجتاح أرض السوديت ، ولم تستطع الدول الكبرى أن تخرجه منها . فان مصطفى كمالا زعيـــم التـــرك قد انتصر مثـــل هـــذا الانتصار فدخل الاستانة وفيها جيوش الحلفاء على الرغم مـــن

---

* مجلة آخر ساعة العدد ٥٥٣ في ١٣ مايو سنة ١٩٤٥ .

الدول الكبرى ، وألغى الامتيازات الاجنبية بجرة قلم واحدة على الرغم من إلدول الكبرى ، وأقام الحصون على المضايق جميعاولم يحفل باتفاق الدول الكبرى ، ولكنه لم يركب رأسه من أجل ذلك فيدور في حسبانه أو حسبان قومه انه منتصر على العالم كله اذا وصلت الامور الى خطر الحرب العالمية ، ولم يكن عنده معشار القوة التي كانت عند هتلر يوم صنع هذه الاعاجيب التي أطارت صواب الالمان وخيلت اليهم ان هتلر لا ينهزم في حرب ولا سلم وانه قد أعد العدة وحسب الحساب لكل صغير وكبير فلا خوف عليه ولا عليهم من سوء العاقبة .

ولولا العقول المهزومة لما خطر لهم ان سيادة العالم مطلب ميسور في هذا الزمان وهو لم يتيسر قط في زمن من الازمان ولن يتيسر يوما من الايام الى اخر الزمان .

ولولا العقول المهزومة لما اعتقدوا أن الطيارات تغنيهم عن الاساطيل وان الغواصات والالغام المرسلة تقطع سبل البحار دون أن تصيبهم بالضرر الاكبر في ميادين السياسة وفي ميادين القتال .

ولولا العقول المهزومة لما خيل اليهم انهم يخدرون العالم كله كما يخدر الثعبان فريسته فيلتهمونه قطعة قطعة وهو يتفرج عليهم ولا يمد يده اليهم ، أو يمد يده اليهم ثم يكون في وسعهم أن يهزموه ويستنفدوا صبره بالمقاومة وصعوبة المراس .

ولولا العقول المهزومة لما اعتقدوا أن الديمقراطية نظام شائخ يزول بضربة قوية يفاجئونه بها ولم يعتقدوا انها النظام الوحيد إلذي اطردت فيه مراحل التطور من أقدم تواريخ الانسان ، وانه منذ اليوم الذي شرعت فيه الاديان مسئولية الفرد « وان كل نفس بما كسبت رهينة » لم تتغير مراحل التقدم

في كل هذا الطريق ولم يعرف البشر مقياسا للتقدم بين الجماعات ولا بين الآحاد أصدق من مقياس الحرية الفردية الذي تنادى به الديمقراطية ويكتب له المستقبل الطويل على الرغم من كل عائق وكل نكسة تأتي بين الحين والحين .

وقد اختل حساب القادة الالمانيين في معظم الحقائق الكبرى التي كان عليهم أن يقدروها ويحذروا عواقبها ، فلم يسبروا غور روسيا ولا غور الولايات المتحدة ولا غور المقاومة البريطانية ، ولم يقدروا في جميع هذه الامور الا التقدير الذي يرضيهم ويعجبهم كأنه قضاء مبرم لا يقبل الاختلاف والتعديل .

وقصارى القول انه لولا العقول المهزومة لما جازف القوم بحرب عالمية — حرب تستغرق الكرة الارضية جميعا — من أجل تلك الاوهام التي كانوا يغررون أنفسهم بها ، وفي مقدمتها معاهدة فرساي وهي التي خرجوا بها دولة واحدة بعد التفرق والشتات ، أو هي التي مكنتهم من الاستعداد لحرب انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا في مدى سنوات معدودات ، وانهم ليرفعون عقائدهم مع هذا بأنها المعاهدة الجائرة التي كانت مثلا في القسوة والارهاق .

أين انهزمت المانيا ؟

انهزمت في عقول قادتها وأبنائها الذين يطيعون قادتهم طاعة الغنم للرعاة .

وعجيب في رأي الكثيرين ان يقال هذا عن أمة عظيمة نبغ فيها من نبغ من أقطاب العلم والادب وظهر فيها ما ظهر من الصناعات والفنون .

ولكن الواقع ان المانيا لا بد أن تكون كذلك وان نبغ فيها النوابغ وراجت فيها العلوم والصناعات ، لان المهم هو التربية

السياسية التي تتربى عليها الامم أجيالا بعد أجيال ، وليس المهم هو نبوغ الافراد أو كثرة المدارس والمصانع ومعاهد الفنون .

ولم يملك الالماني استقلاله في مواجهة حكامه قط منذعرف للالمان تاريخ .

فقد كانوا أبدا في وسط أوربا يغيرون على الناس ويغير الناس عليهم ، وكانوا قبائل متفرقة في ولايات مختلفة الى ما بعد حرب السبعين ، فلم يتعلموا قط معنى المشاركة العملية في سياسة الحكومة ، ولم يخرجوا قط عن نظام الطاعة العمياء الذي تدين به الكتيبة لقائدها أو تدين به القبيلة لزعيمها ، ولم يشتهروا في عهد من العهود بابتداع أو اختراع في أعمال السلم أو أعمال القتال ، وانما اشتهروا بالتحسين والزيادة فيما يخترعه الاخرون ، ولضعف استقلالهم وقصورهم عن التصرف يتفوقون في حرب البر ثم في حرب البحر ثم في حرب الهواء ، لان الطيار ينفرد بنفسه فيحتاج الى الاستقلال ، ولكن الجيش البري على الخصوص لا يعمل الا ما يمليه عليه القواد . أما حرب البحر على السفن الكبيرة أو الصغيرة فهي وسط بين حرب البر وحرب الهواء في الحاجة الى الاستقلال .

وقد خدع الناس بالادوية والعقاقير التي تنقطع عن العالم حين يحال بين البضائع الالمانية وبين الوصول الى بلدانه ،ولكنهم قد خفي عليهم ان مصانع المانيا اختصت بمنتجات الكيمياء لانها اخر ما ارتقى من العلوم الحديثة ، ولان الانجليز والفرنسيين والامريكيين كانت لهم مصانع الانسجة والمعادن واللوازمات المعيشية الاخرى يوم راجت صناعة الكيمياء ، فلم يحولوها بطبيعة الحال الى هذه الصناعة وتخلوا عنها للالمان طائعين ، وما شاركوهم مرة في انتاجها الا أدركوهم أو تفوقوا عليهم فيها . مع

قرب عهدها بالعمل في هذا المجال .

بعض هذه الحقائق ينكشف اليوم لمن كان يغمض عينيه فلا يراها ، ويسرنا اننا لا نقررها اليوم لان الناس كما قال صاحبكم الاستاذ عبد الحق :

... من يلق خيرا قائلون له
ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل

فان الخير الذي لقيه هتلر لم يخدعنا بالامس عن مصيره ومصير المانيا على يديه . ومنذ يومين كنت أقلب أوراقي في الحرب فقرأت الكلمة التي كتبتها عن الزحف على الارض الالمانية ثم نشرتها مجلة الاذاعة في مثل هذا الشهر – شهر مايو – قبل أربع سنوات . وكنت أقدر غرابتها عند أولئك الذين كانوا يقاطعوننا كلما عرضنا لهذا الموضوع – ومنهم الاستاذ عبد الحق – فقلنا في مطلعها : « ان الزحف على المانيا موضوع يبدو غريبا في الوقت الذي نسمع فيه كل يوم بألمانيا النازية زاحفة على قطر جديد ، مغيرة على وطن بعد وطن ، بعيدة من حدودها في الشرق والغرب والجنوب . لكن هذا الامتداد في الحقيقة لا يمنع الزحف على المانيا متى حان أوانه وتهيأت أسبابه . بل هو مما يفتح عليها المنافذ ويصعب عليها الاتقاء والمقاومة » .

وكانت طيارات المانيا يومئذ هي العدة التي ظن بعض الناس انها ستصنع بها المعجزات ، فقلنا قبل خمس سنوات تقريبا ونشرت مجلة الاذاعة ما قلناه في أواخر سنة ١٩٤٠ : « ... ولا نميل نحن الى تقدير السلاح الجوي في المانيا بهذا المقدار العظيم، بل نشك فيه .. لاسباب كثيرة : أهمها انهم لم يضربوا بطياراتهم قط على مسافات بعيدة ، فبولونيا كانت تحت آباطهم والنرويج لم يضربوا شمالها الا بعد ما تمكنوا من جنوبها ، وانجلترا

تركوها زمنا حتى تمكنوا من شواطئها .. »

ثم ها نحن أولاء قد عشنا حتى رأينا « برلين » تضرب بالليل والنهار ولا تغني عنها الطيارات الا أضعف غناء .

ولسنا نعيد اليوم كل ما قدرناه وأكدناه ، ولكننا نعيد ما أعدناه منه للعظة والتذكير ، عسى أن ينتفع به الغافلون وهم بحمد الله الذي لا يحمد على المكروه سواه يقيمون على متن الكرة الارضية في كل عصر وبين كل فريق من أبناء آدم وحواء .

قيل ان جوبلز وبعض أصحابه لم يقتلوا ولم يقاتلوا الى النهاية المشؤومة كما أشيع عنهم ، ولكنهم لجأوا الى الطبيب الكبير « زوار براخ » ليجري لهم في وجوههم عمليات جراحية يتنكرون بها بعد الفرار .

فان صح هذا فهو من أضاحيك الاقدار في أمر هذا « الجوبلز » المسكين على التخصيص ... لانه صدع الرؤوس زمنا بما كان يردده ولا يمل ترديده عن التاريخ وتغيير وجه التاريخ.

ولم يغيروا وجه التاريخ كما أرادوا فغيروا وجوههم اخر المطاف .. وشيء خير من لا شيء على كل حال .

وهذا هو الخير الذي لا يقال لصاحبه ما يشتهيه !

***

الفصل الأخير*
من كتاب كفاحي

أعصابي . أعصابي .. انهـا تتمـزق • انهـا تتهشـم • يا لسخرية القدر الجائر . أموت منهزما بأعصابي المنهوكة وأنا الذي أردت أن أقتل خصومي جميعا بحرب الاعصاب .

وهذه الاسراب الجهنمية التي لا تنقطع عن سماء برلين . وهذه المدافع القاصفة : مدافع الروس وانكبتاه . من كان يظن؟ من كان يخطر له على بال ؟ لقد كنت اريدها في برلين اسلابـا وغنائم مع الاسرى والمستسلمين . فاذا بها تدخـل العاصمـة الكبرى ــ عاصمة بروسيا الظافرة ــ ونحن نحن الاسرى ، ونحن نحن المستسلمين .

وتلك المدافع والطيارات مـن الغرب والجنوب والشمال : مدافع البريطان والامريكيين وطياراتهم تنقض علينا بوابل من الجحيم بالليل والنهار .

فيا لغباوتي انـا « الفوهرر » المعصوم . انـا « الفوهرر » الذي آمن وقال قبـل خمس عشرة سنـة ان بريطانيـا العظمى والولايات المتحدة سوف تتقاتلان قتال الفناء ، وسوف تستعين بريطانيا العظمى باليابان في هذه الحرب الطحون .. وسوف تدق الساعة ــ ساعة النصر الخالد ــ للريخ الالماني يومذاك ..

---

* مجلة الاثنين العدد ٥٧٠ الرابع عشر من مايو ١٩٤٥ •

يا للغباوة . ويا لسخرية الاقدار .. هذا هو الريخ الالماني وتلك هي بلاد الشمس المشرقة تصليان معا نيران الامريكيين والانجليز متحدين متكاتفين ، ومعهم الروس أيضا .. أجل معهم الروس الشيوعيون .. وقد كنا نخيف العالم كله بهؤلاء الشيوعيين .

ماذا أقول ؟ تلك هي الاقدار تحاربنا ولولاها لما انهزمنا أمام البشر الضعفاء وكأنما السماء أيضا قد سرت اليها عدوى الديمقراطية الشوهاء .

لكنه الندم العقيم ولات ساعة مندم .. ولا بد من كتابة هذا الفصل الاخير قبل اليوم الاخير . فماذا أكتب ؟ وبأي عنوان أختم « كفاحي » المشئوم ؟

لقد كنت أبدأ أضيق ذرعا بالعناوين ، وكان « جوزف زرني » هو الذي يكتبها ويتعقب اخطائي النحوية والصرفية قبل كتابتها ، وقد أعياني عنوان الكتاب كله يوم وضعته وأمليته فجعلت عنوانه في الصفحة الاولى : « أربع سنوات ونصف سنة من الكفاح في وجه الاكاذيب والغباوة والجبن الوخيم » ... فاختصرها الناشر في كلمة واحدة وسماه « كفاحي » وليتني ما كتبته وليته ما سماه .

كان كتابا مشئوما ذلك الكتاب .

كان موضوعه الفشل فى ثورة ميونخ ، وكان موضع التفكير فيه السجن ، وكان رأيي أن ثورة ميونخ هذه أحمق عمل وأطيش حركة اقدمت عليها في حياتي . فماذا أقول اليوم عن الحرب العالمية وطيشها وحماقتها ؟ وماذا أقول عن هذه العاقبة وقد كانت عاقبة ميونخ بالقياس اليها جنة نعيم ؟

كان عنوان الكتاب « كفاحي » فليكن عنوان الفصل الاخير

منه : وفاتي . خيبتي . هزيمتي . غباوتي ٠٠ فكل عنوان منهـ صادق مفيد ، ولولا ان الناشرين يحبون الاختصار في العناوين لجعلت هذا العنوان على طريقتي الاولى : « خمس سنوات وثلاث أرباع سنة من الكفاح في وجه الحرية والذكاء « والشجاعــة » فهذا هو الحق الاليم . »

مزق ايها القاريء جميع صفحاته الاولى وافتح من الكتاب المشئوم كله بهذه الصفحات الاخيرة .

لا . لا تمزقه أيها القاريء واحفظــه واقرأه مرات بعــد مرات . لتعلم كيف يساق الانسان الى هذه الخاتمة ، وكيف يبدأ الكتاب الذي ينتهي بعد عشرين سنة على هذا المنوال .

آه ايتها الدنيا . ما أسخف غرورك . ما أضل سعيك ! ما أكذب وعودك ! ما أسرع لحظاتك حين تدنو الى الموت . ما أحب الموت للشجاع وللجبان بعد هذا الفشل الذريع .

ان اللحظات لتعدو عدوا وان المهلة في هذه الدنيا لجــد قليلة .. فليصنع المسكين « دونتز » ما بدا له بالتراث البغيــض الذي يتلقاه . فليس يعنيني ما يصنع وما يصنعون بالتـــراث الضائع المهوب ، وانما يعنيني ان أقول كل ما ينبغي أن أقول . وان تسمع الاجيال المقبلة متى ما تصدقه وترويه ، فحسبها ما سمعت مني قبل هذه الساعة المرهوبــة مــن كــلام لا يحسن في الرواية ولا يقبل التصديق .

أيتها الاجيال المقبلة سماع سماع .

اسمعي مني وانقلي لاعقابك عني .

اسمعي ان القوة الطاغية سلاح وبيل . اسمعي ان الخيانة لا تنصر الخائن ولا تخذل الامين . اسمي ان الدعوة الكاذبة كلام

ذاهب في الهواء ، وقد يذهب اخر الامر بالدعاة والادعياء .

وعلى هذه كلها بنيت سلطاني فذهب سلطاني كما تذهب الرغوة ، وانقلبت الى هذا المصير .

على السلاح ، وعلى الغدر ، وعلى الطوابير الخامسة ، وعلى هراء جوبلز وأشباهه ، بنيت سلطان الريخ الكبير وحسبته أرسخ من الجبال وأمنع من بروج السماء .. فزال كل ذلك السلطان الوطيد الراسخ في بضع سنوات .

أيتها الاجيال المقبلة سماع سماع ..

ان السلاح عدة نافذة ماضية ولكن الحرية في هذا العالم الانساني عدة أنفذ وأمضى . لان السلاح قد يصول بقوة الحاضر وحدها ، ولكن الحرية تصول أبدا بقوة التاريخ القديم وقوة الحاضر المستقر وقوة الغد المأمول . ولكما انتصر السلاح بنخوة الاجساد مرة عادت الحرية فانتصرت بنخوة الاجساد والارواح مرات ، أو كلما ظفر الحيوان تصدى لهالانسان فرجع به الى الغابة حيث كان .

سماع ايتها الاجيال المقبلة سماع !

ان الغدر قد يأخذ الآمنين على غرة ولكنه يرد الآمنين لا محالة الى الخوف لا يجوز عليهم الغدر كل حين .

ولقد كذبت وكذبت وكذبت فنجحت ونجحت ونجحت ، ولكن المرة التي اخفقت فيها كان كفاء هذا النجاح وأضعاف أضعافه عشرات المرات .

وعلم الناس اننا سريعون الى الوعود سريعون الى النكث بالوعود ، فعلموا أن المساومة معنا لا تربح ولا تؤمن ولا تجدي. فلا راحة لهم الا بالقضاء علينا كل القضاء ، ولا عداوة لهم أحق

بالنقمة العاجلة من عداوتنا ، ولو استطاع الناس ان يطمئنوا الى عهد من عهودنا أو قسم من أقسامنا لصدقونا يوم خوفناهم بالشيوعية الحمراء فخافوها واطمأنوا الى صدقنا ومودتنا . ولكننا غدرنا وغدرنا فأصبحنا وحدنا الخطر الذي لا يساوم ولا يعامل ولا يعالج بشيء غير القضاء عليه .

سماع أيتها الاجيال المقبلة سماع ..

ان الطابور الخامس شر على من يبتلي به من الضعفاء ، ولكنه على الاقوياء كالحقنة الواقية التي تنقل أشباه الجراثيم الى البنية الحية فتوقظ فيها بواعث الحياة والمقاومة وقد أهلكنا شعوبا بالطابور الخامس ولكننا أحيينا به شعوبا اخرى فأهلكتنا وعصفت بجميع طوابيرنا ، فحذار من هذه الحقنة الواقية في صفوف الاقوياء ، وحسبكم من الضعيف ضعفه فلا تجهدوا أنفسكم فى تسميمه بالمرض القاتل ، وهو على موعد من الفناء بغير سموم .

سماع أيتها الاجيال المقبلة سماع .

ان الدعوة تقنع وتنفع ولكنها لا تقنع السامعين بانتصار المهزوم وهم ينظرون الى هزائمه ، ولا تنفع الداعي بشيء اذا لم تعززها الحقيقة التي تكتب لها الغلبة في كل صراع يعم الامم والشعوب . فلا تجعلوا الدعوة زادكم كله اذا لم يكن لكم زاد من الحقيقة الغالبة ، ولن تكون الحقيقة الغالبة في معسكر تعاديه الحرية وتناقضه آمال البشر في حياة العزة والكرامة .

وهكذا خرجت لحرب العالم على بكرة أبيه وليس لي من سلاح في حربه غير الحديد والنار والغدر والخيانة وكلام من الكلام لا تعززه حقائق الحياة . فانكسر سلاحي كله ووقفت عزلا

من كل السلاح ، فذهب كفاحي ولم تبق لي منه الا هذه الصفحات .. ولقد كتبتها صادقا ووجب أن أموت . فمن قضى حياته كاذبا غادرا فالصدق عنده علامة الموت . فاذكريني بخيبتي وصدقي ايتها الاجيال المقبلة ولا تذكريني بكفاحي وكذبي . ولي الحرب والهزيمة القاضية ، ولكم السلام والنصر المبين .

***

الحرب القادمة*

فأل الله ولا فأل صاحب الاقتراح .

وصاحب الاقتراح هنا هو الاديب المحرر في « اخر ساعة » الذي اقترح علي أن أكتب في الحرب القادمة وأساليب القتال التي تدور عليها والاسلحة التي تستخدم فيها .

وأنا لا أحب أن أتوقع حربا قادمة بعد أن شهدت حربين عالميتين في أقل من ثلاثين سنة .

فاذا وقعت الحرب القادمة فقد تكون هي الحرب الاولى من نوعها في تاريخ بني الانسان .

وقد تكون كذلك هي الحرب الاخيرة في تاريخ بني الانسان، لانها قد تختم ذلك التاريخ كله شر ختام ..

ونحن من الان نعرف القنبلة الذرية والصواريخ البعيدة المرمى ، ونعرف ان « البيضة الواحدة » « تفرخ » ستين الف جثة ميتة في لحظة واحدة ، وأن الصاروخ البعيد قد يقطع المسافة بين قارتين في لحظات أو سويعات ونعرف ـ مع هذا وذاك ـ معرفة اليقين ان سر الصناعة في هذه الاسلحة الجهنمية محفوظ مكتوم بين دولتين اثنتين ، ولكنه سيذيع بين الدول جميعا لامحالة بعد شهور أو سنوات على الكثير ، لان الاسس العلمية التي قام

---

* مجلة آخر ساعة العدد ٥٧٣ في الثلاثين من سبتمبر ١٩٤٥ .

عليها اختراع تلك الاسلحة ليست سرا من الاسرار المحجبة في المحاريب أو السراديب ، بل هي من المعلومات المباحة لجميع العلماء المشتغلين بالكهرباء والكيمياء ، وليس الاهتداء الى الطريقة التي تنفلق بها الذرة وتنطلق بها قوتها المهلكة الامسألة مصادفة من مصادفات التجارب الكثيرة التي تدخل في الحسبان ولا تعز على الطلاب مع كثرة المجربين وكثرة الفروض والتوفيقات .

فاذا عرفت القنبلة الذرية في كل مكان فالحرب القادمة شيء مختصر سريع المقدمات والعواقب ، ولعله أسرع من جولات كرة القدم في ميدان الجزيرة .. لولا فارق واحد ليس بالبسيط وليس بالقليل ، وهو ان دخول الكرة في الهدف هنا معناه خروج الملايين من جميع أبواب الحياة !

قيل في الاساطير أو في « القفشات » البلدية ان فشارا من كبار الفشارين كان يحكى لاصحابه حكاية الصراع بين أسدين كبيرين ، فبالغ ما شاء له الفشر في قوة الخصمين ، ثم ختم الفشرة المضحكة بقوله : « انهما ما زالا يتصارعان ويأكل بعضهما بعضا حتى لم يبق منهما جميعا غير ذنبين ! »

تلك فشرة كانت مضحكة قبل أشهر معدودة أو قبل سماع العالم بكارثة « هيروشيما » ودوي البيضة المشئومة في الخافقين .

أما اليوم فالضحك من تلك الفشرة البريئة « مودة » قديمة بغير نزاع . لان الحرب بين أسدين كبيرين على طريقة « هيروشيما » لن تسفر عن نتيجة أخرى غير ذهاب الاسدين وبقاء الذنبين .

لكن ما العاصم من هذا الوبال المحيق الذي لا طاقة بهلجميع بني الانسان وفي مقدمتهم الاقوياء ؟

هل نقول « لا عاصم اليوم » فنريح ونستريح أو نرسل الامل الى ما وراء الغيب على عادة الانسان في كل مجال ، وفي كل وبال ؟

نعم نرسل الامل الى ما وراء الغيب مرة أخرى فنقول : ان القنبلة الذرية ليست هي الكلمة الاخيرة على لسان العلم ولا الكلمة الاخيرة على لسان السياسة .

أما انها ليست كلمة العلم الاخيرة فقد يظهر لنا قريبا باختراع جديد من نوع ذلك الاختراع .

وما دام الامر كله منوطا بالتيارات الكهربائية وقوات الانطلاق والانضمام فمن الجائز جدا ان يهتدى العلم الى موجة كهربائية توجه قوة الانطلاق الى غير وجهتها أو تتركها «محايدة» في مكانها « كأننا لا رحنا ولا جينا » كما نقول في أمثالنا البلدية .

ومن الجائز جدا أن يحاط بعض الاماكن بشحنة عازلة يبطل فيها مفعول الانطلاق ويرتد أو يتوزع بعيدا من ذلك المكان

هذا الى الوسائل الاخرى التي تؤخذ بها الطريق على الطيارات المقبلة بالقنابل الذرية فتحول بينها وبين الوصول الى أهدافها .

أو الوسائل الاخرى التي تعصم المدن بأسلوب من أساليب البناء على الارض الخداعة ، أو باسلوب من أساليب الاختفاء في ساعة القضاء ، فتحميها بعض الحماية أو كل الحماية من ذلك البلاء .

أما انها ليست كلمة السياسة الاخيرة فقد يظهر لنا قريبا ، باتفاق الدول جميعا على تحريم هذا السلاح في الحروب ، كما اتفقت على تحريم الرصاص المتفجر والغازات الخانقة والالغام

المرسلة ، فعملت باتفاقها في معظم الاحوال وان خالفته في قليل من الاحوال .

وقد يقضي الاتفاق بين الدول بتسليم هذا السلاح الى الهيئة العالمية المشرفة على التحكيم والتوفيق بين حكومات العالم وشعوبه فلا تستخدم الا في حالة واحدة : وهي حالة الاجماع على معاقبة الدول الباغية التي لا تذعن لشروط التحكيم والتوفيق .

وقد يقضي الاتفاق بعزل العلماء المشتغلين بصناعةالقنابل الذرية في مكان لا يخضع لحكومة واحدة من حكومات العالم الكبيرة ، وان كان الاتفاق على ذلك عسير التنفيذ .

واذا اهتدى العلم أخيرا الى وسيلة لتسخير الطاقة الذرية في أعمال التعمير والانشاء فقد يستعان بهذه الوسيلة في الحرب والسياسة كما يستعان بها في الصناعة والتجربة العلمية ، فان المطلوب هو تحويل الطاقة الذرية من قوة التخريب الى قوة التعمير ، ومتى تيسر هذا التحويل في ميدان العلم فالمهم هو امكان التحويل ولو لابعاد الخطر واجتناب الخراب ، وليس المهم ان تتحول الطاقة في ميدان القتال لادارة المصانع واتقان الصناعات.

يحكى عن السيد جمال الدين الافغاني انه كان في سفينة هاج عليها البحر فأيقن راكبوها جميعا بالغرق العاجل .

فجلس جمال الدين بينهم بعمامته الخضراء وملامحه التي تشبه ملامح القديسين والاولياء ، وراح يؤكد لهم ان السفينة لن تغرق في سفرتها هذه ، وانها ناجية بغير كلام ، وانهم جميعا ناجون .

سأله بعض أصحابه حين حكى لهم هذه الحكاية :

ـ وكيف اجترأت ايها السيد على تلك النبوءة الجازمةوأنت لا تضمن الوفاء بصدقها . ألم يكن من الجائز أن تغرق السفينة

بركابها بعد ذلك بلمحة عين أو لمحات ؟

قال السيد : وماذا علينا من ذلك الضمان ؟ من الذي سيدركني في قاع اليم ليطالبني به من اولئك الركاب ، أو غير أولئك الركاب ؟ .. فان نجت السفينة كسبت رضى الجماعة وكسبت سمعة النبوءة ، وان لم تنج لم أخسر هذا ولا ذاك ، لان الركاب أنفسهم سيذهبون ، وسأذهب معهم أو قبلهم الى الاعماق !

العالم ناج لا محالة .
والقنبلة الذرية لن تقضي عليه .
ان صحت النبوءة فالحمد لله على سلامتكم
وان كذبت النبوءة « فابقوا قابلوني .. »



السياسة العالمية في سنة

كانت السنة التي أوشكت أن تنتهي في هذه الايام ، سنة امتحان عسير لتجربة السياسة العالمية .

كانت امتحانا عسيرا للمؤتمرات العامة وللمجالس والهيئات الدولية ، ولكل محاولة من محاولات الاتفاق على مصلحة كبرى ، بين الامم المشتركة في تلك الهيئات .

وكانت للشرق كله حصة وافية من جرائر هذا الامتحان العسير .

والشرق الذي نعنيه يشمل البلاد الشرقية من دانيها الى قاصيها ، ومن أقرب التخوم الافريقية الى أبعد التخوم الاسيوية .

ففي « أندونيسيا » لم تفلح الامم المتحدة في وقف القتال بين المستعمرين وطلاب الحرية من أبناء البلاد .

وفي فلسطين ــ لم تفلح الامم المتحدة في حل المشكلة ولا في حفظ الامن وصيانة الارواح ، انتظارا لحلها .

وفي مصر لم تفلح هيئة الامم المتحدة في تسوية الخلاف وفض النزاع .

وهذه الامثلة الشرقية تدل على نظائرها من المسائل المعلقة التي لم تنته بعد الى قرار ، وهي كثيرة متكررة في كل بقعة من بقاع الكرة الارضية .

---

* مجلة الاذاعة المصرية العدد ٦٦٨ الثالث من يناير ١٩٤٧ .

لا جرم يتساءل الناس في مشارق الارض ومغاربها : ما فائدة هذه الهيئات العالمية ؟ وما معنى الانفاق عليها والحرص على بقائها .

ولا جرم نسمع أناسا كثيرين يشيرون باعتزالها والانفضاض عنها ، ونسمع أناسا غير قليلين ينفضون اليد منها ، ولا يكتمون يأسهم من صلاحها وتقويم أمرها .

ومن المتفق عليه ، انها لم تؤيد مبادئها التي قامت على أساسها ، ولم تحقق أغراضها التي وجدت لتحقيقها .

لم تحقق مباديء العدل والمساواة ولم تفلح في تغليب المصالح العالمية ، أو المصالح الانسانية ، على مطامع الاستعمار.

كل هذا متفق عليه ، بين جميع الباحثين في أعمال تلك الهيئات الدولية الكبرى .

ولكننا اذا تجاوزنا هذا الحد قليلا بدأ الخلاف في شأنها وامكن الاتفاق في رأينا على الحكم الصواب ، في ذلك الخلاف .

فاذا قلنا ان هيئات الامم لم تحقق أغراضها ، فذلك معقد الاجماع بين المؤيدين والناقدين على السواء .

ولكن هل كل هيئة لم تحقق أغراضها ، ينبغي أن تزول ؟

هنا تبدأ الخطوة الاخرى التي تختلف فيها الاراء ، والتي تختلف فيها الاراء ــ كما أسلمنا ــ لتعود الى وفاق .

فمما لا شك فيه اننا لا نقضي بزوال كل هيئة لم تحقق أغراضها ، ولو طال عليها الزمن ، وتكررت التجربة بين حين وحين .

وهذه الاداب الانسانية ، وكل ما اتصل بها من الشرائع والقوانين ، وكل ما قام على الشرائع والقوانين من دوائر القضاء والشرطة ودواوين الحكم والادارة انما جدت جميعا لمنع الاجرام

وضمان الحقوق ، وكبح الشرور ، وتهذيب النفوس .

وقد مضى على وجودها بين الناس مئات السنين ، بل ألوف السنين .

ولا تزال الشرائع باقية ، ولا يزال وجودها لازما ، ولا يزال القول بالغائها والاستغناء عنها بعيدا عن الالسنة ، بعيدا عن الاذهان .

ونحن لا نلتزم بقاءها لانها منعت العدوان ، أو لانها جعلت أبناء آدم وحواء جيلا من الملائكة الاطهار ، لا يبغى بعضهم على بعض ، ولا ينتصر منهم ظالم على مظلوم .

لا نستلزم بقاءها لانها حققت أغراضها وأنجزت وعودها .

ولكننا نستلزم بقاءها لسبب واحد ، هو ان عدمها شر من وجودها ، وان الاضرار التي تمنعها أكبر من الاضرار التي تنجم عن زوالها .

وهكذا ينبغي الحكم على كل محاولة انسانية ومنها الهيئات العالمية .

ينبغي أن تزول لسبب واحد : وهو ان زوالها أفضل من وجودها ، وأقرب الى تحقيق الرجاء الذي خاب فيها .

وقد تتقارب شقة الخلاف اذا اتفقت الاراء على هذا السبب . لاننا نعتقد ان الوقت لم يحن بعد للحكم الحاسم الاخير في هذا الموضوع ، ولا يزال في وسعنا أن نقول : ان وجود الهيئات العالمية لم ينفع ، ولكن زوالها كذلك لا ينفع ، ويخشى أن يفضي بنا الى اضعاف ما نعانيه اليوم من الاضرار .

فزوال الهيئات العالمية أضر كثيرا من بقائها ، ولو بقيت على صورتها الحاضرة .

« أولا » لان زوالها يحرم الضعفاء منبرا يرفعون عليه

الصوت بين الامم ، على سنة الحرية والمساواة .

و « ثانيا » لان زوالها يطلق العنان لكل دولة قوية فيمعاملة الضعيف على انفراد ، وهي متى انفردت به غلبته وقهرته وحالت بينه وبين الشكاية والاحتجاج ، وربما اصطدمت بغيرها من الاقوياء في هذه المحاولة ، فوقعت الواقعة التي لا فائدة منها لقوي ولا ضعيف .

و « ثالثا » لاننا رأينا ان دولا ثلاثا من أعظم دول الارض تواطأت بينها على كسب أصوات الامم الصغيرة ، فلم تجمع ثلثي الاصوات إلا بعد جهد جهيد ، كما حدث في مشكلة فلسطين . ولم يكن حكمها بعد ذلك بالحكم الفصل الذي لا رجعة فيه ، لانها اضطرت قبل انقضاء اسبوعين اثنين ، الى ترك الباب مفتوحا في مجلس الامن ، لمعاودة النظر في ذلك القرار .

ولنرجع الى قضية « أندونيسيا » ، والى القضية المصرية لنقيس الواقع في كل منها بهذا المقياس .

فهيئة الامم المتحدة لم تنصر صلاب الحرية من أهل أندونيسيا على المستعمرين، ولكنها لم تفعل كما فعلت المؤتمرات الدولية في القرن التاسع عشر ، وقد كانت تلك المؤتمرات تتدخل عنوة وقسرا ، لقمع كل قومية ، باسم المحافظة على حقوق الحكومات الشرعية ، أي كان الحاكمون من الاجانب المعتدين أو من ابناء البلاد المستبدين .

ومجلس الامن لم يقبل مطالب المصريين ، ولكنه كذلك لم يقبل مطالب الدولة البريطانية ، ومنها ما كان في مظاهره بمثابة الاحتكام الى القانون ، وهو طلب الاحالة الى محكمة العدل ، أو طلب التفاهم من طريق المفاوضة على تفسير بعض النصوص .

فالامتحان الذي تعرضت له هيئات الامم عسير ، جد عسير .

والرأي المتفق عليه في نتيجة ذلك الامتحان ، أن هيئات الامم قد أخفقت فيه ، وانها لم تؤيد مبادئها ولم تحقق أغراضها، ولم ترجح مصالح الانسانية على مطامع الدول القوية .

الا أننا نتجاوز هذا الحد ، فلا نتفق على وجود زوالها ، أو نتفق على أن زوالها أضر من بقائها وانه لن يصل بنا الى غاية أسلم لنا ، وأجدر بسعينا ، من هذه الغاية التي لا نرضاها .

فماذا عسى أن نقول ، ونحن على أمان من صدق ما نقول ؟

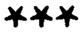
نقول فرصة أخرى !

كلمة تقال بعد كل تجربة مخفقة ، اذا غلب التفاؤل على التشاؤم ، وغلبت الرغبة في صلاح الامور على الجزم الحاسم بفسادها الى اخر الزمان .

وخير من أن نجزم بفساد الدنيا الى اخر الزمان ، أن نلتفت اليها في شيء من الامل وشيء من الحيطة وشيء من الصبر ، قائلين متفائلين :

فرصة أخرى .. فرصة أخرى .

وعسى أن تسفر الفرصة الاخرى عن تجربة تستحق مؤنة الانتظار .



عالم واحد*

تحدثت الى حضراتكم ـ منذ شهر ـ عن وحدة العالـم أو السيادة على العالم ، وكان محور الحديث أن السيادة على العالم مستحيلة ، وان وحدة العالم حقيقة لا ريب فيها .

وكل ما حدث منذ شهر ، وكل ما حدث قبل ذلك ، بل كل ما يحدث في الواقع على توالي الايام ، هو برهان بعد برهان ، يزيد تلك الحقيقة جلاء بعد جلاء .

كانت الانتخابات من أخص المسائل الداخلية في اعتبـار الامم الحديثة ، وكان نجاح هذا الحزب أو ذاك في الامة أمـرا لا يعنى أحدا غير أبناء تلك الامة .

فمن دلائل وحدة العالم ، واستحالة العزلة السياسية فيه ، ان هذه المسائل المحلية ، قد أصبحت في طليعة المسائل العالمية ، كما تتوالى الدلائل على ذلـك في كـل جانب من جوانب الكـرة الارضية .

أين نيويورك مثلا من فلسطين ؟

هذه في الغرب الاقصى ، وهذه في الشرق الادنى .

ولكننا رأينا أن أصوات الناخبين في نيويورك ، كان لهـا شأن في قضية فلسطين ، أو كان لها شأن في القرار الذي اتخذته هيئة الامم ، قبل بضعة شهور .

---

* مجلة الاذاعة المصرية العدد ٦٨٥ أول مايو سنة ١٩٤٨

ومنذ أيام معدودات جرى الانتخاب في البلاد الايطاليــة ، فاذا العالم كلــه قائــم يتحفز ، وناظــر يترقب . لان أصوات الناخبين هناك كانت هي الحكم الفصل في قضية عالمية ، ولم يكن قصاراها انها الحكم الفصل بين الاحزاب الايطالية .

كان معنى الانتخاب في قطر واحد ، انه الحرب أو السلام في العالم أجمع ، ولا توجد في الكرة الارضية بقعة واحدة لا تعتبر الحرب العالمية مسألة محلية تعنيها في داخل شؤونها ، وفي حياة كل فرد من ابنائها .

عالم واحد تنفصل أجزاؤه محدود على الخريطة ، ولكنهــا خطوط على الــورق ، ولا شيء أكثــر من خطوط .. لانهــا لا تستطيع أن تفصل بين مكان ومكان ، في مشكلات السياسة أو مشكلات الاقتصاد . أو مشكلات العقيدة .

وقد كنا في مصر ــ كما كان أبناء الامم جميعا ــ ننظر الى هذه المسألة المحلية العالمية ــ مسألة الانتخاب في ايطاليا ــ كأننــا نشترك فيها بنصيب ، على مقدار نصيبنا من النتيجة التي تسفر عنهــا .

ولعل نصيبنا فيه أكبر من نصيب الاخرين .

لاننا من جهة جزء من العالم ، تهمنا الحرب فيه كما يهمنــا السلام .

ولاننا من جهة أخرى أمة من أمم البحر الابيض المتــوسط وايطاليا كذلك أمة من تلك الامم ، ولم يزل هذا البحر الابيض المتوسط وحدة تاريخية ، منذ كــان وحدة جغرافية ، أي منــذ أقدم العصور .

فلم يحدث قط حادث عظيم في أمة من الامم ــ حــول البحر الابيض ــ الا كان له صدى سريع في أممه الاخرى .

وحسبنا من الامثلة على ذلك مثل الثورة الفرنسية الكبرى. فان الثورات التي من قبيلها تلاحقت في ايطاليا واليونان ومصر وتركيا على أثر اشتعالها في البلاد الفرنسية ، ولم يكن ذلك لتشابه في النظم الحكومية أو الاطوار الاجتماعية ، فان هذه الامم تختلف في نظم الحكم كما تختلف في أطوار المجتمع . ولكنه كان لهذه الوحدة التاريخية الجغرافية التي يمكن ان يقال انها جعلت للبحر الابيض جهازا عصبيا مشتركا بين أنحائه ، فلا ينفعل جزء منه الا سري الانفعال الى سائر الاجزاء .

ولو طرأ الانقلاب الشيوعي في ايطاليا لكان وشيكا ان يسري مفعوله أو أثره الى شواطيء البحر كله . اما بالمجاراة أو بالمقاومة والاتقاء .

ونحن نعتقد ان الامم التي على البحر الابيض ، تقابل الشيوعية خاصة ، بطبيعة واحدة وتاريخ واحد .

فالامم التي على هذا البحر تتقارب بالطبيعة ، لانها اشتهرت جميعا بسرعة الحس وسرعة الانفعال .

ولكنها تتقارب كذلك في قدم الحضارة ، وعراقة التاريخ . فكل امة من أممه تعرف لها ماضيا عريقا تعتز به وتحافظ على تراثه .

فاذا كانت سرعة الانفعال تدفعها الى التطرف وتميل بها الى الدعوات الجديدة ، فاتصالها بتاريخها القديم يعصمها من الشطط ويجنح بها الى التريث والاعتدال .

ولهذا نرى أن الامم التي لم تفرض عليها الشيوعية فرضا ، في أوربا الوسطى وأوربا الشرقية ، هي الامم التي ليس لها من الآداب والاخلاق تراث قديم .

وفي ايطاليا تغلبت عوامل التاريخ على عوامل المزاج . وحكم

ايطاليا في ذلك هو حكم شامل لكل أمة تطل معها على هذا البحر ، بحضر الحضارة العريق .

والآن ـ وقد جنحت ايطاليا الى اليمين ـ ماذا يكون المصير في أمر الحرب العالمية ، أو الحرب الثالثة التي ترددت نذرها على الافواه والاقلام ؟

هل زال الخطر كل الزوال ، أو هو لا يزال كما كان في حسبان الساسة والشعوب ؟

كل ما يمكن ان يقال على وجه التحقيق ، انه قد تأجل الى حين ، أما انه قد زال كل الزوال ، فذلك مشكوك فيه بلا جدال .

فمن المحقق ان الحرب الثالثة قد دخلت في تقدير الساسة من المعسكرين : معسكر اليمين ومعسكر اليسار .

ومن المحقق بالعيان والسماع ، أنهم يجهرون بالاستعداد لها منذ الان وليس حتما مع ذلك ان تقع الحرب الثالثة .

ولكنها اذا امتنعت فلن يمنعها الا سبب من ثلاثة أسباب :

« أولها » أن يعدل معسكر اليسار عن خطته السياسية ، وهو عسير جدا . لان هذا العدول معناه اعلان الافلاس والتسليم بانهيار النظام الذي يقوم عليه ذلك المعسكر . بل بانهياره في وقت قريب .

و « ثانيها » ان يعم النظام الشيوعي جميع أقطار العالم ، ومن المستحيل أن يتم تعميم هذا النظام بغير قتال .

و « ثالثها » أن يحدث انقلاب أساسي في معسكر الشيوعية ، وليس هذا الانقلاب ببعيد ، ولكن الحرب قد تكون أسرع منه الى الوقوع .

فاذا لم تمتنع الحرب بسبب من هذه الاسباب الثلاثة ، فمصيرها فيما نعتقد معروف منذ الآن .

لقد كتبنا في الصحف عند بداية الحرب العالمية الاولى ، نؤكد الغلبة فيها للديمقراطية لا محالة .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ، فلم يخامرنا الشك لحظة واحدة في نتيجتها ـ وهي غلبة الديمقراطية ، وكانت ظواهر الاحوال كلها تؤكد الغلبة للنازيين والفاشيين .

والذي نعتقده اعتقاد اليقين ، أن الديمقراطية منتصرة في الحرب الثالثة كما انتصرت في الأولى والثانية .

ونعتقد هذا ولو كانت الاسلحة الذرية أو أسلحة الصواريخ وما اليها ، متساوية عند الفريقين .

فالديمقراطية لا تنهزم الا اذا عجزت كل العجز عن المقاومة ، ومعنى القضاء على مقاومتها أن خصومها يصلون بقوتهم الى أبعد بقاع المعمور ، وأنهم يمنعون التموين عن هذه البقاع ، ويعطلون المواصلات بينها وهو عمل يكلف هؤلاء الخصوم أضعاف ما يتكلفه الديمقراطيون .

نعم ان خصوم الديمقراطية يعولون على الطابور الخامس في بلادها ويظنون أن الشيوعيين في البلاد الديمقراطية ينفعونهم في الحرب القادمة ويشلون حركة المقاومة بأعمال التخريب والاضراب ، واختلاق أسباب الثورة والانتفاض .

وهكذا كان هتلر يعتقد في طابوره الخامس ، وهو لا يقل في العدد ولا في العدة عن طابور الشيوعيين .

بل لقد كان الطابور الشيوعي والطابور النازي على اتفاق بينهم في جميع مناوراتهم وحركاتهم وفي جميع دعواتهم التي كانوا يبثونها بين صفوف الدول الديمقراطية ، لان روميا كانت حليفة لالمانيا في أيام الحرب الاولى ، قبل أن يتحول

النازيون فجأة الى الاغارة على البلاد الروسية ولم يفلح الفريقان معا في تعطيل المقاومة بين الديمقراطيين .

ومن المغالاة في الثقة ان يقال ان الطوابير الخامسة تظهر في جميع أنحاء العالم الا في البلاد الشيوعية ، فان الضغط قد يخيف هذه الطوابير في أحوال الحرب العادية ، ولكنها عند سنوح الفرصة من هزيمة عارضة أو عجز عن التموين ، تبلغ فيالثورة والعنف ما لا تبلغه في بلاد الحرية والانطلاق من القيود .

ومن الواجب أن نلتفت الى حقيقة هامة عند الموازنة بين المعسكرين ، وهي ان الاقطار التي تخضع للشيوعية ، هي في جملتها بلاد مستنزفة من أثر الحرب العالمية الماضية ، وهي من أجل ذلك عبء ثقيل في أثناء القتال ووراء نطاق الحصار . ولا تنس أن معسكر الشيوعية الاكبر ، لم يستطع في الحرب الماضية أن يصمد لالمانيا وحدها ، بغير المدد المتواصل من خارج القارة الاوربية .

فاذا وقف هذا المعسكر الشيوعي وحده أمام الكتلة الديمقراطية كلها ، فهو أحوج الى هذا المدد ، واعجز عنتعويضه بمورد مضمون في داخل بلاده .

هذا كله على فرض التساوي بين الفريقين في استخدام الاسلحة الذرية وما اليها . أما اذا كان الرجحان في ذلك للديمقراطيين ، فمصير القتال من وراء الخلاف والجدال .

ولسنا نعتقد أن الحرب العالمية الثالثة تطول كما طالت الحرب الثانية أو الحرب الاولى ، لان القوى التي اشتركت في الحربين الماضيتين لم تشترك فيها دفعة واحدة ، ولم تكن أسلحتها مساوية لاسلحة الحرب المقبلة في الفضاء والسرعة .

فاذا نشبت الحرب المقبلة ، فسوف تشترك فيها جميع القوى ، أو جميع الدول من اللحظة الأولى ، وسوف تعمل فيها الاسلحة التي تصنع في ساعة ما لم يكن يصنع في شهور ، أو سنوات .

ولن يطول وقتها اذا وقعت ..

ولكن هل يطول الوقت قبل وقوعها ؟

انها ، ولا نكران ، واقعة لامحالة ما لم يمنعها انقلاب شامل في معسكر الشيوعية وقد يكون هذا الانقلاب أسرع مما يظن الكثيرون . وانه لأرحم بالعالم في حاضره ومصيره ، ومن شيوعية عالمية ، أو من حرب عالمية . وقانا الله .

***

مُشكلات العَالَم.. مَتى تُحَلّ؟ *

من عجيب المفارقات ان قيادة السياسة العالمية في هذ الطور الخطير تقع من نصيب الولايات المتحدة .. وهي دولة كانت في عزلة عن العالم وسياسته الى زمن قريب .. !

أمام الساسة في دول العالم مشكلات كثيرة لم ينجحوا في حل واحدة منها ..

وغاية ما يصيبونه من النجاح في معظمها انهم يرجئونها من حين الى حين ، أو يتركونها حتى تحل نفسها ..

وسيفعلون ذلك ولا يقدرون على اكثر منه ، فمتى يقدرون على حل هذه المشكلات أو على الفصل فيها بغير التأجيل أوالترقيع الذي لا يغنى غناءه الى زمن طويل .. ؟

سؤال ضخم كبير ..

ولكن الجواب عنه سهل يسير ..

فان العالم يحل مشكلاته حين يحل مشكلته الكبرى قبل كل شيء ، وهي مشكلة السياسة العالمية الاولى .

فالسياسة العالمية كما هي في طورها الحاضر مفارقة من أعضل المفارقات ..

لان العالم قد دخل في دور السياسة المشتركة بين الامم ولا حيلة له في الخروج منها ، وهي تلك السياسة التي يعنيهاالناس

---

* مجلة مسامرات الجيب العدد ١٦٨ السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٤٨ .

في العصر الحديث حين يطلقون عليها اسم السياسة العالمية ..

ومن عجيب المفارقات ان قيادة السياسة العالمية في هذا الطور الخطير تقع من نصيب الولايات المتحدة ، وهي دولة كانت في عزلة عن العالم وسياسته الى زمن قريب ..

وهذه هي المشكلة الكبرى من جهتين لا من جهة واحدة .

فهي مشكلة كبرى لان السياسة العالمية تأبى بطبيعتها أن تنفرد بقيادتها أو بالسيطرة عليها دولة واحدة ، كائنا ما كان حظها من القدرة السياسية .

فاذا اتفق السبب من الاسباب أن تسيطر عليها دولة تجهل السياسة العالمية وتنعزل عنها الى زمن قريب فتلك مشكلة فوق مشكلة ، ومفارقة وراء مفارقة ، وعقدة تعيى حلالها ، لان العقدة هي الحلال نفسه ، وهو قبل غيره علة الاشكال .

ان الولايات المتحدة تسيطر على السياسة العالمية بحكم ثروتها وحاجة الامم اليها .

فمن هم ساستها الذين وضعت المصادفات هذه الامانة الكبرى في أيديهم .. ؟

وهم حكام ولايات لا أكثر ولا أقل .

شواغلهم كلها ــ قبل الحرب العالمية ــ لا تعد شواغل الاقاليم أو شواغل المناورات المحلية لكسب الأصوات في معارك الانتخاب .

تلك هي مدرستهم السياسية التي نشأوا فيها ولم يتعلموا في غيرها ، وتلك هي المدرسة المحدودة التي ترشحهم لقيادة العالم في اخطر عصوره ، وهو العصر الذي كادت كل امة فيه ان تواجه العالم بمعضلة من أعسر المعضلات ..

« مشايخ بلد » يتسلمون زمام الكرة الارضية ويجلسون

منها مجلس القيادة العليا في أخطر رحلة من رحلاتها الابدية ..

وغاية ما في الامر انهم مشايخ بلد امريكيون . اما انهم مشايخ بلد في النهاية فهي حقيقة ليس فيهـــا اي خلاف ، ولا يخالف فيها الا مــن يؤخذ بالاوهام ، أو يقيس الاشيــاء على الاسماء ..

فمن الاوهام التي تشيع عادة في عقول الناس ان يقرنوا الضخامة بكل شيء ضخم في جميع صفاته وأحواله ، ويخيل اليهم من اجل ذلك ان ساسة الدول الضخام هم أضخم الساسة وأقدرهم على شؤون السياسة ، وان أقطاب الولايات المتحدة من أجل ذلك هم صفوة الاقطاب جميعا في العلم والفطنة والدهــاء والخبرة بتصريف الامور وفض المشكلات ...

لكن الواقع يناقض هذا الوهم في كثير من الاحوال .

فقد يكون للامة الصغيرة سياسي أعظم من اقطاب الامم الكبرى في جميع الملكات السياسية، وليس العهد بعيدا بفنزيلوس في اليونان ، ومازاريك في بلاد التشك ، وعصمت اينونــو في تركيا الحديثة ، وهي اصغر من تركيا القديمة . وربما كان في دويلات أمريكا الجنوبية طائفة من الرؤساء والزعماء في العصر الحاضر لا يوجد لهم نظراء في دولة الشمال التي هي أضخــم الدول جميعا في القارتين .

ومهما يكن من شأن السياسي الامريكي فهو لا يستطيع ان ينتقل طفرة واحدة من حكم ولاية الى حكم العالم بأسره ، بعد إن عاش في عزلة عن هذا العـــالم ومشكلاته الكبــرى الى زمن قريب ..

واذا نبغ في السياسة الاميركية عبقري من طراز روزفلت فذلك هو المثل النادر الذي لا يقاس عليه . وقد كان روزفلت

نفسه يخطىء ويداري الخطأ بالقدرة ، وان في يده وفي يد دولته من القدرة لنصيبا غير قليل .

هذا هو الواقع مع الاسف الشديد ..

سياسة عالمية تسيطر عليها في النهاية دولة واحدة .

وهذه وحدها مشكلة ، ولكن المشكلة التي هي أعظم منها ان هذه الدولة كانت في عزلة عن العالم الى سنوات مضت ، فهي تخبط في شؤونه خبط عشواء ، أو تعمل فيها « بالعافية » كما يقولون ..

اما الولايات المتحدة من الطرف الاخر دولة اخرى تعد من الدول الفعالة في سياسة الكرة الارضية بعد الحرب العالمية ..

هذه الدولة هي روسيا « السوفيتية » أو روسيا التي تعمل برأي دعاتها الشيوعيين ..

ولو كانت روسيا تسلك في سياستها مسلكا يتمم نقصا أو يجبر كسرا أو يصحح خطأ لهان البلاء .

ولكن المصيبة الكبرى انها تضيف بلاء الشمال الى بلاء اليمين ، فلا يزال العالم منها ومن الولايات المتحدة بين بلاءين يحيطان به عن يمينه وعن شماله ، الى ان يشاء الله .

فاذا كان اقطاب امريكا قد تعلموا السياسة العالمية في مدرسة الولايات فالاقطاب الشيوعيون قد تعلموها في مدرسة المؤامرات ..

نشأوا متآمرين ويعملون في سياسة العالم متآمرين ..

فالسياسة العالمية عندهم مؤامرة كبرى يرمون بها الى انقلاب كبير، وهمهم الاكبر هو خلق المشكلات لا فض المشكلات، ومن هذا الطريق دون غيره يطمعون في وقوع ذلك الانقلاب المنشود ..

شر من يمين العالم وشر من شماله ..

وكل ما فيهما من الخير انهما شران متناطحان ، ولو كانا شرين متفقين لهلك الناس وحاق الخراب بالكرة الارضية من أقصاها الى أقصاها ، ولكن الشرين اذا تناطحا لم يخلو من الخير ، وأقل ما في ذلك الخير ان احدا منهما لا يطغى على العالم كله بغير كابح يصده ويكفكف من غلوائه .

فمدرسة الولاية بلاء ..

ومدرسة المؤامرة بلاء

وبلاءان متناطحان أهون من بلاء واحد ينطلق في الدنيا كما يشاء .

تلك هي مشكلة السياسة العالمية ..

وخلاصتها ان السياسة العالمية ليست بسياسة عالمية لانها في أيدي قوم لا يعملون للعالم ، عن جهل منهم وغشم أو عن عمد وتدبير .

ولن تنحل مشكلات العالم على الوجه المريح ما لم تنحل قبلها هذه المشكلة الاولى ..

وستنحل بمشيئة الله ..

لان العالم أكبر من الدول الكبار ... ولان المختلفين على سياسة العالم يخدمونه من حيث لا يشعرون ولا يريدون ، وأن كانت خدمة طويلة الامد كثيرة التكاليف ..

علم الدعاية

علم الدعاية موضوع هذه المطالعة . وقد اصبحت الدعاية علما منظما بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية . بعد ان كانت صناعة أو فنا من الفنون الشائعة لا تقوم على قاعدة مصطلح عليها . وقبل ذلك كانت اقوالا متفرقة على افواه المتكلمين .

وهذه هي ادوار الدعاية في تاريخها . اقوال متفرقة . ثم صناعة . ثم علم ذو اصول مقررة وأهداف موافقة لتلك الاصول. متى بدأت الدعاية في دورها الاول . دور الاقوال المتفرقة . انها ولا ريب . قد بدأت مع الكلام في وقت واحد . ونراقب الطفل الذي نستطيع ان نعرف من اسلوبه في النطق شيئا من تاريخ الكلام الاول . فانه يستخدم الكلام في الدعاية حين يستخدمه في التفاهم . وربما استخدم الدعاية بالصياح والبكاء قبل ان يستخدم الالفاظ للتعبير . فاذا عرف كلمتين او ثلاث كلمات فهو ولا شك يستخدمها جميعها في الدعاية كما يستخدمها في التعبير . وهكذا بدا الانسان الاول في طفولة الانسانية الساذجة . فلا فرق عنده بين اداة التعبير واداة الدعاية . كما كان يريدها وينتفع بها في ذلك الزمن السحيق .

ولا نعلم اليوم كم مضى على الانسان وهو يتكلم . ولكننا نعلم انه كان يتكلم قبل سبعة آلاف سنة ويكتب كلامه على

صورة من الصور . والان بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ الكلام . يقول بعض الحكماء ان الانسان انما يتكلم ليخفي ما يعنيه . وهو قول يسوقه قائله مساق الفكاهة ويستبيح فيه بعض المبالغة التي تستباح في المزاح . ولكنه بعد حساب المبالغة فيه . يعبر عن شيء من الحقيقة اذا كان المراد من قوله ان الانسان لا يفصح عن كل ما في نفسه على الدوام . وانه يستخدم الكلام للاخفاء كما يستخدمه للاظهار والاعلان . مضى على الدعاية اذن عشرات من القرون وهي اقوال متفرقة ومن تاريخ مصر نعلم انها اصبحت صناعة شائعة في ايام الدولة الفاطمية . وان امانة هذه الصناعة الذي كان يسمى بداعي الدعاة قد بلغ من اتقانها شأوا لم يسبقه احد من اللاحقين . لانه استخدمها في الكلام وفي الكتابة وفي المباحث ــ العلميــة والفلسفيــة وفي المواكب المشهورة . وفي السر والعلانية وأوشك ان يجعلها علما من العلوم المقررة لولا ان العلوم مرهــونة بأوانها في أطــوار التاريــخ . ومنذ ثلاثين سنة . او نحوها يتكلم الخبراء بهذه الصناعة عنها كانها علم من العلوم المقررة ولا يضعونهــا في غير موضعها من العلوم التي تجري مجراها وهي علوم البيان والخطابة والالقاء والتعبير على التعميم واحدث الكتب في هذا العلم نلخص هذا الحديث تعريف الدعاية عندهم انها وسيلة يــراد بها تحويــل الأفكار اختبار الى وجهة لا تتحول اليها بغير هذه الوسيلة . وهم يعرفونها هذا التعريف ليخرجوا منها الاغــراء بالرشــوة لأن الرشوة تغري من يأخذها ــ بخلاف ما يعملــه من لم يأخذهــا . ولكنها لا تحسب من الدعاية . ويعرفونها بذلك التعريف ليخرجوا منها التسخير بالاكراه . لان المكره يعمل غير ما يريده . ولا يقال ان عمله هذا من فعل الدعاية .

كذلك يخرجون من الدعاية المتقنة ان ينقاد الانسان لكلام واحد لا يسمع غيره لانه في هذه الحالة يتجه اضطرارا الى ناحية واحدة لا يعرف غيرها . اذا كان معوله فيما يعمل على السماع .

ومن الشهادة لعلم الاخلاق ان علم الدعاية الحديث يؤيده ولا ينقضه في أساسه . فمن الاخطاء الشائعة ان الدعاية كذب وتلفيق . ولكن خبراء هذا العلم يقررون ويكررون غير ذلك . يقررون ويكررون أن الصدق شرط لازم من شروط الدعاية الناجحة بل هو الشرط الاول الذي تتوقف عليه سائر الشروط . اما الشروط الاخرى فهي المطابقة والسهولة والتوكيد. والمقصود بالمطابقة ان تكون الاقوال متفقة غير متناقضة . وان يقال للقريب ما يقال للغريب وان اختلف الاسلوب . فاذا كانت هناك دعاية داخلية ودعاية خارجية أو كانت هناك دعاية للاصدقاء ودعاية للاعداء . فمن الواجب ان يشعر كل قارىء وسامع بأنه لا يخدع ولا يستتر عنه شيء يكشف لغيره .. وانجح الدعايات هي الدعاية التي يصدقها السامع والقارىء بين دعايات كثيرة . فاذا كان صاحب الدعاية على حظ وافر من القدرة والبراعة أمكنه أن يقيم دون الدعايات الاخرى حجابا من الشك والنفور يضعها ويحول بينها وبين الاقناع فيسمعها السامع وينفر منها بشعوره وفكره . وذلك خير من جهله بها ثم ظهورها له على حين غرة . فانها تفاجئه في هذه الحالة على غير استعداد . فلا يكذبها قبل ان تترك في نفسه أثرا لا يسهل التغلب عليه .

وغني عن القول ان خبراء الدعاية لا يوجبون اعلان الحقائق جميعا في غير موعدها . وكل ما يوجبونه ان يحذر الداعية من تبديل الحقائق وتشويهها أو تعريضها للتكذيب والمناقضة .

اما اخفاء بعض الحقائق الى حين فلا بد منه في كثير من الاحوال . وهم يقسمون الدعاية في هذه المسألة الى نوعين مختلفين . دعاية حرب وتأثير ودعاية سلم وتعليم . ففي دعاية الحرب والتأثير يجوز كل ما هو جائز في الحروب . فليس من الجائز إن يعلن الجيش المقاتل جميع اخباره . ولا ان يكشف عن جميع خططه ونياته . ولكنه اذا استطاع ذلك دون ان يخشى الهزيمة والخسارة . فذلك مزيد من القوة والثقة (يعزز الروح المعنوية عند الاصدقاء ويخذلها في نفوس الاعداء) .

اما دعاية السلم والتعليم فيجب فيها كل ما هو واجب في المدرسة . يجب فيها اعطاء الحقائق بمقدار ترتيبها في اوقاتها ومواضعها على حسب طاقة الافكار كأنها حقائق العلم التي يتأخر تعليمها من سنة الى سنة . ولا تلقى منها حقيقة كبيرة او صغيرة قبل ترتيبها المعقول . وبعد الصدق والمطابقة يشترطون في الدعاية ان تتحرى السهولة وان تتعمد التوكيد وتختار له عبارات موجزة تحفظ وتتكرر بغير عناء .

والسهولة درجات . فما هو سهل عند اناس صعب عند آخرين . ولكن المهم ان يخاطب كل فريق بما يدركه . ولا يشعر السامع بانك تسيء الظن في فهمه وتحجب عنه ما هو قادر على ادراكه .

أما التوكيد فافضل اساليبه اسلوب الامثال السائرة والكلمات المتقابلة . ومنه في الحرب العالمية قول الألمان : ان الانجليز يحاربون الى آخر جندي من الفرنسيين وقول الانجليز والفرنسيين : ان الصلح مع الشعب الالماني ممكن ، أما الصلح مع الطغاة الالمان فمستحيل . او قولهم جميعا انهم يصبرون على

الحرب التي تختم الحروب . ويرفضون السلم التي تطيل اجل القتال .

ومن الخطر ان تستخدم في هذه الاغراض كلمة تشدد عزائم الخصوم وتحفزهم الى المقاومة بغير هوادة يأسا من الانصاف والامان في عاقبة القتال . ولهذا كان الفريقان المتقاتلان في الحرب العالمية يوجهان التهديد الى الخصوم بحساب . فيهددون القادة والسادة ويتلطفون في خطاب الشعوب او يهددون امة ويبذلون الوعود الطيبة لامة اخرى . او يفرقون بين طوائف الامة الواحدة في الانذار والترغيب لان الدعاية ترمي الى هدفين في وقت واحد . تشتيت شمل الاعداء وتوحيد شمل الانصار وقد يكون تهديد العدو احيانا من بواعث الاصرار عنده على المقاومة. اذا تساوت صفوفه المقاتلة في الخشية من عاقبة واحدة لا مطمع فيها لنجاة أحد بين تلك الصفوف .

لا جديد تحت الشمس .

وهي حكمة قديمة تصدق على كل جديد فما من جديد قط الا وفيه شيء قديم . ولا يستثنى من هذه الحكمة الخالدة شيء حتى هذا العلم الجديد . واول من يلتفت الى هذه الحقيقة من يكتبون اصول علم الدعاية على احدث منهاج . كان الفيلسوف اليوناني الكبير « أرسطو » يشرح لتلاميذه علم الخطابة قبل ألفي سنة . وكان علم الخطابة نسخة قديمة من علم الدعاية الجديد . لانه علم يتمكن به صاحبه من الاقناع بالبرهان وبالتأثير في الشعور . وكان المدربون على الاسلوب الخطابي يزاولونه في المرافعات القضائية وفي شؤون السياسة والتنافس على الزعامة . ويخرجونه أحيانا بالمغالطة كما تمزج الدعاية أحيانا المغالطة في العصر الحديث .

ومن نوادره ان تلميذا في مدرسة الخطابة إتفق مع استاذه على مكافأة معينة يستحقها بعد سنتين اذا تعلم على يديه براهين الاقناع في هذه المدة . وبعد سنتين قال التلميذ لاستاذه . اناقشك الآن. فاذا أقنعتك بأنك لا تستحق الاجرة لم تطالبني بادائها. واذا لم أقنعك لم يكن لك حق فيها . لانك لم تعلمني براهين الاقناع . قال الاستاذ : بل تناقشني وأناقشك . فاذا اقنعتك أخذت المكافأة . واذا لم اقنعك اخذتها ضعفين . لانني علمت تلميذا غلب استاذه بما تعلمه على يديه !

وهذا العلم الخطابي هو النسخة القديمة من علم الدعاية . موضوعهما واحد والخطأ فيهما واحد وهو ادخال المغالطة مع الصدق وتزييف البرهان الصحيح بالبرهان الباطل . الا ان العلم العصري أوسع حدودا من العلم القديم . لانه قابل للتطبيق على موضوعات كثيرة غير المرافعات وشؤون السياسة . قابل للتطبيق . مثلا . على الدعاية التجارية وله في هذه الدعاية اصول وشروط او دعاية المنازعات الدولية .

ومن هذه الدعاية التجارية ما يرتكن الى علم النفس كما يرتكن الى فن التمثيل ولباقة الحديث . ومن الفوارق الدقيقة في الدعاية التجارية انهم يفرقون بين الدعاية التي يحتاج اليها البائع ــ والدعاية التي يحتاج اليها مروج البضاعة في الاسواق . فالبائع يخاطب فردا واحدا يراه ويحادثه فلا غنى عن اقناعه مع التأثير في شعوره بلباقته ولطفه ورونق الفاظه . ولكن المروج الذي يخاطب الجماعات والجماهير من وراء الاعلان المقروء والمسموع لا يحتاج الى الصفات الشخصية التي يحتاج اليها البائع والزم له من هذه الصفات ان يسترعي الاسماع والابصار

بالضجة المؤثرة والعبارة الطنانة والكلمة التي تصلح للترديد والاعادة على افواه الجماهير .

ونقول في ختام هذا الحديث عن علم الدعاية انه لم يبلغ تمامه . وسيبلغ تمامه يوم يظهر الى جانبه علم آخر للوقاية من الدعاية . ولعله آت في الطريق .

***

فهرست



هذا الكتاب

كان النازي يحلمون بالسيطرة على العالم وسيادة شعوبه، وكان هتلر، المغامر المقامر الطاغية المعتوه، يحلم بحكم العالم، ويخطط لتحقيق حلمه بمختلف الوسائل ومنها الحرب ولو افنت الملايين وهدمت ودمرت وازالت معالم الحضارة الإنسانية ..

وكان العقاد على يقين من أن هذا العالم الخالد، هذا العالم الذي لم يحكمه قط بطل من أبطال التاريخ أو سيد من سادات الحروب، تأبى رحمة الله، تأبى حكمة الله، أن تحكمه عصابة من المغامرين وشذاذ الآفاق ..

كتاب جدير بالقراءة، بل وبالدراسة .. فالتاريخ يعيد نفسه، وعصابات المغامرين شذاذ الآفاق تخطط لاستعباد الأمة العربية .. والنازيون الجدد لايقلون شراسة واجراماً عن القدامى ..

لندرس الحرب واسرارها كما قدمها لنا العقاد الأديب المفكر، لنزداد ايماناً بحتمية انتصار الحق العربي .. انقاذاً: للكرامة .. للعدل .. للحضارة .. وللإنسانية .

الناشر

الثمن : ٤٠٠ ق.ل.